الحجة

المؤتاة في الرد على صاحب كتاب

الى التصوف يا عباد الله

تأليف

أحمد القطعاني

يطلب من مكتبة

النجاح

ليبيا طرابلس

الحجــــة

المؤتاه فى الرد على صاحب كتاب

الى التصوف ياعباد الله

تأليــــف

أحمـــد القطعـانى

حقسوق الطبــع والتــأليف
محفوظة للمــؤلف

درنــة ليبيا

الطبعة الثانية

1992م

يطلب من القـــاهرة
دار جوامع الكلم
ش الشيخ صالح الجعفرى بالدراسة
ت/ ٥٨٩٨٠٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

" واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداوة والعشي يريدون

وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا

قلبه عن ذكرنا واتبع هوائــه وكان أمره فرطا "

صدق الله العظيم

توطئـة الطبعة الثانيـة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المقدس الحميد ذى العرش المجيد الفعال لما يريد والصلاة والسلام على خير الانام واله الكرام واصحابه الاعلام واتباعه باحسان ويعد

مضى ايها القارئ الكريم ما يقرب من عامين على انتهائي من هذا الكتاب الذي بين يديك ولم استطع نشره لعدم معرفتي بطرق النشر والطبع وما اليها من سُبُل ودروب ، حتى أذِن الله سبحانه وتعالى وخرجت الطبعة الاولى بثوبها المتواضع وباخطائها المطبعية الكثيرة والتي ارجو من الله تعالى ان لا تتكرر في هذه الطبعة ايضاً .

ولم يمضي على نشرها شهر واحد حتى الح على الاحباب والاصحاب لاعادة طبعها مجدداً ولكنني ماوجدت في القلب نشاطاً ولا في الصدر انبعاثا لهذا الأمر فإن الغاية منه كانت تصويب رأي من انخدع بما جاء في كتاب « إلى التصوف ياعباد الله » والرد عليه في ادعاءاته التي ساقها وقد تحقق الغرض بالطبعة الاولى فتشاغلت بما اشتغل به عادة .

حتى انني جالس بعد مغرب ذات يوم اذ جاءني ابننا في الله السيد فتح الله العوكلي يرفل في حلة حلم اعرفها عليه مجرر لا ثواب من الرضا لا تكاد تفارقه ويطلب مني تحقيق هذه الرغبة ، وثنى من بعده ابننا المؤنّس الانس المستغرق في محبوبه في خلوته وجلوته والمجالس منصور ابو فارس وثالث من بعدهم المشتغل بالله الزاهد في ما سواه المنقطع لمولاه ابننا على عبد اللاه ، وربعهم قليل الاقران والنظراء المطمئن بالايمان المتوكل على الرحمن في السراء والضراء ابننا محمد العوكلي ، وما ان تحدث كل منهم بما اراد في ملاء أو على انفراد حتى أطل ابننا المحسن محسن الحصادي بحديثه اللبيب متسربلاً بثوب من النقاء قشيب مبصراً بتوله وتحقيق تخاله ناظر للغيب من ستر رقيق ، وازداد العقد جمالا بواسطة العقد الكريم ابننا سالم ابو خشيم وبحيائه المعتاد حدثني اراد .

وظننت ان الامر انتهى عند هذا الحد وشمرت لاعادة الطبع عن ساعد الجد واذ بابننا الصادق المجد الواثق منصف العوكلي يحنو حنوهم ويطلب مطلبهم وانضم اليهم

فى ما يبتغون ذو الفضل النفيس الكريم ادريس ومن بعده ابننا المبارك السخى الجواد فى الله الهين اللين مع عباد مولاه عبد الكريم اعزيز وشاء الله تعالى ان يكون خاتمة هذه الجماعة المباركة والعصبة الصالحة المجتهد فى ربه المصطلم بنور المراقبة الذاهل عن غير قربه المستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها خادم الفقراء ابننا عمر الازرق .

فعلمت ان الله تعالى ما جمع رأى هذه الكوكبة المباركة والجماعة الصالحة الا لخير اراده وأذن به فما كان مني الا أن شرعت فى اعادة الطبع داعيا المولى الكريم ان يعم به النفع وان يجعله خالصاً لوجهه الكريم انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير هو نعم المولى ونعم النصير .

احمـد القطعـانى

درنه ـ ليبيـا

١ رجب ١٤١٢

١٩٩٢/١/٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خالق العباد خلقا من بعد خلق ولي كل نعمة ورزق أهل الحمد والتقديس والتمجيد المتعالى عن الحد والتحديد الموجود في علل الحدود الباطن في وجوده الظاهر في مبدعاته الدال على تفرده بالوحدانية والأزلية الذي احتجبت عنه العين القاصرة وبطن بخفيات الأمور ودلت عليه أعلام الظهور فرأته العين الباصرة . علا فلم ينأ عنه شئ ودنا فلم ينأعنه موجود وتقدس فلم يتساو به مخلوق فتفرد بالعلو والقرب بلا كيف ولا مثال . أعجز العقول عن تحديده وحصره وفطر القلوب على الإقرار بسطوته وقهره . فإن جحده الجاحد فجحوده عين الإقرار وإن أنكره المنكر فنكرانه على الإقرار إصرار . الذي رضى الحمد شكرا لجزيل نعمه وعظيم كرمه حمداً دائما متصلا لا ينفذ كما يستحق أن يحمد .

وصلى الله على سيدنا محمد عبده وخليله ونبيه ورسوله مبين البيان الإنسان الكامل على مر الزمان هادي الأمة وكاشف الغمة السراج المنير الوهاج المخصوص برؤية ما رأى في المعراج وعلى آل بيته الطيبين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعلى صحابته أهل المجد والثناء والعلو والبهاء والإخلاص والوفاء وعلى التابعين بإحسان وتابع التابعين إلى يوم الدين .

وبعد . . . فعلم التصوف من أشرف العلوم الشريفه وأنفع المعارف السامية المنيفة ، رفيع القدر حميد الأثر يزكي النفوس ويصقل القلوب ويهذب الطباع يسير بالروح إلى بارئها ويحدو بها إلي خالقها يستبدل الخبيث بالطيب والسئ بالحسن .

وأهله هم أهل الله وخاصته الدالون عليه تعالى الواقفون بالإخلاص بين يديه في الفرق والجمع والعطاء والمنع . أهل الأدب الرفيع الراقي والسمو الأخلاقي . طريقهم أصوب الطرق ومنهجهم الإخلاص والصدق . ولو جمع عقل كل ذي عقل وحكمة كل ذى حكمه ليحسنوا ما هم عليه ما وجدوا إلي ذلك طريقا فقد تشبعت بواطنهم وظواهرهم بنور الهداية المحمدي وما بعده نور ولا هدي .

والتصوف هو لب الإخلاص في العبودية وهو التطبيق العملي للكتاب والسنة . وقد

كان فعلا ومعنى عند من صحب النبى صلى الله عليه وسلم وليس هناك أفضل من شرف صحبته صلى الله عليه وسلم فتسموا بالصحابة ثم جاء بعدهم التابعون وكان هذا الإسم علما ودليلا على شرف من صاحب وشافه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين .

ثم ظهرت الفرق والشيع والأحزاب فى الإسلام فاختص أهل الورع والزهد والعبادة والإخلاص والصدق ثم المراقبة والمشاهدة بإسم الصوفية لأشتهار أهل الفضل بهذا الإسم حتى قبل الإسلام ، وكما يحدث فى كل العلوم والميادين والمجالات دخل هذا الوسط النقى الطاهر من هم ليسوا بأهله جهلا أو طمعًا و رياء ، وكما حمل المشعوذ أسم الطبيب والدجال أسم الصالح والجاهل اسم العالم حمل هؤلاء أسم الصوفيه ليسخروه لمآربهم الخاصة ولكنهم كانوا من الوضوح والظهور بحيث لم يخفوا على أحد وقد قام الساده الصوفيه بتنقية وسطهم من هذه الشوائب التافهه ، وكما يرفض جسم الحى الجسم الغريب رفض الجسد الصوفى هذه الشوائب وقومها بالقدوه الحسنه والكلمة الطيبة .

واستمرت مسيرة الأمة هادئة عموما ومضطربة أحيانا ما يزيد على ستة قرون حتى جاءت الساعة التى اعترضتها فيها أخطر ما واجهها من محن حتى ذلك الوقت وهو الغزو المغولى الذى ابتدأ بخوارزم والأطراف الشرقية من إيران ثم وصل إلى بغداد نفسها وذلك بعد أن وحد المغول جيوشهم وقبائلهم تحت أحد زعمائهم وهو المسمى "جينكز خان" وأستطاعوا قتل الخليفه العباسي والقضاء على الخلافة العباسية (565 هـ) (1258م) وقد رد المسلمون هذا الغزو المتوحش تحت إمرة أهل العلم والعمل وعلى رأسهم السادة الصوفية فحملوا السيف والقلم ليواجهوا الموقف وينتصروا على المغول في عين جالوت فى (محرم 659هـ - 1260 م) ويقتلوا « بغا » قائد الجيش المغولى بل وينجحوا فى قلب النتائج إذ أعتنقت بعض القبائل المغولية الإسلام وأصبح المغول الذين ما عرفوا طوال حياتهم غير السلب والقتل والنهب يؤدون الصلوات فى المسجد ويقرءون القرآن الكريم ويصومون شهر رمضان ، وكان من بين هؤلاء العلماء العاملين الشيخ أحمد بن تيميه الحرانى الذى حارب بسيفه وقلمه . وكان له أسلوبه فى الدعوة إلى الجهاد

فحمل على بعض شباب الأمة الذين كانوا أكمل ما يكونون شبابا وصحة ويتركون جبهة القتال وهى موقعهم الصحيح إلى أضرحة الصالحين ليستغيثوا ويتوسلوا بهم لينصروا على عدوهم . ونسى هؤلاء أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعو ربه فى المعارك حتى يسقط رداؤه عن كتفيه الشريفين وجيش الصحابه مشتبك فى قتال مع العدو .

فالتوسل الصحيح مكمل للجهاد ولو كان التوسل يغنى عن السيف لما أنكسرت رباعيتا الرسول صلى الله عليه وسلم وشج رأسه وغاصت حلقات المغفر المعدنية بوجنتيه الشريفتين ولما قاسى فى سبيل جعل كلمة الله هى العليا وهو أكرم وأفضل عند الله من الأمة جميعا .

فما كان من الشيخ ابن تيمية إلا أن نقل التوسل من مسألة فقهية إلى مسألة أساسية فى منهجه وأسلوبه ثم ثنى بمحاربة خصومه فى معظم المجالات والاتجاهات ولكنه كان شديد التطرف فى خصومته ففى رده على الشيعه مثلا فى كتاب منهاج السنة سلب كل ما لسيدنا على بن أبى طالب من خصائص ومزايا وأستدل فى هذا بما يصح وما لا يصح . وكان للتصوف حظه منه ولكنه كان كحاطب ليل جمع ما وجد فخرج عن الجادة فى أحيان كثيرة ، ولكن حسن نيته وسلامة مقصده كانا يشفعان له لاسيما وأنه كان يعرف فضل الساده الصوفيه الأكابر ويثنى عليهم بما هم أهل له ، والرجل عموما كان يحاول أن يكون موضوعيا وهو ليس معصوماً وإذا ما نظرنا إلى جهاده العلمى وأثره عذرناه وإن كان ينحرف بتعسف أحيانا فقد أدى مشكورا رسالته .

وجاء من بعده تلميذه القيم أبن قيم الجوزية الذى أستفاد من أخطاء شيخه وأيضا فقد كان ذا أطلاع وفهم ثاقب لماح وحسن دراية بالعلم وأهم من كل هذه فإنه كان أيضا ذا روحانية ملائكية شفافه درج مدارج السالكين وخبر طرق الواصلين فكان بحق التلميذ الذى فاق معلمه .

وأستمر الأمر لعدة قرون أخري خبت خلالها شعلة البحث والعلم فى المشرق الإسلامى وإن حافظت على نورها فى المغرب الإسلامي حتى نهاية القرن الحادى عشر الهجرى إذ بدأت العقلية الإسلامية عموما فى التراجع وذهب العلم والبحث ليحل محلهما الجهل

والغفلة وانتشر الفساد فى المجتمعات الإسلامية عموما ولم يستمر هذا التخلف إذ ما أتى القرن الثانى عشر الهجرى حتى عادت الصحوه وقام العديد من العلماء فى مختلف أرجاء العالم الإسلامى ليوقظوا المسلمين من سباتهم ويبصروهم بأمر دينهم ودنياهم وكان من بين هؤلاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمى المضرى الذى عاش فى نجد ورأى ما آل إليه حال المسلمين فى تلك المنطقة إذ كان أهل نجد ينقسمون إلى قسمين رئيسيين حضر وبدو فالحضر يشتغلون بالتجارة والبدو من الرحل الذين يكثرون التقاتل والشجار فى طلب المراعى لشدة ظروف البيئة وقلة المياه مما أثر فى الحضر أيضا إذ فقدت التجارة أهميتها لفقدان الأمن وعدم الاستقرار وانتشار الفوضى وأصبح الغزو والسلب والنهب هو مصدر العيش فى الصحراء - ويلاحظ أن أقليم نجد لم يكن يخضع للحكم العثمانى مثل بقية المناطق العربية الأخرى - ومن ثم تقاسمته القبائل فى ما بينها حيث سادت علاقات الجفاء ونشوب الحرب لأتفه الأسباب وكذلك فإن الناس انغمسوا فى البدع والخرافات والأساطير التى تمثلت فى الحج إلى القبور سنويا وإلى شجرة ضخمة فى نجد تسمى شجرة الذيب وغار فى أسفل منطقة الدرعية وانتشر المشعوذون والدجالون والجهلة الذين وجدوا فى هذا المجتمع الذى يخيم عليه الفقر والجهل سوقا رائجة لبضاعتهم وأصبحت الأشجار والكهوف والمغاور موضع قداسة وعبادة .

ويلاحظ أن كل هذه الأمور وربما ما هو أدهى منها وأمر كان منتشرا فى معظم أرجاء العالم الإسلامى إذ وصل الأمر إلى بناء بيت ليحج الناس إليه بدلا من بيت الله الحرام فى إحدى الدول العربية . هذا إن لم يغب الإسلام نهائيا فى بعض المناطق وأن العلماء قاوموها بأسلوب سليم حكيم ونجحوا فى ذلك ، ويلاحظ بعناية أنها اختفت كليا تقريبا بانتشار العلم والوعى بين المسلمين .

والخلاصة أن كل هذه العوامل مجتمعة حلت محل الإسلام ومبادئه وأدت بمحمد بن عبد الوهاب إلى القيام بدعوته التى تتلخص فى :

الدعوة إلى التوحيد والعودة بالناس إلى ما كان عليه السلف ومحاربة طلب الشفاعة

والتوسل بالأنبياء والصالحين والاستغاثة بهم والتماس البركة بزيارة قبور الصالحين الأموات والتقرب إليهم بالنذور وبناء القباب على قبورهم وإسراجها والصلاة عندها وبنائها والكتابة عليها وفتح باب الأجتهاد فى الدين ، وأخيرا محاربة من خالف رأيه وقتاله بالسيف وجعل داره دار حرب وعلى هذا الأساس خرج محمد بن عبد الوهاب أو أتباعه إلى غزو المسلمين فى الجزيرة العربية والعراق وسوريا .

ولا شك أن بعض مبادئ الدعوة سليم من الناحية العلمية والبعض الآخر مقبول والآخر مرفوض وبشدة ، هذا من الناحية النظرية وأما من الناحية العملية وأسلوب الدعوة فى التطبيق فالأمر مختلف خصوصا بعد وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى (1206 هـ) ، فإن العلماء الذين اعتنقوا الدعوة الوهابية كان الدين يعنى عندهم الجمود والركود ورفض كل ما هو جديد ومفيد وقد وصل أذى هؤلاء إلى الدولة السعودية نفسها فقد رفض هؤلاء مظاهر الحياة الحضارية الجديدة بآلاتها ومعداتها وابتكاراتها بحجة أنها ليست من الدين وقد بذلت حكومة الملك عبد العزيز آل سعود جهودا كبيرة لإقناعهم حتى أمكن أستعمال الآلات والمخترعات الحديثة فى المملكه [1] وكان الدين الإسلامي يوجب على الجندى المسلم التسلح بالسيف والرمح وامتطاء الجمال ليحارب عدوه المتسلح بالدبابات والطائرات والزوارق الحربية المجهزة .

وللأسف الشديد فإن علماء الوهابية المعاصرة ساروا بتحجر وسذاجة مبنقية على نفس الأسلوب الذى سار عليه أسلافهم حتى اليوم والذى يقوم على التمسك بالقشور دون اللب وبالقوالب دون القالب .

فأصبح حلق اللحية فسقا وأحيانا شركا وتشمير السراويل فرضا والتوسل والأستغاثة من أكفر الكفر واعتقاد أن لله قدما ويدا وجنبا وعينا ورجلا ونزوله سبحانه وتعالي وصعوده إلى السماء ومجيئه من الواجبات وما طولب مخلوق بهذا الأعتقاد أو الخوض فى ما هو فوق مستوى البشر أصلا .

وإلى آخر ما هو معلوم اليوم عند الظاعن والمقيم ، وغابت الحكمة ومبادئ وأسس

---

١) تاريخ العرب الحديث – د . رأفت الشيخ – ص 259 .

الإسلام الصالحة لكل زمان ومكان تحت ستار كثيف من الجمود والتحجر .

نعم للدعوة الوهابية المعاصرة مزايا مثل : حض الناس على الالتزام بالصلوات الخمس والترغيب فى القيام بشعائر الدين والتمسك بالسنن ونحن نحب ذلك منها ، ولكنها أصبحت على يد علمائها المعاصرين كمرحلة رياض الأطفال لا تقنع إلا من هم فى سن ما دون الدراسة وإذا ما زاد إدراك وفهم المسلم لدينه رأى سذاجة وبساطة تفكير هؤلاء المعاصرين ولهذا لم تنتشر الوهابية إلا فى الهند فى مقاطعة البنجاب عام (1822) لفترة قصيرة ثم انتهت لعجزها عن الإقناع ، ولفساد الأسلوب الذى تتبعه والذى يقوم على عداوة ومقاومة رأى الغير ومحاربته بالسيف باسم السلفية أو الشيخ أحمد بن تيميه بدون أن يقرءوا أو حتى يطلعوا على فكر ومؤلفات ابن تيميه كما سنرى فى هذا الكتاب أو على الأقل يوضحوا ويبينوا ما هى هذه السلفية المزعومة فى ضوء الكتاب والسنة ، فياليتهم يعاودون النظر فى هذه العيوب ويسارعون بعلاجها وليس فى هذا ما يعيب إذ أن تصويب الأخطاء من علامات الصحة ودلالة واضحة على النجاح .

ونحن على كل حال نرى فيها رافدا مهما وعونا صالحا فى الدعوة إلى الله ولكن بعض علمائها وأشباههم من المتسلفين على جهل دأبوا فى الفترة الأخيرة إمعانا فى تأكيد الانتماء المذهبى الضيق على نشر أفكارهم الفاسدة المرفوضة دون الصالحة بين بسطاء المسلمين بالأشرطة المسموعة والمرئية والكتب وإلقاء المحاضرات والدروس فيرجع هؤلاء إلى بلادهم ليثيروا فيها الفرقة والشقاق فصلى الوقت الواحد مرتين فى المسجد الواحد ولا زال بحجة أن الإمام غير ملتح أو أنه فاسق لأنه يتوسل بالميت وثارت المشاكل بين المسلمين وغرست الإحن بحجة السلفية والسنة والبدعه وألفاظ أخرى استعملت - وباللأسف - لغير ما هى له أصلا .

ثم وصل الجمود والتحجر والتقوقع بهؤلاء إلى محاولة سلخ جسد الإسلام عن روحه فأصبح لا شغل لهم ولا شاغل إلا إلقاء المحاضرات والدروس وتسويد الصحف ونشر الكتب وإلقاء الخطب الطنانة الرنانة لمدة الساعات والساعات للقدح فى السادة الصوفية أو لإثبات أن الحلاج كان كافراً أو أن ابن عربى كان مشركا أو أن ابن الفارض يدين

بالحلول أو أن البدوى على خطأ أو أن الجيلانى مشكوك فى أمره .

وكان المنظر غريبا وعجيبا فى آن معا فما هذا الارتجاج العقلى الذى يدفع أصحابه لعقد الندوات باسم الدين والعلم لشغل المسلمين بأمر لا ينفعهم من قريب أو بعيد ؟ ما الذى يستفيده المسلم من إيمان أو كفر ابن عربى وقد مضى على موته سبعمائة واثنان وسبعون عاما ؟ وما فائدة كفر أو إيمان الحلاج وقد مضى على استشهاده ألف ومائة وسبع سنين ؟ . ولولا حسن الظن بهؤلاء السذج البلهاء لقلنا إنها محاولة مشبوهة لشغل المسلمين عما بين أيديهم ولفت نظرهم إلى القذى حتى لا يروا الصارى الذى تجرى الاستعدادات على قدم وساق لغرسه فى عيونهم .

وكان الأولى بهذه الخشب المسندة استغلال هذه الأمكانيات والجهد والمال لخدمة الإسلام والمسلمين فعلا لا الزج بهم فى معارك وهمية لا طائل من ورائها . وهب أن كل المسلمين الأحياء وحتى الأموات فى جميع أقطار المعمورة وقعوا وختموا وبصموا بأصابعهم العشرة على كفر ابن سبعين أو التلمسانى فما الفائدة من ذلك وما نفعه وهب أنهم شهدوا جميعا بإيمانهما فما الذى يجنونه .

ولا يخفى أن الإسلام اليوم يواجه أشد الهجمات شراسة فالنصرانية واليهودية والملاحدة أتفقوا على اختلافهم على الكيد للإسلام والمسلمين .

ومن المعلوم أن ثقل الإسلام وكثافته تقع فى قارتى أفريقيا وأسيا ولهذا فإنه تجري حالياً بدهاء وصمت محاولة للألتفاف حوله وتقليصه شيئا فشيئا تمهيدا للقضاء عليه بزعمهم ناهيك عما يجرى من محاولات لاحتواء المسلمين المهاجرين أو الوطنيين فى أوربا والولايات المتحدة الأمريكية .

ففى أفريقيا يصل عدد المتفرغين للنشاط التنصيرى فى القارة إلى أكثر من مائة ألف منصر يتعاون معهم ستة ملايين مساعد ويبلغ عدد المدارس اللاهوتيه لتخريج القساوسه والمنصرين المحليين أكثر من خمسمائة مدرسة بالإضافة إلى عدد كبير من المعاهد التعليمية يصل إلى عدة آلاف فى مختلف التخصصات تابعة للكنيسة . وقد أقامت الإرساليات التنصيرية أكثر من خمسمائة مستشفى وأبناء المسلمين الذين يشرف

المنصرون على تعليمهم بلغ أكثر من خمسة ملايين طالب وتبنى منصر بلجيكي واحد عدة آلاف من الأطفال المسلمين فى الصومال . وانخفضت نسبة المسلمين فى « كملاوى » من 70 ٪ إلى 30 ٪ فى فترة زمنية قصيرة وترفع الكنيسة فى أفريقيا شعار (**اخلع عنك الإسلام نخلع عنك الفقر**) وقد حدد عام 2000 لتصبح غالبية سكان أفريقيا من المسيحيين . وخلال جولة بابا الفاتيكان التى زار فيها بعض الدول الافريقية أدلى نهارا جهارا بتصريح للصحف يطلب فيه من العالم المسيحي أن يتعاون لوقف المد الإسلامى .

وفى زامبيا تلعب المؤسسات التنصيرية الدولية دورا كبيرا فى احتواء اللاجئين الأنجوليين البالغ عددهم ثمانين ألفا فى لواجوالا على الحدود الزامبية التنزانية ولوساكا ويلاحظ أن عدد اللاجئيين فى مختلف دول العالم بلغ 13 مليون لاجئ 70 ٪ منهم مسلمون .

وفى عام 1978 عقد فى ولاية كلورادو مؤتمر ضم 150 من قادة التبشير النصرانى وكان موضوعه (**تنصير المسلمين فى العالم**) قدمت فيه 40 دراسة عن أحوال المسلمين فى العالم مقارنة بالأوضاع النصرانية . ولم تعلن نتائج المؤتمر باستثناء الإعلان عن إنشاء معهد يسمى « زويمر » للتبشير بين المسلمين فى العالم ورصد لهذا الشأن ألف مليون دولار .

وفى نيجيريا أكبر بلد مسلم فى أفريقيا إذ يبلغ تعداد المسلمين فيه 120 مليون نسمة والذى يتعرض لتركيز مكثف ، قامت منظمة (**كريستان اسوسييشن أوف نيجيريا**) بتوحيد الهيئات والتجمعات المسيحية فى إطار واحد ولتعمل بأسلوب جديد يتلخص فى نشر كتب ونسخ محرفة عن القرآن الكريم وجعلها تخدم ما يروجون له وركزوا بالذات على الشمال النيجيرى مثل برنوا وكانو وسكتو وتعرف قوة هذه المنظمة إذا علمت أنها بعثت مجاناً بعدد خمسة عشر مليون نسخة من أحد هذه الكتب إلى منطقة بوتجى فقط وتطبع هذه الكتب باللغة العربية والإنجليزية والهوسا والفولانى والكولانى ، وللمنظمة إذاعة مسموعة خاصة بها ونصف ساعة فى الإذاعة المرئية الرسمية يوميا وكذلك تقوم بإنشاء الملاجئ واحتضان أبناء الفقراء وأيتام المسلمين .

وفى كمبالا عاصمة اوغندا أفتتح مركز للتنصير بإشراف منظمة تنصيرية كاثوليكية

تأسست في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1967 م ويقع بالقرب من المكان الذي بني عليه المسجد الكبير بالعاصمة القديمة .

ويجوب المنصرون الغابات والسهول الواسعة لبث شركهم وضلالهم ويصطنعون أسماء أفريقية وآسيوية كما حدث في السنغال إذ وجدت منصرات أوروبيات المنشأ والجنسية يحملن أسماء مثل فاطمة انجابي ومريم فال وعائشة جفت ويذهبن مع النساء المسلمات إلى الآبار البعيدة لجلب الماء ويخرجن معهن للاحتطاب وينشرن بينهن المسيحية المشركة الضالة .

وفي غويانا يتعرض المسلمون لأشد أنواع التفرقة الدينية والضغوطات اللاإنسانية لفتنتهم عن دينهم وأصدر وزير المالية في فيجي قراراً لإطلاق يد منظمة الراهبات الكاثوليكية ومنظمة أنسبا الكاثوليكية وهيئة لويغا البروتستانتية والهيئة العامة للكنيسة الأوغندية في فيجي لتحقيق برامجها التنصيرية في مسلمي فيجي .

وتنفق منظمة لوثران للإغاثة الدولية سبعة ملايين دولار سنويا على مشاريع مشبوهة في أفريقيا ، وقد أكد « توماس رونش » المدير الفرعي للمنظمة أن 87 ٪ من ذلك المبلغ يأتي عن طريق الكنائس في أمريكا ، ينفق منها ثلاثة ملايين دولار علنا والباقي يخصص للأعمال السرية .

وقدمت ورقة عمل في المؤتمر القومي للتجديد المسيحي في الكنيسة الكاثوليكية ومقر أمانته الدائمة في نوتردام بالولايات المتحدة الأمريكية وهو من أخطر المؤسسات التنصيرية في العالم التي أصبحت من الكثرة والانتشار بحيث يصعب حصرها سافرة الهوية حينا ومتسترة بأسماء وهمية حينا آخر تحت عنوان التنصير في نيجيريا وضح فيها رغبة المؤسسات التنصيرية بالأنفراد بالقارة الأفريقية وتنصيرها بالكامل .

وتقوم الكنيسة العالمية المدعومة من أوروبا الغربية وأمريكا بوضع الخطط وتنفيذها لتنصير المسلمين والوثنيين والدخول عبر باب المجاعات وقلة الأمطار والأمية والمساعدات وحركات السلام .

ناهيك عن الإذاعة المسموعة والمرئية التنصيرية التي تكاد تغطي معظم أرجاء العالم

غير المسيحى وبالإضافة إليها فقد قرر الفاتيكان بناء محطة كبيرة للبث فى كافة انحاء العالم للتبشير بتعاليم الإنجيل الأول من نوعه بواسطة ثلاثة أقمار صناعية فى مشروع متكامل أطلق عليه اسم لوميت 2000 لبث خطابات البابا والتبشير النصرانى . وبالمقابل فإن شركة « لبات » الصهيونية تحركت ضد مشروع تقدمت به عدد من الدول العربية بعد اتصالات مكثفة مع دولة سيراليون من أجل الحصول على الموافقة لإقامة محطة إذاعية بها بأن قدمت عرضا مناقضا لصالح جمعية إنجليزية بمقابل مادى مغر .

ويشهد جنوب السودان تدفقا كبيرا من أعداد المنصرين القادمين من أنحاء العالم مثل السويد والنرويج وألمانيا الأتحادية . وللكنيسة الكاثوليكية به عدد ست مطرانيات وستين مركزا تنصيريا ومائتي كنيسة إلى جانب واحد وعشرين مركزا للوعظ والإرشاد . وأشيع مؤخرا أن الكنيسة فى الجنوب منعت إطلاق الأسماء الإسلامية على الأطفال وتتشدد فى محاربة اللغة العربية .

ويرصد عموما مبلغ عشرة بلايين دولار للتنصير الصليبى سنويا .

ويتعرض المسلمون فى سيريلانكا لحملات شرسة لفتنتهم عن دينهم وفى فطانى التى كانت دولة مسلمة بالكامل حكما وشعبا فى القرن الحادى عشر الهجرى وحتى عام 1700 م عندما احتلتها تايلاند يتعرض المسلمون لحملات إذابة فى المجتمع التايلاندى البوذى ويفرض عليهم الكتابة باللغة التايلاندية عوضا عن اللغة الملاوية التى تكتب بالحروف العربية وبها الآلاف من الألفاظ العربية ويشتتون فى مختلف أرجاء تايلاند لينصهروا فى المجتمع البوذى الوثنى . وفى أندونيسيا وضع مخطط لجعل عام 2000 عام القضاء على الإسلام فيها . وفى الفلبين قتل حوالى مائة ألف مسلم فى جنوب الفلبين فى عهد الرئيس السابق ماركوس أقماه الله خلال خمسة عشر عاما والرئيسة الجديدة كورازون اكينو لازالت تماطل فى منح المسلمين الحكم الذاتى رغم قرارات مؤتمر القمة الإسلامي ولا زال الوثنيون المتطرفون فى الفلبين يقومون بهجمات مسلحة على المسلمين والحكومة لا تحرك ساكنا .

وفى كمبوتشيا قامت السلطات الرسمية بإغلاق المساجد فى عدة قرى من بينها قرية

ابد ونجصا وانجويات وهدمتها وحولتها إلي حظائر للخنازير كما منعت إقامة صلاة الجمعة في باقي القرى الإسلامية وتسعى جاهدة لإغراء الفتيات المسلمات بالزواج من البوذيين والملحدين . كما حظرت إستعمال اللغة العربية وصادرت الكتب الإسلامية من المكتبات وأيضا أجبرت المسلمين على ترك قراهم إلى الغابات والجبال .

ناهيك عن مشاكل المسلمين فى أفغانستان وفلسطين ثم لبنان حيث يقتل المسلم المسلم ويهلل أعداء الإسلام لكل قطرة دم تراق في غير موضعها الصحيح ويؤججون نار المذهبية والشعارات الزائفة .

هذا خلاف محاربة الإسلام في أمريكا وأوروبا وقد أصدر (جون هارمان) رئيس المجلس البلدى فى مدينة ويست بورتشاير في بريطانيا قراراً برفض دعم المدرسة الإسلامية هناك مخالفا بذلك قانون التعليم البريطانى الصادر فى1944م والذى ينص على دفع قيمة 85 ٪ من المصروفات السنوية لمدارس تعليم الديانات وسانده فى ذلك مديروا المدارس فى المدينة تنفيذا لأوامر نصرانية وقحة .

وفوق كل هذا هناك النشاط المكثف المدعوم للحركات الهدامة المدسوسة على الإسلام . إذ توجد فى سيراليون وحدها 210 مدرسة قاديانية تتكلم بإسم الإسلام والمسلمين . واستطاعت البهائية أن تبنى لها – ولأول مرة – مركزا فى مدينة سبتة العربية المحتلة بمساعدة البعثات الأجنبية الفرنسية والأسبانية والأمريكية وبالإضافة إلى هاتين الفرقتين الكافرتين ظهرت في مدينة سويدرو في غانا بدعة جديدة تتمثل في رجل مخبول يدعى « جليل » كون جماعة أطلق عليها « جماعة بشرى المسلمة » افتتحت لها فروعا فى منطقة ابيكا ومنطقة نيما . يصلون ثلاثة أوقات وينادون في الصلاة باسم مأفونهم جليل بدلا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطوفون فى المساء حول منضدة موضوعة بينهم ولهم العديد من الطقوس الضالة الممزوجة بالعبادات الإسلامية . وقد تردد أن لهذه الحركة الكافرة جذورا في الباكستان .

وهذه الحركات الهدامة أخطر من ألف كنيسة ومنظمة إذ أنها تتكلم باسم الإسلام وتخيل للمسلمين البسطاء أنها من الإسلام فى شئ أشبة ما تكون بالورم الخبيث يحسبه

الرائى العادى شحما فيقتله من حيث لا يشعر ولا يدرى .

وبعد كل ما علمنا وما لانعلم أكثر يأتى شيخ وقور يتكلم بإسم الإسلام ليخوض معركة ضارية مستعملا فيها لكافة أسلحته النقلية والعقلية ليثبت بالدليل القاطع أن أبا يزيد البسطامى المتوفى فى 210 هـ والذى مضى على وفاته الف ومائتا سنة كان مشركا لتفوهه بألفاظ قد توحى بذلك أو على أحسن الأحوال هو حلولى .

نعم لقد كان موقف ما يسمى بالعلماء من هؤلاء الوهابيين المعاصرين تافها وفارغا وأجوفا . أجسادهم فى القرن الخامس عشر الهجرى وعقولهم فى القرن الخامس عشر الميلادى ، وامتلأت المكتبة العربية بالكتب والرسائل التى يسهرون على تسطيرها وحشيت بالأراجيف والكذب على السادة الصوفية ومشككة فى منهجهم الذى هو منهج الصحابة والسلف الصالح .

وكانت نكسة لكل مؤمن غيور على دينه أن يشاهد الوقت والجهد والمال ينفق فى مالا فائدة فيه فى الوقت الذى تواجه فيه الأمة التحديات من الشرق والغرب وهى أشد ما تكون اليوم حاجة إلى كل عرق ينبض وجهد يبذل ودرهم ينفق وعقل ينظم وساعد ينفذ . ولكننا لم نفقد الأمل فى أن يتيقظ هؤلاء إلى الهاوية التى يدفعون بمن يرى رأيهم إليها وأى هاوية أكبر وأعظم من بذل الرخيص والغالى فى سبيل إثبات أن الله تعالى قدما والعدو ينقل قدمه كل يوم إلى أرض جديدة . وإلقاء الخطب وتسويد الصحف لإثبات أن الذكر باسم الله بدعه والكنيسة تطبق خطة مدروسة بعناية للقضاء على الإسلام فى المناطق البعيدة لتضييق الدائرة شيئا فشيئا حتى تصل إلى النهاية التى ترجوها .

حتى كانت الفترة الأخيرة إذ رأينا حتى من كنا نظن فيه الخير منهم ينحرف إلى الهرطقة والهراء فرأينا أنه قد يكون من المفيد تنبيه هؤلاء إلى خطورة ما هم عليه وإرشادهم إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين .

موضوع الكتاب

هذا الكتاب الذى بين يديك هو رد على كتاب للشيخ أبو بكر جابر الجزائرى أسماه «إلى التصوف ياعباد الله» ، فإن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين « ما ترك شاردة ولا واردة تقدح فى التصوف إلا ذكرها فيه وطبع فى 1408 هـ 1987 م بمطبعة المدنى بالقاهرة شارع العباسية . ولم يقع فى يدى إلا مؤخرا فى سنة 1409 هـ أوائل مارس 1989 م .

وطريقتنا فى الرد عليه هو ذكر كلامه بدون حذف لحرف واحد منه ثم نتبعه بردنا عليه حتى لا نتهم بأننا ندعى عليه مالم يقل أو نفهم مالايقصد أو أن نذهب إلى غير ما يريد .

وقد رافقنا مؤلف كتاب إلى التصوف ياعباد الله من أول صفحة فى كتابه المذكور إلى آخر الفصل الذى وضع له عنوان « لمحات من الوجه المظلم للتصوف سطرا سطرا وكلمة كلمة أما ما بعد فلم نرد عليه إذ لم يذكر فيه المصنف إلا بعض المأثورات عن النبى صلى الله عليه وسلم والأذكار تحت عنوان « الإسلام نعم البديل » ونحن نشجع كل ما اهتم بها وواظب عليها .

وللشيخ أبو بكر الجزائرى كتاب أسماه « منهاج المسلم » جمع ولخص فيه العديد من المسائل الفقهية التى لا غنى للمسلم عنها من صلاة وصوم وزكاة وغيرها واستدل فيه بأقوال بعض السادة الصوفية فى بعض المواقع وهو كتاب مفيد في معظمه . وكتاب أسماه « عقيدة المؤمن » ثم ختم بكتابه الذى بين أيدينا وهو « **إلى التصوف ياعباد الله** » . ولا أعلم إن كان له غيرها .

وقد يسأل سائل عن سبب ردنا على هذا الكتاب بالذات دون كل الكتب والمؤلفات المشابهة له فى الموضوع فنقول :

إن معظم الآخرين لم يتكلموا عن التصوف بالتفصيل كما فى هذا الكتاب بل تعرضوا له ضمن مؤلفات أو خطب أو دروس مما يجعل الرد من غير الممكن . ناهيك عن بعضها مما خاض فى الموضوع بسذاجة وبلاهة لا نستطيع أن ننزل بأنفسنا إلى

مستوي مناقشتها أو الرد عليها ومن أطرفها كتاب صغير عبارة عن محاضرة لدكتور اسمه محمد بن ربيع المدخلي بعنوان « حقيقة الصوفية في ضوء الكتاب والسنة » تفضل الدكتور المذكور بإلقائها على طلبة دار الحديث المكية في 1401هـ ذكر فيه أدوية يطلي الصوفية به أجسادهم مكونه من دهن الضفادع وباطن قشر النارنج وحجر الطلق (أنظر ص 38) وأعطى فيها نبذة عن أعظم العلماء المعاصرين (أنظر ص 41) .

وقد جمع وحدد مؤلف كتاب إلى التصوف ياعباد الله مسائل النزاع والخلاف الذي يراه هو وقبيله في التصوف وبوبها وذكر أدلتهم علي خطئها . فردنا عليه هو رد علي كل من يرى رأيه ولا أظن أن هناك ما يعيبونه على التصوف بزعمهم غير ما ذكر فبينا خطأه من صوابه فيما ذهب إليه . وأثبتنا ـ إن كان كتاب الله وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم هما وسيلة الإثبات ـ بطلان وفساد كل ما يذهبون إليه في محاولة لجمع الشتات وإيضاح أنه لا وجود للخلاف إلا في العقول المريضة المتخلفة التي تأبى الانصياع والتسليم لحكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بحجة التفوق المذهبي أو الطائفي وما إليهما من أسماء ما أنزل الله بها من سلطان « **إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون** » { النور - 51 } .

وقد أصطلحنا في كتابنا هذا على تسمية الشيخ أبو بكر جابر الجزائري بالمصنف طلبا للاختصار .

وختاما فإن كتابنا هذا هو محاولة متواضعة لتعديل مسار الدعوة الوهابية المعاصرة وترتيب أولياتها مع ملاحظة أنه لا مأخذ عليها سوى اجتهادهم في تقديم المسائل الثانوية على الأصول الأساسية وتحجرهم علي ظاهر النص بتعسف ثم دأبهم غير المستند إلى حجة نقلية أوعقلية علي نبذ التصوف والصوفية وقدح وذم التصوف وأهله .

وربما كانوا لا يعلمون أنهم بهذا يحدثون من الفتنة والشقاق بين المسلمين ما لايعلم به إلا الله ، وقد حدث بمدينة « درنه » أن بعث أحد المتأثرين بهذه الدعوة إلى أحد أساطينها يسأله فيها عن الصلاة خلف إمام صوفي فأتاه الرد بعدم الجواز فامتنع هو

وأصحابه عن صلاة الجماعة بالمسجد مع أن هذا الصوفى يحفظ كتاب الله تعالى ومواظب على الصلاة وأعمال البر قبل أن أولد أنا . وقد سمعت بأذنى نفس هذا السؤال يوجه إلى شيخ يلقى درسا فى الحرم المكى المشرف ولكن الشيخ كان حكيما إذ أجاب بأنه مالم يأت هذا الصوفى بما يقدح فى إمامته فالحكم الجواز ، بل وحدث أن نشبت معركة فى أحد المساجد بنفس المدينة لم تنته إلا بتدخل الشرطة لنفس هذه الأسباب وهذا غيض من فيض وقليل من كثير لا يعلمه إلا الله .

ومن المعلوم أن هناك العديد من ذوى الإطلاع والعلم وحسن الفهم بين هؤلاء ونسأل الله أن يوفقهم لخدمة دينهم ويأخذ بأيديهم إلى ما فيه رضاه ونحن نقصد بحديثنا الغالبية لا الكل والذى يعنينا أولا وأخرا هو الإشارة إلى ما فى هذا الأمر وغيره من إثارة للفرقة والانقسام بين المسلمين .

وأيضا فإن كتابنا هذا هو محاولة لشرح مقام الإحسان فى الإسلام وهو التصوف . وإن كنا لا ندعو أحدا لأن يكون صوفيا فالتصوف موهبة لا اكتساب ولكننا ندعو بشدة من خلاله إلى نبذ الفرقة بين المسلمين والانقسام وأن يحترم كل رأى غيره ليحترم رأيه .

والله الموفق

أحمد سالم اكريم القطعانى

درنه – الجماهيرية الليبية

الفصل الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة والصلاة والسلام علي محمد نبى الإسلام وكفى به نبيا ورسولا . ورضي الله عن آل نبينا وصحابته فاضلا ومفضولا .

وبعد فإنه – وباللأسف الشديد – قد ظهرت الدعوة للتصويف من جديد وبعد أن ظن المصلحون انها قد مضت فلا ترجع وماتت فلم تنشر وذلك بعد أن أظهروا زيفها وكشفوا عوارها وازاحو ستارها مما تخفي وراءها من جيوش الخراب والدمار . تلك الجيوش الكافرة الفاجرة التي ما فتئت تضرب في جسم أمة الإسلام حتي مزقته أشلاء وطرحته لكلاب الاستعمار اجزاء فامتصوا دمه وأكلوا لحمه وكسروا عضمه وواروه التراب وظنوا أن لا يبعث إلي يوم الحساب [1] .

علماء الإسلام والتصوف

ابتداء المصنف بتأسفه الشديد عل ظهور الدعوة للتصويف – على حد قوله – من جديد ،

ونحن نتساءل متى وكيف علم أرشده الله – أن التصوف قد اختفي وفقد ومضى العاملون به المستمسكون بمنهجه المبني على تعاليم الإسلام القائمون العابدون المستمسكون بالعروة الوثقى لا انفصام لها الملتزمون بالقرآن الحكيم وسنة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم شرعة ومنهاجا فإن هذه الشجرة الطيبة المباركة ما توقفت عن النمو وإتيان أكلها كل حين بإذن ربها في بستان المعرفة وحدائق اليقين .

والمصنف ليس بحاجة للتأسف والأسى عل هذه الدعوة فقد أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم أمانا لأهلها منذ أربعة عشر قرنا فقال : « **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك** » [2] . فلن ينقطع أثرهم على مر الزمان أو يخلو منهم قطر أو مكان .

---

1) يلاحظ أننا نميز كتاب إلى التصوف ياعباد الله للشيخ ابو بكر الجزائري بالخط المائل داخل قوسين

2) رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه .

وأيضا نتساءل عن المصلحين الذين رأوا أن الدعوة للتصوف مضت فلن ترجع من هم ؟ فإن كانو هم علماء الإسلام المشهود لهم بالتقدم والمزية المتفق على عدالتهم وعلمهم فإن ما بين أيدينا من آثارهم يثبت غير ما قال المصنف وما كان جلهم إلا من أهل التصوف . كيف لا ؟ وما هي آثارهم تشهد بصدق حالهم ومقالهم وهل التصوف إلا صدق الحال والمقال . وهل هو إلأصلاح الظاهر والباطن ، فالتصوف علم تعرف به أحوال تزكية النفوس وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر لنيل السعادة الأبدية وهذا يحتم علي كل مسلم أن يكون صوفيا . قال الحافظ السيوطي : (وأما علم القلب ومعرفة أمراضه من الحسد والعجب والرياء ونحوها فقال الغزالي إنها فرض عين) [1] فأصبح والحال هكذا من اللازم على كل مسلم حريص على رضوان ربه أن يطهر نفسه من مثل هذه الأمراض ليفوز بمغفرته وعفوه قال صلي الله عليه وسلم : « **لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**) [2] .

ولو أننا رجعنا في رحلة عبر التاريخ من القرون المفضلة المشهود لها بالخيرية وحتي يومنا هذا وجلسنا إلى علماء الإسلام الذين ملئوا الدنيا علوما ومعرفة وكانوا ولا يزالون القدوة الحسنة لكل مسلم غيور على دينه صادق في إيمانه . لوجدنا منهم الشيخ الصوفي الذي يعطي الطريق للمتأهلين له . يقول الشيخ محمد بن علاء الدين الحصفكي « 1088هـ » مفتي الحنفية بدمشق والعلامة المعروف صاحب كتاب إفاضة الأنوار على أصول المنار والدرالمنتقي وشرح قطر الندى في كتابه الشهير الدر المختار : (إن أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى قال : أنا أخذت هذه الطريقة من أبي القاسم النصراباذي وقال أبو القاسم أنا أخذتها من الشبلي وهو من السري السقطي وهو من معروف الكرخي وهو من داود الطائي وهو أخذ العلم والطريقة من أبي حنيفة رضي الله عنه) [3] .

وإذا انتقلنا إلى الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة لرأيناه يتحدث عن التصوف حديث من عرف التصوف فيقول حاثا للمسلم على الابتداء بعلم الجوارح ثم الانتقال إلى

1) الأشباه والنظائر للمحدث الجلال السيوطي ص 504 .

2) رواه مسلم .

3) الدر المختار للحصفكي ج 1 ص 43 .

علم معالجة القلوب ومحذرا من الاتجاه للتصوف بدون ذخيرة من الفقه وحاضا على الجمع بينهما : (من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقق) [1] . ولعمر الحق إنها لحكمة جليلة من عالم حكيم وكأنه يرى من مكانه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ ألف ومائتين وخمسين عاما ما سيفعله الذين ظنوا أن التصوف هو الجهل والمخرقة فأشبعوا البطون وأجاعوا العقول وتسابقوا على الدنيا وتراخوا عن الآخرة وانبثوا في جماعات المسلمين يظهرون طريق القوم ويبطنون البطالة والنوم . ولو أنهم أخذوا بنصيحة هذا الإمام لطلبوا العلم وعملوا به فلعلهم ارتقوا من الإسلام إلى الإيمان ومن الإيمان إلى الإحسان ولا يقنوا أنه لا تصوف بدون علم ولا فائدة في علم لا ينتفع به صاحبه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها .كما يدور الحمار في الرحا فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يافلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى كنت آمر بالمعروف ولا أتيه وأنهى عن المنكر وأتيه** » [2] .

ويقول محمد بن عيسى « 933 هـ » شارحا لهذه الحقيقة : (طريقتنا اتباع العلم بالعمل والاستغفار مما قبله) . أي معرفة وعلم ثم اجتهاد وعمل ثم استغفار من التقصير والجهل فكلما ترقى الصوفي من درجة إلى التي أكمل ورأى ما كان فيه من التضييع والتقصير بادر إلى الاستغفار والتوبة وهكذا في رقي لا ينتهي ، إذ لا نهاية ولا حد لعبادة الله سبحانه سبحانك ما عبدناك حق عبادتك سبحانك ما شكرناك حق شكرك . ويحدثنا إمام أهل الحديث الجلال السيوطي في كتابه تأييد الحقيقية العلية أن الإمام الشافعي رضي الله عنه صحب الصوفية بل واستفاد منهم علوما فيقول : (صحبت الصوفية فلم استفد منهم سوى حرفين وفي رواية سوى ثلاث كلمات قولهم : الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك وقولهم نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل

---

1) قواعد التصوف – للشيخ احمد رزوق الفاسي ص 3 .

2) متفق عليه .

وقولهم : العدم عصمة) [1] .

فهو يصحب الصوفية ويعرف لهم فضلهم ويتعلم منهم بل ويقتدى بطريقتهم إذ ينقل عنه الإمام العجلونى حجة علم الحديث فى كتابه كشف الخفا وزيل الالباس قوله : (حبب إلى من دنياكم ثلاث ترك التكلف وعشرة الناس بالتلطف والاقتداء بطريق أهل التصوف) [2] .

وهذا وإن كان ليس بحاجة للذكر وموجود باستفاضة فى مصادره إلا أنه عندما ذكر المصنف سامحه الله - أن المصلحين ظنوا أن الدعوة للتصوف قد مضت فلا ترجع اضطررنا لذكر المصلحين حقيقة لا الذين هم أنفسهم بحاجة للإصلاح ، المصلحين الذين لا يوجد مسلم فى طول العالم وعرضه فى قارات العالم الست إلا ويعرف قدرهم وفضلهم ولا أحسبنا مغالين إن قلنا إن الغالبية العظمى من المسلمين تتعبد ربها على مذاهب هؤلاء الأئمة .

وكان الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه يقول لولده عبد الله : (يا ولدى عليك بالحديث واياك ومجالسة هؤلاء الذين سموا أنفسهم صوفية فإنهم ربما كان أحدهم جاهلا بأحكام دينه . فلما صحب الإمام أحمد أبا حمزة الصوفى وعرف أحوال القوم أصبح يقول لولده : يا ولدى عليك بمجالسة هؤلاء القوم فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد وعلو الهمة) [3] .

والأئمة الأربعة يعدون من الصوفية وقد ذكرتهم كتب الصوفية وتحدثت عنهم وعددت مناقبهم ، وذكر الحافظ أبو نعيم « 430هـ » الكثير عنهم فى كتابه حلية الأولياء وقدم لكل منهم بما هو أهل له .

وفى الحقيقة إنه وإن تعددت تعريفات التصوف فإنه ليس إلا وكما قال الأستاذ الجنيد (استعمال كل خلق سنى وترك كل خلق دنى) [4] . وجل مثل هؤلاء عن ألا يدخلوا

1) تأييد الحقيقة العلية للإمام السيوطى ص 15 .

2) كشف الخفاء وزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلونى ص 341 ج 1.

3) تنوير القلوب - للشيخ أمين الكردى - ص 405 .

4) النصرة النبويه - للشيخ مصطفى المدنى ص 22 ، 1.

في حميد الأخلاق ويخرجوا عن رديئها ، وإن آثارهم لتشهد بأنهم كانوا من أولي الصفاء والمشاهدة والعلم الكشفي اليقيني فيقول الإمام مالك رضي الله عنه : (إن العلم ليس بكثرة الرواية وإنما هو نور يضعه الله تعالى في القلب [1] .

وقال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه متحدثا عن الصوفيه مبينا لمكانتهم : (لا أعلم أقواما أفضل منهم قيل : إنهم يستمعون ويتواجدون قال : دعوهم يفرحوا مع الله ساعة) [2] .

وقال عبد القاهر البغدادي « 429 هـ » في كتابه الفرق بين الفرق عن الصوفية بعد أن قسم أهل السنة والجماعة إلى ثمانية أصناف ومتحدثا عن كل صنف منهم بما يناسبه : (منهم الزهاد الصوفية الذين أبصروا فاقصروا واختبروا فاعتبروا ورضوا بالمقدور وقنعوا بالميسور وعلموا أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك مسئول عن الخير والشر ومحاسب علي مثاقيل الذر فأعدوا خير الإعداد ليوم الميعاد وجري كلامهم في طريق العبارة والإشارة علي سمت أهل الحديث دون من يشتري لهو الحديث لا يعملون الخير رياء ولا يتركونه حياء دينهم التوحيد ونفى التشبيه ومذهبهم التفويض إلى الله تعالى والتوكل عليه والتسليم لأمره والقناعة بما رزقوا والإعراض عن الاعتراض عليه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » [3] .

ولا ريب أن رأى عبد القاهر البغدادي المجمع على علمه وإحاطته بعلوم ومقالات وأفكار كل الفرق الإسلامية التي وجدت حتي عصره من سنة وشيعه وخوارج ومعتزله وقدريه ومرجئه وجهميه وغيرها يختلف كثيرا عن رأى المصلحين من علماء المصنف .

ويقول الإمام أبو القاسم القشيري « 492 هـ » في رسالته عن الصوفية : (جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم) [4] .

---

1) ابن العماد في الشذرات ج 1 ص21. ميزان الاعتدال للذهبي ج 1 ص 192 . مالك لأمين الخولي ص 312 .

2) غذاء الألباب – للسفاريني الحنبلي ج 1 ص 120 .

3) الفرق بين الفرق للإمام عبد القاهر البغدادي ص189 .

4) الرسالة القشيرية – الإمام القشيري – ص 2 .

ويقول حجة الإسلام الإمام الغزالي « 505هـ » : (ولقد علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالي خاصة وأن سيرتهم أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق) (1) .

ويقول العلامة فخر الدين الرازى « 606 هـ » صاحب التفسير في كتابه اعتقادات فرق المسلمين والمشركين : (والمتصوفة قوم يشتغلون بالفكر وتجرد النفس عن العلائق الجسمانية ويجتهدون ألا يخلو سرهم وبالهم عن ذكر الله تعالى فى سائر تصرفاتهم وأعمالهم منطبعون على كمال الأدب مع ذكر الله عز وجل ، وهؤلاء هم خير فرق الآدميين) (2) .

وقال سلطان العلماء العز بن عبد السلام «660 هـ » : (قعد القوم من الصوفيه على قواعد الشريعه التى لا تنهدم دنيا وأخرى وقعد غيرهم على الرسوم) (3) .

ويقول العلامة تاج الدين السبكي رحمه الله « 808 هـ » فى كتابه معيد النعم ومبيد النقم تحت عنوان الصوفيه بعد أن ذكر عنهم الكثير : (والحاصل أنهم أهل الله وخاصته الذين ترتجى الرحمة بذكرهم ويستنزل الغيث بدعائهم فرضى الله عنهم وعنا بهم) (4) .

ويقول المحدث جلال الدين السيوطي « 911 هـ » فى كتابه تأييد الحقيقة العلية : (إن التصوف فى نفسه علم شريف مداره على اتباع السنة وترك البدع والتبري من النفس وعوائدها وحظوظها وأغراضها ومراداتها واختياراتها والتسليم لله والرضا به وبقضائه وطلب محبته واحتقار ما سواه) (5) .

ويتحدث الشيخ أحمد الشرباصي فى كتابه يسئلونك فى الدين والحياة عن التصوف فيقول : (التصوف الإسلامي القويم هو أن يبلغ المؤمن درجة الإحسان التى هى أعلى

---

1) المنقذ من الضلال – حجة الإسلام الغزالي – ص 131 .

2) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين – الإمام فخر الدين الرازى ص 72 .

3) نور التحقيق – للشيخ حامد صقر – ص96 .

4) معيد النعم ومبيد النقم – تاج الدين عبد الوهاب السبكي ص 119.

5) تأييد الحقيقة العلية – للإمام جلال الدين السيوطي – ص57 .

الدرجات في التوجه إلى الله عز وجل والتي يشير إليها القرآن الكريم في قوله « **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين** » ثم استرسل موضحا وشارحا للتصوف إلى أن قال : والإسلام يتمثل في النطق بالشهادتين والعمل الظاهر والإيمان يتمثل في اعتقاد القلب واطمئنان الفؤاد والإحسان يتمثل في اليقين والإخلاص وهذا الاخلاص هو لب التصوف وعماد أمره) [1] .

ويقول شيخ الأزهر عبد الحليم محمود : (التصوف قوة ذلك أن نفوس الصوفية هينة عندهم في سبيل الله يبذلونها عن رضا لإعلاء كلمة الله فهم الذين جشموا أنفسهم المشاق لنشر الإسلام بين ربوع أفريقيا وأقطارها التي لم تفتحها الجيوش الإسلامية وقد كان لهم الفضل الأكبر في نشر الإسلام في أندونيسيا وغيرها من الأقطار النائية وينشرونه بالقدوة الطيبة والخلق الكريم أكثر مما ينشرونه بالدعاية التي قد لا تجدى) [2] .

ويقول الشيخ محمد متولى الشعراوى متحدثا عن التصوف : (التصوف رياضة ومعنى أنه رياضه أنه يلزم الإنسان نفسه بمنهج تعبدى لله فوق ما فرضه عليه ولكن من جنس ما فرضه وهنا حين يعبد الإنسان ربه بفوق ما افترضه عليه يكون قد أخذ خطوه ناحية الود لله والله سبحانه وتعالى يقول في الحديث القدسى « **من أتانى يمشى أتيته هرولة** » ولم يقل سبحانه جئته أمشى ولو قالها لكان المشي بالنسبة له شيئا كبيرا ولكنه يقول أتيته هرولة فما بالك بهرولة منسوبة لله . ومن هنا يدخل الإنسان في مقام الود مع الله ومعنى أن يوده الله أن يصافيه وإذا صافاه فهل من المعقول أن إنسانا يكتفى بما فرضه الله عليه يتساوى في عطاءات الله بمن عبد الله فوق ما افترضه عليه ؟ ليس من المعقول .

ويستمر في شرحه فيقول : والدليل على أن هذا طريق الحق أن الذى يتأخر فيه عن صاحبه يتمسك بالمتقدم لا يغير منه بل يحبه ويتمنى له المزيد من التقدم ولكن في أمور الدنيا ربما يضيق الإنسان بالأفضل منه لكن في هذه الأمور لكل إنسان مقام معلوم

---

1) يسئلونك في الدين والحياة – للشيخ أحمد الشرباصى – ص 557 .

2) قضية التصوف المنقذ من الضلال – الإمام عبد الحليم محمود – ص 261.

والصوفي الحقيقي يسعده أن يصاحب من هو متقدم عنه لدرجة أن يصبح أحيانا كما يقولون تحت رجليه لماذا ؟ .

لأنه فهم بمقياسه إلى نفسه أنه أخذ قبسا بسيطا من الود ، لأن رياضته محدودة بمقدار كذا فإذا حدث أن الآخر مقامه أعلي فمعنى هذا أننى عندما يزيد جهدى فى العبادة يزيد عطاء الله لى) [1] .

وإننى فى الحقيقة لو أردت أن أنقل كل ما قاله علماء الإسلام الناصحون للأمة الذين قادوا المسيرة الإسلامية طوال أربعة عشر قرنا عن التصوف وفضله لاحتجت إلى مجلدات ولكنني أكتفي بما نقلت عن بعضهم من متقدمين ومتأخرين وقد أجمعوا جميعهم على فضل التصوف وعلو شأنه . وقال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : « لا **تجتمع أمتي عل خطأ** » [2] .

وقد ذكر المصنف – سامحه الله – أن المصلحين ظنوا أن الدعوة « للتصويف » على حد قوله قد مضت فلا ترجع فإن كان هؤلاء المصلحون هم علماء ديننا فهذه أقوالهم تشهد بغير ما قاله وإن كان هناك مصلحون آخرون فليس لنا بهم حاجة فلن نترك أقوال من نعرف لمن لا نعرف ، خصوصا وأن من ذكرنا قد أجمعت الأمة على تقديمهم بل لا نجد من يجهلهم من المسلمين إلا من كان منقطعا في فلاة أو متوحدا فى أقاصى المعمورة – إن وجد – فأصبح العلم بهم كالعلم الضرورى .

وعلى كل حال نحن نعلم أن المصلحين الذين يقصدهم المصنف هم بعض من الوهابيين الذين لهم آراء فى التصوف نعرفها ، ولكل مطلق الحرية في أن يري ما يشاء خاصة وأنه وكما يقول شيخ الأزهر عبد الحليم محمود : (وتزكية النفس طريق صعب المرتقى وتركيز الانتباه فى الله – وهو المقصود بالذكر – وعر المسلك ولذلك كان طريق التصوف طريقا خاصا لا يمكن سلوكه إلا لطائفة قليلة من الناس وإذا نظرنا إلى الشروط التي يجب توافرها في السالك علمنا أن النفوس الجديرة بسلوك هذا الطريق من الندرة بمكان .

---

1) مشوار حياتى آراء وأفكار – الشيخ محمد متولى الشعراوى – ص 42-40 .

2) رواه الترمذى .

بل ويحدد الشيخ رضي الله عنه صفات أهل التصوف فيقول : (إنه – التصوف – نظام الصفوة المختارة ، إنه نظام هؤلاء الذين وهبهم الله حسا مرهفا وذكاء حادا وفطرة روحانية وصفاء يكاد يقرب من صفاء الملائكة وطبيعة تكاد تكون مخلوقه من نور) [1] .

فنحن لا ندعو أحدا لأن يكون صوفيا أو لا يكون فهذه أمور بيد الله وكل ميسر لما خلق له ولكننا نرفض وبشدة محاولة المصنف – سامحه الله – الإيحاء بأن المصلحين من علماء الإسلام يرون رأيه في التصوف .

وعلى كل حال ياليته بدلا من هذا التهويل وهذه الضوضاء عن جيوش الخراب والدمار التي مزقت جسم الأمة وطرحتة للكلاب وامتصاص الدماء وكسر العظام والمواراة في التراب ، ذكر لنا اسماء هؤلاء المصلحين وأقوالهم ، فإن إقامة الحجة تكون بالدليل والبرهان لا بالثرثرة وشقشقة اللسان ولكن الأمر لله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

كثرت دوائرها وقل فعالها كالطبل يكبر وهو خال أجوف

وما أن نشر الله أمة الإسلام بعد موتها وعادت إلى الحياة بعد مفارقتها ، ورأها العدو الثالوث المركب من اليهود والمجوس والنصارى ، رأها وقد تحررت ديارها وتخلصت من نير الاستعمار الغربي بلادها واقطارها فلم يعد فيها سلطة لكافر ولا سلطان لكفار ألمها تحررها وأكربها واحزنها خلاصها واستقلالها حتي راح يبحث عن عملائه الأقدمين وجنوده المخلصين من دعاة التصوف وادعياء المتصوفين فأخذ يجمع شتاتهم ويحرك طلائعهم ويدفع بهم إلي المعركة لضرب أمة الإسلام مرة أخرى ليوهنوها ويضعفوها ويوموها يضعها مرة أخرى تحت كلكله ليمتص دمها ويأكل لحمها وعظمها كما فعل بها في المرة الأولى والعياذ بالله .

وإذا ضلت البصائر يوما فسدى ما تقوله النصحاء

يتحدث المصنف عن نشر الله لأمة الإسلام بعد موتهاوجريا علي عادته لم يحدثنا عن كيفية موت الأمة ونشرها ولكنه هكذا يسوق الأقوال غنية بالباطل خالية من الدليل والبرهان .

---

1) قضية التصوف المنقذ من الضلال – شيخ الأزهر عبد الحليم محمود – ص 257-256 .

وأمة الإسلام والله ما ماتت ولن تموت إذ أن موتها من علامات الساعة فقد روى مسلم في آخر حديث طويل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت إباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة** » . فلا أدرى إن كان المصنف قد سمع أن كل المؤمنين والمسلمين ماتوا ليحكم بموت أمة الإسلام ، وأين ذهب العلماء الصالحون العابدون الذين وبالرغم من كل الظروف أدوا رسالتهم على أكمل وجه في الدعوة إلى الله سبحانه فجزاهم الله خير الجزاء .

ولكن بما أن المصنف قد حكم بموت أمة الإسلام فهنيئا له بقاؤه بعدها ، ولمثل هذه النتائج تؤدي الغفلة

نبذة عن قيام الحضارات

ثم أننا نستغرب هذه البساطة والسطحية فى فهم الأمور فإن قصة الحضارة الإنسانية ليست فصلا واحدا أو صفحة في كتاب لا تقلب ، بل دولاب يدور وصفحات تتوالى تتلقفها أمة من أمة وشعوب من شعوب والبقاء دائما للأقوى والأذكى الذى يتعلم من أخطاء الآخرين . وأسباب قيام الحضارات عديدة ونحن بالطبع لا نستطيع أن نوردها مفصلة لأن المقام لا يحتمل ولكننا نوجز قدر الأمكان ، لعل المصنف ينظر بعمق أكثر لمثل هذه الأمور .

فنقول : إنه لكي تكون حضارة يجب أن يكون هناك علم . إذ أن الحضارات لا تقوم على الجهل ويكفى أن نعرف أنه بعد توقف السفن الشامية فى حدود عام 19 هـ – 640 م عن حمل البضائع من أسيا إلى أوربا الغربية لأسباب كثيرة نتجت عن معركة اليرموك ودخول الإسلام إلي الشام 15 هـ – 636م وكذلك استقرار الإسلام بصورة نهائية بشمال أفريقيا بعد أن أزاح القائد المسلم الحكيم « الحسن ابن النعمان » مدينة قرطاجنه من الوجود ليمنع عودة الروم إليها حيث كانت أهم موقع لها فى الشمال الافريقى – وأيضا فقد بدأ العرب فى عام 27 هـ – 648 م فى بناء أول أسطول بحري عربى فى مصر والشام مما جعل البحر الأبيض خاصا بسفن العرب .

والخلاصة أن كل هذا أدي إلى أنقطاع ورق البردى عن أوربا الغربية ولا نغالى إن

قلنا أن أوربا ابتداء من ذلك اليوم دخلت في عصورها المظلمة فإن انقطاع الورق يعني توقف النمو العلمي . وفعلا لم يأت عام 55 هـ – 677 م وهو التاريخ الذي حملته أول وثيقه من وثائق أوربا الغربية الحكومية وبالتحديد 677/9/12 م كتبت على قطعة من الجلد حتى عادت أوروبا للكتابة على الجلود ، بما يعنيه هذا من صعوبة في إعداد الجلود والاحتفاظ بها سليمة من العفن والعتة وصعوبة الكتابة عليها وحملها ، ولنا أن نتصور كتابا مكونا من مائة صفحة مكتوب على مائة صحيفة من الجلد مثلا فأين يوضع وكيف يحفظ ويذاكر .

ونعود إلى الماضي أكثر لنجد حضارة قدماء المصريين ، والآشوريين ، والبابليين ، والفرس في عهد الأخمينيين ، والأغريق الذين حل محلهم الرومان الذين حل محلهم المسلمون ليحتفظوا بمقدمة التاريخ لمدة مائتي سنة بلغوا فيها أ وج قوتهم وخمسمائة عام قادة للفكر والعلم في العالم قاطبة ، ثم حدث ما هو معروف من الاستعانة بالمرتزقة في الجيوش وتفشي الضعف وعدم المقدرة عند بعض الخلفاء واخلادهم للراحة واللهو ، وتدخل الحاشية في شئون الحكم وقيام الدول المستقلة عن الخلافة تحت امرة الخليفة الأسمية الأمر الذي أضعف الدولة العباسية .

ثم ورثت الدولة العثمانية الدولة العباسية واستمرت ما ينيف عن أربعمائة سنة حتي طرأ عليها ما طرأ على سابقتيها من عوامل الانحلال حتى سميت بالرجل المريض وفي هذا الأثناء كانت أوربا الغربية قد تلقفت مشعل الحضارة من العرب عن طريق الأندلس وجنوب شرق أوربا فتقاسمت أملاك الرجل المريض .

وها نحن الآن في أواخر القرن العشرين نري انحسار مد المستعمر وتحرر الإسلام والمسلمين من نيره ، بل ونشاهد صحوتهم وسعيهم الحثيث لاحتلال المكان الجدير بهم الذي يؤهلهم له دينهم وأصالتهم وقد قطعوا في زمن قليل مسافات شاسعة كانت تفصلهم عن الأمم التي تقدمتهم ، وفي الحقيقة هذا ليس بغريب فهم الذين بنوا أعظم حضارة عرفتها الإنسانية .

وأرجو ألا أكون قد أطلت على القارئ الكريم ولكن البساطة التي تناول بها المصنف – أرشده الله – الأمور جعلتني مضطراً لايراد مثل هذه الحقائق والبديهيات ، فإن

التحدث عن الأمم والشعوب وبعثها وانكماشها وقوتها وضعفها يكون بعد الاحاطة بدقائق التاريخ وأخباره ، لا أن ننسب هذا الأمر أو ذاك لأسباب أقل ما يقال فيها إنها لا تمت للموضوع بصلة فهذا وأيم الحق محض الافتراء أو الأفتراء المحض .

ونرجع إلى المصنف فى حملته التى يقودها ممتشقا لقلمه حاملا لراية المعرفة فى ساحة الاستدلال وحومة البراهين ، فيتحدث – حفظه الله – عن الاستعمار الغربى وتخلص بلاد المسلمين منه ، وهو يقصد هنا الاستعمار الذى تلا خروج تركيا من الميدان بعد تولى اتاتورك وتركها لبلاد العرب طعمة سائغة للدول الاستعمارية تجثم على صدرها وتكتم أنفاسها وتأخذ خيراتها وتستعبد أهلها .

وقد عرفنا قصده استنتاجا من كلامه ، اللهم إلا إذا كان يرى العلاقة بين الحروب الصليبية والاستعمار الحديث في القرن التاسع عشر والقرن العشرين . وهذا ما نستبعده .

جهاد الصوفيه

ولا أدرى هل سمع المصنف بجهاد الصوفية ضد الاستعمار وما قاموا به من حسن بلاء اعترف بضراوته الأعداء قبل الأصدقاء أم لم يجده في كتب التاريخ التى بين يديه .

ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا   عنى وما سمعوا من صالح دفنوا

وليس الجهاد بالغريب عن الصوفية كيف وهم العارفون بأن ما قدره الله كائن وما لم يقدر لم يكن ، وهم الموقنون بأن ما عند الله خير وأبقى ، ولأى شئ يدخر الصوفيه مهجهم إن لم يبذلوها عن رضا وسرور فى طاعة الله سبحانه .

وبالطبع نحن لا نريد أن نسرد كل الجهاد الصوفى عبر التاريخ بما فيه من أبطال « كشقيق البلخى » [1] وحاتم الأصم [2] وغيرهم من أئمة الصوفية فى الجهاد وحماية الثغور وصد الغازى .

جهاد السيد أحمد البدوى رضى الله عنه :

أو عن دور السيد احمد البدوى الصوفى المعروف فى الحروب الصليبية واستحداثه

1-2) أنظر حلية الأولياء – أبو نعيم ج 8 ص 64 .

لنظام قسم بموجبه أتباعه إلى فرق وكتائب جعل عليها المقدمين والنقباء وكأنه تعلم في أرقى الكليات العسكرية . ويكون بمريديه وأتباعه جيشا لجيأ عاملا في تلك المعارك الرهيبة ، ولا يزال العرب المصريون يتوارثون القصائد التي تمجد وتذكر جهاد السيد أحمد البدوي وأتباعه وفكاكه للأسرى .

ولا يغيب عن أذهاننا ما كان يستلزم إعداد ذلك الجيش المؤمن من ذخيرة وأسلحة وخيل ومؤن وعدة وعتاد ، حقا إنه رضى الله عنه ليذكرنا بالأسلاف الطاهرين وهم ينطلقون من صحراء الجزيرة ليحاربوا أعتى الجيوش وأقواها في ذلك الحين فينتصرون على الروم في أجنادين واليرموك ويجبرون « هرقل » ملك الروم على الإنسحاب إلى ما وراء جبال طوروس في خريف عام 15هـ - 636 م وينتصرون في القادسية على جيوش يزدجرد الثالث ، بل ويخضعون المدائن عاصمة امبراطورية الفرس للسيطرة الإسلامية عام 17هـ - 638 م فهذا الشبل من ذاك الأسد .

جهاد الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضى الله عنه :

أم عن دور الصوفي الجليل أبو الحسن الشاذلي الذي نراه في مدينة المنصورة في 642 هـ وقد تجاوز الستين من عمره وكف بصره مساهما في المعركة قدر استطاعته لقد كانت المعركة شغله بالنهار والليل ، فبالنهار يمر بسمته الوقور وهيبته الإيمانية والنور يشرق من ثنايا وجهه الكريم المبارك بين الجنود مبشرا بالنصر أو الاستشهاد ، وفي الليل يدعو الله للمسلمين بالنصر وفي ليلة من تلك الليالي رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشره بنصر المسلمين ، فبشر الشيخ بدوره المسلمين ، وكان ما قاله الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم .

ولن نخوض كثيرا في تاريخ الصوفية وجهادهم بل سنتحدث عن الفترة التي يقصدها المصنف عقب خروج تركيا من المنطقة العربية .

فأقول : إنه كانت للدول الغربية أطماع في أملاك الرجل المريض لأسباب قديمة يطول شرحها ، وكانت فرنسا مثلا تتحين الفرصة لابتلاع أجزاء من المغرب العربي فاستطاعت أن تصل لاتفاق تضمن بموجبه سكوت إيطاليا وبريطانيا وسائر الدول الأوربية عنها ، وأخذت تبحث عن ذريعة أو سبب .

وكان السبب حادثة غريبة من نوعها . فقد صفع داى الجزائر - لاشلت يده - قنصل فرنسا بمنشة الذباب فقالت فرنسا إن حاكم الجزائر أهان كرامة فرنسا بإهانته قنصلها فهاجمت غيلة الجزائر وسلبت الارض وسرقت الجهد . وكانت قد وضعت مخططاتها مسبقا لافساد العقول والدين واللغة وسخرت كافة الامكانيات لجعل الجزائر جزءاً من فرنسا ووزعت أراضى المواطنين أصحاب البلاد الأصليين على المستعمرين الأجانب .

وهكذا قدر لهذا المستعمر أن يستمر ما يقارب مائة وثلاثين عاما .

وقد يتساءل القارئ الكريم عن سبب صفع القنصل الفرنسى، ويظنه تجبرا وتكبرا من الداى المسلم ليس له ما يبرره أو أن القنصل المسكين دخل ليلقى بتحية الصباح على الداى فصفعه هذا بدون سبب .

ولكن الحقيقة أن فرنسا وقد أنهكتها ثورتها التى تفجرت بعد هدم الباستيل (14/7/1789) ثم أوهتها حروب المغامر « نابليون بونابرت » اضطرت لاستدانة قمح الجزائر لأطعام شعبها الجائع . وذلك بعد أن أعطت العهود والمواثيق لسداد الدين فى أجل حددته ، ولكن طال الأمر على الدين وماطلت فرنسا عدة سنين وحاولت التخلص من الدفع والتهرب بكل وسيله .

فهل كان على الداى المسئول عن شعبه والمناط به توفير الغذاء الكافى فى ذلك الوقت لأفراد رعيته أن يتغاضى عن حقوق شعبه أو أن يتصدق بما لا يملك على من لا يستحق ؟ بالطبع لا . فإن ما حدث والحال هكذا هو قضية سرقة لا أكثر ولا أقل ، فإن فرنسا تريد أن تطعم أبناءها من عرق الآخرين وكانت تلك الصفعة هى الجزاء وهكذا دخلت فرنسا الجزائر لتبقى مائة وثلاثين عاما جندت خلالها كل قواها العسكرية ، وحشدت جميع امكاناتها العلمية والمادية لتحطيم الجزائر وفرنستها ، والجزائر تقاوم وتدافع حتى كانت النهاية المحتومة وخرجت فرنسا لتعود الجزائر إلى نفسها ودينها وعروبتها وتاريخها أشد إيمانا وأعظم نشاطا .

ولكم كنا نود أن لا نتعرض لكيفية دخول الدول الغربية إلى الوطن العربى بالتفصيل طلبا للأختصار ولكن كلام المصنف عن جيوش الصوفية الكافرة التى رمت بجسم الأمة إلى كلاب الاستعمار والكفار جعلنا نأتى بهذا المثل ،، مضطرين لتوضيح الأمور حتى لا

يأثم بالظن السئ بالمسلمين فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **الظن أكذب الحديث** » [1] .

ولكى نوفر على القارئ الكريم عناء الدخول فى سراديب التاريخ ودهاليزه لأن هذا سيخرجنا عن الموضوع الذى نحن بصدده نقول : إن دخول هذه الدول الاستعمارية كان مبيتا منذ عشرات السنين وكانت تتحين الفرصة لتخرج تركيا وتحل محلها ولكنها لأسباب عدة – بحثت عن مبررات وأسباب فإن وجدتها استغلتها واستعمرت كما فى الجزائر وإن لم تجدها استعمرت على كل حال كما فى دخول واستعمار إيطاليا لليبيا عام 1911 م .

ولكن سامح الله المصنف يغفل عن أن باطل الحديث يؤول إلى سخافة القول وأن الشنآن يوقعه فى هفوات كان فى غنى عنها .

جهاد الأمير عبد القادر الجزائرى

ولا يذكر تاريخ الجهاد فى الجزائر إلا ويذكر الصوفى الشهير صاحب المواقف أوحد وقته الأمير عبد القادر الجزائرى .

وكان رضى الله عنه أمة فى رجل فهو محدث ، صوفى ، مجاهد ، فقيه ، متواضع فى عظمته ، كريم حتى فى محنته .

ولولا عجائب صنع الله ما ثبتت تلك الفضائل في لحم ولا عصب

ولو أردنا أن نذكر جهاد هذا الصوفى الكبير بالتفصيل ونتتبعه فى غدواته وروحاته ضد الفرنسيين المحتلين ونرافقه فى كره وفره برفقة إخوانه من المجاهدين رحمهم الله جميعا لكنا بحاجة إلى كتاب مستقل . ولكننا سنختصر قدر الإمكان ونكتفى فقط بإحصائية ذكرها الكونت « سفرى » فى مؤلفه عن الأمير عبد القادر يقول : (إن الأمير عبد القادر قهر مائة وخمسين قائدا كبيرا ، وعشرة مشيرين « مارشال » وخمسة أمراء من العائلة المالكة ، وستة عشر ممن تولوا وزارة الحربية وجيوشا لا يقل عددها عن مائتى ألف مقاتل .

---

1) متفق عليه .

وهدر من وراء ذلك ملايين ومليارات من الفرنكات زعزعت الاقتصاد الفرنسي وعجزت الدولة بعده عن التوازن المالي لأمد طويل (1) .

زه زه أيها الأمير ها هم أعداؤك يعترفون بصدق جهادك وقوة كفاحك بمثلك فليفتخر المفتخرون ويتحدث المتحدثون .

وهذا في الحقيقة مختصر جدا لجهاد استمر قرابة سبعة عشر عاما ولكننا نريد أن نعرف المصنف بالتصوف وأهله .

جهاد الشيخ المقراني والشيخ حداد

ويقول الدكتور رأفت الشيخ في كتابه تاريخ العرب الحديث (إن زعماء الطرق الصوفية قد ظلوا غير معترفين بالاحتلال الفرنسي ومن ثم دارت معارك عنيفة بين القوات الفرنسية والمحاربين الجزائريين في بلاد القبائل انتهت باخضاع هذه البلاد عام 1857 م .

ويفيض الحديث عن شيخ الطريقة الرحمانية محمد المقراني ومساعده الشيخ حداد وكيف قادا ثورة عام 1871في شرق الجزائر (2) .

وفي نفس المصدر السابق (إن الثورة في تونس ضد الاحتلال الفرنسي تزعمها رجال الدين وأصحاب الطرق الصوفية الذين اعتبروا الثورة ضد الفرنسيين جهادا إسلاميا واتخذت الثورة من مدينة القيروان ذات التاريخ الإسلامي العتيد مركزا لها) (3) .

ولو تركنا الجزائر وأبطالها وتونس وفرسانها وفي طليعتهم الصوفيه وانتقلنا إلى شقيقتهما ليبيا لوجدنا العجب العجاب .

وماذا عسي بالوصف يبلغ مقولي ولو مدت الأقلام من مدد البحر

---

1) الأمير عبد القادر ملك الأقطاع المغربية ، وسلطان الأرباض الجزائرية - تاليف الكونت سفري ص 33وكتاب تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر ص 14 .

3-2) راجع كتاب تاريخ العرب الحديث - د . رأفت الشيخ ص406 - 409.

جهاد شيخ المجاهدين عمر المختار

صوفي آخر جاوز السبعين من عمره أسمر اللون أبيض اللحية كثيفها ، صلب العود كأنه نجاد يماني أو رمح قيسي ، مرتديا عباءة من الصوف ممتطيا صهوة جواده حاملا سلاحه لا يغفل عنه ساعة . شرى نفسه وماله لله « **إن الله أشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوارة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم** »[1] .

وإذا ذكرت الحرب ورجالاتها والوغى وحوماتها فحيهلا بالفاتك الهندس الباقر الأطلس أسد الصحراء عمر المختار .

وليعذرني القارئ الكريم إن أطنبت في ذكر هذا الصوفي العظيم ، رمز الجهاد في العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه ومن شماله إلي جنوبه .

ولد عمر المختار عام 1275 هـ – 1858 م وتعلم العلوم الدينية التي كانت تدرس في عصره وتولى في العقد الأخير من القرن التاسع عشر زاوية القصور – منطقة ببرقه – ثم تركها بعد سنتين وذهب إلى السودان عام 1312هـ للمشاركة في الجهاد بعد أن نشبت الحرب بين القوات الفرنسية والقبائل المسلمة في واداي . وبعد عشرين شهرا من القتال هزمت القوات الفرنسية .

ثم أقام في منطقة تسمى كلك شيخا لزاويتها وقضى هناك ما يقرب من سبع سنين أخرى ينشر التصوف ويعلم المريدين من أبناء القبائل في تلك المناطق أحكام دينهم ويفض النزاعات التي تنشب بينهم بما عرف عنه من رصانه وجد وقوة في الحق ومثابرة واجتهاد ، أشبه ما يكون بعمر بن الخطاب ولا غرو فكلاهما مسلمان فهما الإسلام ببساطته وسماحته وألزاما به نفسيهما ومن أحاط بهما ، وكلاهما عاش في الصحراء يركب الخيل ويمتطي الأبل ويأكل التمر والبلح ، ألفا شظف العيش وخشونة الحياة ، وكلاهما عاش مجاهدا في سبيل الله زاهدا في الدنيا مقبلا على الأخرة عالما بحجم

---

1) التوبة – 111 .

المسئولية الملقاة على عاتقه .

وفى عام 1329 هـ – 1911 م احتل الإيطاليون الغزاه الشواطى الليبية بعد مقاومة عنيفة استشهد فيها المئات . وبعد أن مهدوا لذلك بإرسال الجماعات التبشيرية وفتح المدارس فى بنغازى وطرابلس وافتتاح فرع لبنك « دى روما » ، إلى جانب دور القنصلية الإيطالية فى كل من طرابلس وبنغازى فى التجسس على أهل البلاد ومراكز الدفاع ووسائله ، إلى جانب وجود سياسيين إيطاليين خططوا لهذا الأمر وأعدوا له العدة فى كراسى الحكم مثل رئيس الوزراء « كرسبى » و« جوليتى » الذى تولى بعده .

فكان هذا الصوفى الجليل وقد بلغ من الكبر عتيا فى طليعة الناهضين للجهاد ، كيف لا وهو الصوفى الصادق الواثق . ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها** » (1) ألم يشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الشيخ الجليل وأمثاله بالأفضلية عندما سئل أى الناس أفضل ؟ فقال : « **مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله** » (2) .

ومن أولى بالجهاد من الصوفيه أليسوا هم العلماء العاملين ، وهذا الشيخ الجليل فى مقدمتهم ، ولهذا لم يحل عام 1340 هـ – 1922 م إلا وهو القائد العام والرئيس الأعلى للمجاهدين فى ليبيا . يقول القائد العام الإيطالى الجنرال « رود ولفوغراسيانى » فى بيان له عن المعارك التى نشبت بين جنوده والسيد عمر المختار إنها كانت 263 معركة خلال ثلاثة وعشرين شهرا ، هذا عدا ما خاضه السيد عمر المختار من المعارك خلال عشرين سنة قبلها ضد الإيطاليين ويقول : (إن عمر المختار يختلف عن الآخرين فهو شيخ متدين بدون شك قاس وشديد ومتعصب للدين ورحيم عند المقدره ، ذنبه الوحيد أنه يكرهنا كثيرا وفى بعض الأوقات يسلط علينا لسانه ويعاملنا بغلظة مثل الجبليين كان دائما مضادا لنا ولسياستنا فى كل الأحوال لا يلين أبدا ولا يهادن إلا إذا كان الموضوع فى صالح الوطن العربى الليبيى ، ولم يخن مبادئه فهو دائما موضع الاحترام رغم التصرفات التى تحدث منه فى غير صالحنا) (3) .

---

1) متفق عليه .

2) رواه البخارى ومسلم .

3) كتاب برقة الهادئه – الجنرال رود ولفو غراسيانى ص 370 .

ويقول عنه : (كان حريصا على عقيدته يواجه كل من يتعرض لها بسوء يكره الدخلاء ويحارب كل من يعتدى على وطنه ولا يقبل أى تدخل من أى أجنبى فى قضية وطنه العربي وبالأخص ليبيا) [1] . ثم يصفه بوصف أدق فيقول : (عمر المختار يتمتع بذكاء حاضر وحاد وكان مثقفا ثقافة علمية ودينية له طبع حاد ومندفع ويتمتع بنزاهة خارقة لم يحسب للمادة أي حساب ، متصلب ومتعصب لدينه ، وأخيرا كان فقيرا لا يملك شيئا من حطام الدنيا) [2] . وما كان الصوفية بالذين تغرهم الدنيا وبهرجها فهم الذين إن وجدوا آثروا وإن فقدوا شكروا إنهم بقية السلف الصالح رضى الله عنهم من الذين « **صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا** » [3] . ولكن .

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد   وينكر الفم طعم المـــاء من ســـقم

وعندما يؤسر السيد عمر المختار ويؤتى به إلى غراسيانى فى مقر حكومته يصفه قائلا : (وعندما حضر أمام مدخل مكتبى تهيأ لى أن أرى فيه شخصية آلاف المرابطين الذين التقيت بهم أثناء قيامى بالحروب الصحراوية يداه مكبلتان بالسلاسل رغم الكسور والجروح التى أصيب بها أثناء المعركة وكان وجهه مضغوطا لأنه كان مغطيا رأسه بالجرد [4] يجر نفسه بصعوبة نظرا لتعبه أثناء السفر بالبحر ، وبالإجمالى يخيل لى أن الذى يقف أمامى رجل ليس كالرجال له منظره وهيبته رغم أنه يشعر بمرارة الأسر) [5]

قال شوقى يرثى عمر المختار :

وأتى الأسـير يجر ثقل حـــديده   أســـد يجرر حـــية رقـــطاء

عضت بســـاقيه القـــيود فلـم ينؤ   ومشت بهيـــكله الســـنون فناء

سبـــعون لو ركبـــت مناكب شاهـق   لترجـــلت هضـــباته إعيـــاء

---

1) المصدر السابق – ص 268 .

2) المصدر السابق – 272 .

3) الأحزاب – 23

4) الجرد : لباس معتاد من الصوف .

5) كتاب برقة الهادئة – الجنرال دود ولفو غراسياني – ص 279 .

وكان المجاهدون يطلبون منه البقاء فى المواقع الخليفة ويدعهم يخوضون المعارك شفقة عليه فكان يرد فى قوة : أتريدوننى أحرم الشهادة . وبالفعل حقق الله تعالي مراده فى16 / 9 / 1931 م عند الساعة التاسعة صباحا بعد أن اصطف عدد هائل من السجناء والمعتقلين وأحاط بهم الجنود من كل جانب في قرية سلوق ، وأتى بالسيد عمر المختار إلى الساحة لينفذ فيه حكم الإعدام شنقا فيتقدم بسنيه التي جاوزت السبعين وشيبته الجليله إلي حبل المشنقة فتنتقل هذه الروح الطاهرة الزكية إلى بارئها وتحظى بقربه .

دفعوا إلى الجــــلاد أغلب ماجـد ... ياســوا الجراح ويطلق الاســـــراء

ويشــــاطر الأقران ذخر ســلاحه ... ويصــف حول خــوانه الأعــــداء

جهاد أبو بكر البوال السعيدى

صوفى آخر حارب المستعمر الإيطالى وشارك بسيفه وقلمه فى العديد من المعارك بل وكان مدربا للقوات العربية المسلحة التى كانت تقاوم المستعمر الإيطالى وتكبده الخسائر وتمنع تقدمه من المناطق الساحلية الضيقة التى احتلها إلى داخل البلاد ، وكان قد شارك فى الجيش الليبى بقيادة « أنور باشا » قبل أن تخرج تركيا نهائيا من الساحة وتترك الليبين يواجهون مصيرهم لوحدهم ويشير إليه « أنور باشا » فى مذكراته فيقول : (وقام بتدريب المتطوعين بعض المتخصصين آمثال أبو بكر البوال من عيت بوسعيده القطعان) [1] .

ولا يخفى أن أصناف الأسلحة فى ذلك الوقت لم تكن بالسهولة التي هى عليها الآن كما لا يخفي ما بها من عيوب تجعلها لا يقدم على استعمالها بل وتعليم الغير وتدريبهم عليها إلا المختصون بالجهاد العارفون بعدته وسلاحه ، وكان بعد الحرب الليبية الإيطاليه لا يركب إلا الحمار تواضعا لله وتذللا إذ لم يكن يركب فرسه إلا فى الجهاد وكان حافظا لكتاب الله الكريم يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر يجول بين ربوع البادية مرشدا الناس إلى فضائل الأعمال دالاً لهم علي مكارم الأخلاق وله العديد من القصائد فى الوعظ والإرشاد تروى عنه وتنقل ولولا أنها باللهجة العامية لنقلت منها ما يدل على فضل هذا

---

1) مذكرات انور باشا – ص78 .

الرجل وعلمه . وقد انتقل إلى رحمة الله تعالى فى أحد نجوع البادية في1951 م ودفن شرق مدينة طبرق رحمه الله وجعل الجنة قراره ومأواه .*

وقبل أن نترك موضوع جهاد الصوفية نشير إلى نوع من أنواع الجهاد كان فى السابق له أكبر الأثر فى حفظ حدود بلاد المسلمين من الغازى والمعتدى ، وهو الرباط .

الرباط :

وتعريف الرباط هو : الوقفه التى يقفها أبناء الأمة على الحدود يخيفون معسكرات الشرك ويحمون حدود البلاد والرباط من أصعب وأشق المهمات التى يقوم بها المجاهدون على حدود العدو . وعادة أهل الرباط هم فئة من الناس قليلة تقيم فى هذا الرباط بعيدا عن المدن واللهو والضجيج ويعيشون حياة الزهد والورع ، وهذا لا شك يحتاج إلى جهد وصبر وجلد وقوة ولهذا كان جل المرابطين من الصوفية . ولهذا السبب صارت لفظة مرابط علما على الصوفية وأولياء الله عامة في المغرب العربى ، يقول المؤرخ على مصطفى المصراتى متحدثا عن الصوفية وإقامتهم في الرباطات : (يؤكد – يعنى الرباط – نوعا من المواجهة والمصارعة ولونا من ألوان الفروسية والجهاد المقدس يصور ويؤكد هذا كثرة المزارات والأضرحة للأولياء والمتصوفة على شط البحر على الساحل هى فى الواقع أماكن للرباطات وثكنات للمجاهدين .

والرباط موطن الجهاد وكانت عيون هؤلاء الزهاد المتعبدين عيونا فاحصه وأيديهم على الزناد تجابه الغزاه والقراصنة ولصوص البحر من أوروبا ، وما وجود مثل هذه المزارات على شط طرابلس مثل الشعاب وعبد الجليل والهدار والمصرى والأندلسى وأيضا أبو شعيفه بقصر أحمد بمصراته وفي ناحية زواغة وعند زواره من المنطقة الغربية وغيرها ما هى إلا رباطات إسلامية للدفاع عن البلاد وحماية الثغور الإسلامية من اعتداء القراصنة والوافدين من أوروبا) [1] .

ثم يقول فى صفحة أخرى من نفس الكتاب : (هذا يدل على أن الصوفية وأصحاب هذه المزارات لم يكونوا غالبا من دعاة الهروب والسلبية بل هم يحملون السلاح ويجاهدون

---

*) توفى المجاهد أبو بكر البوال فى 2 / 8 / 1950م ، 19شوال 1369هـ ودفن بمقبرة السيد مفتاح بريذع بمنطقة سراويل شرقى طبرق .

1) كتاب مؤرخون من ليبيا – الأستاذ على مصطفى المصراتى ص 84 – 92.

في سبيل الله والوطن وفي مقبرة الشعاب كثير من مزارات المجاهدين الذين كان لهم موقف بطولي لصد غزو البحر ومجاهدة النفس أيضا لقد كان نضالهم عمليا ولم يكن تجردا روحيا) [1] .

وفي الحقيقة أن السائر عل طول الساحل بالمغرب العربي يلاحظ الكثير من هذه الرباطات المتناثرة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط أضرحة أولئك الصوفية الذين استشهدوا دفاعا عن البلاد الإسلامية أثناء الحروب الصليبية في المغرب العربي عبر العصور .

وبعد فقد تجلى تجلي الشمس في رائعة الضحى دور الصوفية الأماجد في الدفاع عن بيضة الإسلام والمسلمين ومقاومة جيوش الاستعمار الغربي المشرك .

وياليت المصنف بدلا من هذا الحديث المرة بعد المرة عن أكل اللحم والعظم وعملاء الاستعمار من دعاة التصوف . . . الخ أتى لنا بأدلة تثبت حجته فإننا نصرح بل نصرخ بأعلى صوت إن مثل هذه الكلمات لا تسمن ولاتغني من جوع ، ولكن يالمصيبة العقل إذا تآمر عليه الجامدون .

ومن هنا وقد رأينا بأم أعيننا تجرؤ أدعياء التصوف الزائف من دعاة التصوف المرتزقة نحو أمة الإسلام ليزيدوا في محنتها .

عودة للإدعاءات الباطلة

يالها من غفلة أبت أن تزول ، إن من يقرأ هذا الكلام يظن أن المصنف كما قال الشاعر :

قد سلك البلاد ثم عاد　　　ليخبر القوم بما استفاد

وهو في الحقيقة لا استفاد ولا أفاد اللهم إلا بكلام منمق عن الصوفية الذين امتصوا الدم وأكلو اللحم وكسروا العظم . . . الخ ولا ندري من أين أتى بهذا اللهم إلا إن كان يتحدث عن صوفية ببلاد الواق واق أو على كوكب المريخ . ثم يخلص إلى هذه النتيجة الغريبة وهي إننا قد رأينا بأم أعيننا ، وما الذي أراه لنا حتى يصل بنا إلى هذه النتيجة

1) المصدر السابق .

. هل ظن – أرشده الله – إن إقامة الدليل تكون بمثل هذه الأساليب الساذجة .

روى المسعودى أن رجلا ادعى أنه ابراهيم الخليل فقال المأمون : ما سمعت باجرأ على الله من هذا وأمر أحد الحاضرين باستجوابه فقال :

يا هذا إن ابراهيم عليه السلام كانت له براهين .

قال : وما براهينه ؟

قال : أضرمت له النار وألقى فيها فكانت عليه برداً وسلاما فنحن نضرم لك نارا ونطرحك فيها فإن كانت عليك بردا وسلاما كما كانت عليه أمنا بك وصدقناك .

قال : هات ما هو ألين من هذا .

قال : فبراهين موسى عليه السلام .

قال : وما هى ؟

قال : ألقى العصا فإذا هى حية تسعى تلقف ما يأفكون وضرب بها البحر فانفلق وبياض يده من غير سوء .

قال : هذا أصعب ولكن هات ما هو ألين من هذا .

قال : فبراهين عيسى عليه السلام .

قال : وما براهينه ؟

قال : إحياء الموتى . . . فقطع الكلام فى براهين عيسى وقال جئت بالطامة الكبرى دعنى من براهين هذا .

قال : فلا بد من براهين .

قال : ما معى من هذا شئ وقد قلت لجبريل إنكم توجهوننى إلى شياطين فأعطونى حجة أذهب وإلا لم أذهب فغضب جبريل عليه السلام وقال : جئت بالشر من ساعة أذهب أولا فانظر ما يقول لك القوم .

فضحك المأمون وقال : هذا من الأنبياء التى تصلح للمنادمة) [1] .

---

1) مروج الذهب للمسعودى ج 2 ص345

والخلاصة أن الأدلة والبراهين هي المعول عليها لا الادعاءات الباطلة وإلا اختلط الحابل بالنابل والمحسن بالمسئ ولأدى هذا لان يكون عندنا ألف نبي بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وألف كتاب بعد القرآن الكريم ، وعلي هذا جبلت الفطر السوية والعقول السليمة .

ولكل شخص أن يعتقد ما يشاء ويكتب ما يريد إلا في الدين فإننا لا نقبل فيه قول أحد كائنا من كان إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الأمين المأمون على وحى السماء وهو الذى لا ينطق عن الهوى . والله لو قال لنا إن الشمس تشرق من المغرب لرمينا بكل حقائق الجغرافيا والفلك عرض الحائط وصدقناه ولو قال إن حجرا صلدا سيلد إنسانا لسارعنا إلى إعداد شاة العقيقة مطوحين بقوانين الممكن والمستحيل فى أول بئر نجدها . فكيف وهو لم يخاطبنا إلا بما نفهم بل ويأمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم ، كيف وشريعته مؤيده بالأدلة والبراهين العقلية والنقلية تحترم أولى الألباب وتحضهم على التفكر فى ملكوت الله ليعرفوا رب الملكوت والتدبر فى عجائب صنعته وفى أنفسهم ليعرفوا قدرته على صنع ما يشاء .

أقول : إننا لا نسمح باتهام المسلمين بالباطل وقذفهم بأشنع وأقبح الصفات ونعتهم بالجيوش الكافرة الغادرة المرتزقة فإن هذا الكلام يوجب البينه . أو إقامة الحد الشرعى .

وتوسيع هوة الشقاق والخلاف بينهم .

الصحابة والتصوف

منذ أول يوم للدعوة الإسلامية وجد التصوف وإن لم يكن مذكورا بالاسم فإنه كان موجودا بحكم الحال والواقع المعاش والتطبيق اليومى للإسلام فقد دأب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على تربية أصحابه رضي الله عنه ظاهرا وباطنا وليس هذا إلا التصوف لا أكثر ولا أقل . قال الشيخ أحمد زروق (التصوف علم قصد به إصلاح القلوب وإفرادها لله تعالى) [1] . وقد قضى الرسول صلى الله عليه وسلم طوال سنى ما قبل الهجرة فى إصلاح قلوب صحابته وإفرادها لله تعالى فلا نافع ولا ضار ولا معطى

1) قواعد التصوف – احمد زروق – قاعدة 13 .

ولا مانع إلا الله وحده ، ولا يسوق الخير ويدفع البلاء إلا رب السماء ، ولم يتنقل إلى تنظيم حياة المسلمين فيها بينهم وطرق معاملاتهم ومعاشهم إلا بعد أن أخرج من قلوبهم كل وصف دني وحلاها بكل وصف سني ، وإلى هذا أشار المؤرخ ابن خلدون في مقدمته عند كلامه عن التصوف فقال :

(وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف ، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية) [1] .

وإلى هذه الحقيقة نفسها يشير العلامة محمد أبو زهرة اذ يقول : (ولا أود أن أتعرض لنشأة التصوف في الإسلام وقبل الإسلام ولكنني لا أستطيع أن أقول إن عمر بن الخطاب لم يكن متصوفا وهو الذي قال فيه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم لو كان في هذه الأمة محدثون لكان عمر بن الخطاب ، أو الذي كان يعتقد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أقرب أصحابه إلى الله حتى أنه عندما ذهب إلى العمرة وجه إليه القول وقال له : « لا تنسنا من دعائك يا أخي » ولا أستطيع أن أقول إن أبا بكر الصديق الذي كان يركب الصعب من الأمور ضابطا نفسه والذي أثر عنه أنه قال كلاما ما نسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم واختلفت الرواية في قائله « رجعنا من الجهاد الأصغر وهو القتال إلى الجهاد الأكبر وهو مجاهدة النفس » وأبو بكر هو الذي يقول : فر من الشرف يتبعك الشرف) [2] .

وإذا فهمنا والأمر هكذا أن التصوف قدوته المثلى وأسوته الحسنة هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه قد سار عليه كبار الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من

---

١) مقدمة ابن خلدون – ص 328 .

2) مجلة لواء الإسلام – العدد العاشر – السنة التاسعة – ص 645 –647 انظر كتاب حقائق عن التصوف للشيخ عبد القادر عيسى ص 614 - 617 .

المؤمنين الصادقين المخلصين إلى يومنا هذا فهمنا أنه لا وجود لهوة الشقاق التي وسعها الصوفية إلا فى عظيم علم المصنف أن سمي الوهم علما ولو أننا سلمنا له قوله لقادنا إلى أن كبار الصحابة والتابعين كانوا يوسعون هوة الشقاق بين المسلمين حاشاهم من ذلك حاشاهم . وإلى مثل هذه النتائج يقودنا علم المصنف .

ثم لماذا لم يات لنا المصنف بمثال على ما يقول من مصادر التاريخ الموثوق بها وانا لنقنع منه حتى بالإشارة العابرة والعبارة الموجزة ولكنه لا يسأم – هداه الله – من ذكر الكلمات الطنانة الرنانة دسمة الظاهر خاوية الباطن ، فالذهب يتبين بالمحك ومحك العلم الدليل .

وحيث أنه أبى إلا ذكر الشقاق والخلاف بين أمة الإسلام ، فإننا نسأله فى أى زمن وعلى يد من من الصوفية كان هذا ، وهل سمع المسلمون عن صوفي كفر مسلما كما يفعل « بعضهم » واستحل دمه وماله وجعل داره دار حرب . ولولا أننا لا نريد الخروج عما نحن بصدده لتحدثنا عن الكثير من هذه الأمور مما يعلم المصنف أننا لا نجهله .

فهذا يولف كتابا ويكتب رسالة

اعتراض عجيب

لله در المصنف ما الذي يدعوه إلى ما لا يعقل ولا يصح فمن المعروف أنه منذ اكتشاف الحروف والإنسان يكتب على الحجر وفى بطون المغارات وعلى صفائح الجلود وأكتاف الحيوانات وجريد النخل وقطع الخشب ولأسباب كثيرة يعرفها أرباب التاريخ تصدر علماء الإسلام لأكثر من ألف سنة طائفة الكتاب فى المعمورة وخلفوا من الكتب فى كل الفنون ما لم يخلفه غيرهم من الأمم بل وامتازوا بعلوم استحدثوها لازالت البشرية تدين لهم بفضل السبق فيها ، وكما قلنا سابقا إن حضارة الأمم لا تقوم إلا على العلم والعلم إن فقد القرطاس أعطى محله للجهل .

فهل أذنب الصوفية أن ألف بعضهم كتابا أو وضع رسالة ، ولا أحسب إلا أننا لو أسقطنا ما كتبه كل من انتسب للتصوف فى شتى العلوم وعلى رأسها العلوم الإسلامية طوال عصور الإسلام السابقة لفقدنا أهم وأنفس الكتب من مكتبتنا الإسلامية . فإن كان اعتراض المصنف على تأليف الكتب والرسائل فإننا لوجاهة هذا الاعتراض نرفض

الرد ، ولا نخاف لبذره زرعا ، ولا لغرسه طلعا .

وإن كان على ما يكتب بهذه المؤلفات فياليته ذكر لنا ما الذى وجده فى كتبهم حتى نلتمس له العذر وحتي نزيد الأمر وضوحا نجدنا مضطرين لتوضيح ما نعني .

كتب التصوف

الصنف الأول

العلم الكسبى هو القنطرة التى يعبر عليها السالك إلى مرفأ الأمان إذ لا يتنور الباطن أو يعمر الظاهر إلا بتعلم العقائد والعبادات والمعاملات وغيرها . وإنه وإن كان للساده الصوفية منهجهم فى تلقى العلم الوهبي اليقينى إلا أنهم أعطوا العلم الكسبى أهمية كبيرة ، إذ أن علاقة العلمين هى علاقة تكامل تام ، وإن شئت قلت إن العلم الوهبى هو شدة الفهم وجودة المعرفة وحسن الدراية ومن ثم التطبيق العملى للعلم الكسبى ، ولهذا فإن كتب السادة الصوفية فى عموم العلوم الإسلامية هى الموجوده بين أيدى المسلمين من تفسير وحديث وسنن ولغة وفقه وأصول وجرح وتعديل ومغاز وسير وما شابهها مما هو معروف ومتداول عند أهل العلم .

ولا ننسى أنهم جميعهم يقرءون كل هذه الكتب ولكن كل حسب درجة علمه وحفظه واهتمامه ، وليس الأمر على كل حال بكثرة العلم بل بالعمل والتقوى قال تعالى : **« واتقوا الله ويعلمكم الله »** [1] . والتقوى هى المائز الذى امتاز به الصوفية وحاصل التقوى اجتناب وامتثال ، فعملوا بالإسلام ولم يتركوا منه شيئا يقدرون عليه إلا عملوا به بعد أن كفوا عن جميع ما نهوا عنه ، قال صلى الله عليه وسلم : **(فإذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه وإذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم)** [2] .

ويشير الأستاذ صبرى عابدين فى حديثه فى ندوة لواء الإسلام إلى هذه الحقيقية فيقول : (أكبر المصائب التى أصابت المسلمين أنهم لم يأخذوا بالإسلام كله ، أما

---

1) البقرة - 282 .

2) رواه البخارى ومسلم والترمذى واحمد وابن حبان وابن ماجه .

الصوفية فقد ألزموا أنفسهم أن يأخذوا بالإسلام كله ، بل زادوا عليه أنهم ألزموا أنفسهم ألا يأخذوا بالرخص بل بالعزائم ، مع أن الله يحب أن تؤتي رخصه كما تؤتى عزائمه . لماذا ؟ لأن مذهبهم يقوم على الزهد بالمعنى الذى يفهمه العلم ، وأزيد على ذلك أن أساس الزهد جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم زاهدا فى الحياة ولذائذها ، عاش الرسول صلى الله عليه وسلم وانتقل إلى الرفيق الأعلى ولم يأكل رغيفا مرققا ولا أكل علي خوان) (1) .

الصنف الثانى

وهم بالأضافة إلى الكتب التى ذكرنا ، لهم كتب يختصون بها ، وهذا فى الواقع شئ طبيعى فلكل فن كتب يختص بها أهله فنجد لأرباب التاريخ كتبهم الخاصة بهم الحاوية لعلومهم المتحدثة عن العصور السابقة وحضارات الأمم وتاريخ البشر ، ولأهل الطب كتبهم المتحدثه عن الأمراض وتشخيصها وعلاجها ووظائف الأعضاء والتشريح ولأصحاب اللغة كتبهم الشارحة لطلاسم اللغة الموضحة لما استغلق منها المليئة بالشواهد وأقوال كبار شيوخها .

وهذا فى الواقع شئ معروف ومألوف ولا يحتاج إلى إيضاح وكذلك للصوفية كتبهم المتحدثة عن فنهم الشارحة لعلومهم الناطقة بكلامهم ، وهى عديدة ومتنوعة نذكر منها ما اشتهر مثل كتاب الرعاية للحارث المحاسبى 243 هـ والرسالة القشيرية للقشيرى376 هـ واللمع للسراج الطوسى378هـ والتعرف لمذهب أهل التصوف للمحدث الحافظ الكلاباذى 380 هـ والحلية للحافظ أبى نعيم الأصبهانى 430 هـ وقوت القلوب لأبى طالب المكى 386هـ وكان الشيخ الشاذلى رضى الله عنه يقول : (كتاب الإحياء يورثك العلم وكتاب القوت يورثك النور) (2) ، والمواقف والمخاطبات لمحمد النفرى 345 هـ ، وكتب الإمام الغزالى 505 هـ مثل الإحياء ومنهاج العابدين وكيمياء السعادة ومشكاة الأنوار ، وكتاب عوارف المعارف للسهروردى 632 هـ وكتب الشيخ عبد القادر الجيلانى 561 هـ الغنية والفتح الربانى وفتوح الغيب والفيوضات الربانية وكتب الحكيم الترمذى 432هـ وكتب ابن

---

1) مجله لواء الإسلام – العدد العاشر – السنة التاسعة – انظر حقائق عن التصوف – ص 611.
2) لطائف المنن – ابن عطاء الله السكندرى ص 62 .

عطاء الله السكندرى 709 هـ مثل متن الحكم وتاج العروس ولطائف المنن والتنوير وكتب أحمد زروق 899هـ النصيحة الكافية وقواعد التصوف وعدة المريد الصادق وشرح الحكم العطائية والمباحث الأصليه للسرقسطى [1] وروض الرياحين لليافعى 768هـ . وهذه الكتب وإن كانت تختص بدراسة أحوال ومعارف القوم إلا أنه من النادر ألا نجد من لم يطلع على بعضها وأحيانا كلها من المشتغلين بالعلوم الإسلامية .

الصنف الثالث

المتفرقات المأثورة عن كبار الأساتذة كسفيان الثورى 161 هـ والفضيل عياض187 هـ ومعروف الكرخي 200 هـ وابو سليمان الدارانى 215 هـ وبشر الحافى 227 هـ وذى النون المصرى 245 هـ وسرى السقطى 353 هـ وأبى يزيد البسطامى 261 هـ والجنيد 297 هـ والشاذلى 656هـ وأبى العباس المرسى 686 هـ والجزولى872 هـ وأبى مدين شعيب 594 هـ وغيرهم . ولا توجد فى مصدر واحد بل متفرقة فى بطون الكتب الإسلامية وحتى ما يوجد منها الآن مجموعا لم يقم بجمعه أصحابها بل جمع بعدهم ، فيوجد مثلا فى الرباط جزء يشتمل على مجموع من كلام الجنيد – لم يصل إلى علمنا أنه طبع بعد – وهناك العديد من مثل هذه المجاميع لبعض كبار السادة الصوفيه .

ولبعضهم مؤلفات اشار إليها ابن النديم فى الفهرست ولكنها لم تصل إلينا فقد فقدت فيما فقد من مؤلفات نتيجة النكبات المختلفة على أمة الإسلام ولاسيما غزو التتار لبغداد وإن كنا لم نقطع الأمل فى العثور عليها .

الصنف الرابع

دواوين الشعر الصوفى كديوان الحاتمى ، وديوان ابن الفارض ، وديوان عبد الرحيم البرعى ، وديوان عبد الغنى النابلسى وقصائد البوصيرى وديوان اليافعى وغيرها . وما تركه السادة الصوفيه من مقطوعات شعرية ومنظومات .

وإذا ما ذكرنا الشعر الصوفى وشعراء الصوفية فلابد من الإشارة إلى ذلك الصنف من الشعر الذى كان للصوفية شرف القيام والاختصاص به بعد الصحابة رضوان الله

---

1) الغالب أن الشيخ ابن البنا السرقسطي توفى فى النصف الأول من القرن التاسع بمدينة فاس .

عليهم ونعنى به فن المدائح النبوية .

المدائح النبويـــــة

وهى شعر ينبع عن إيمان صادق ومحبة عميقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، نعم إن محبته صلى الله عليه وسلم تتمثل فى اتباع سنته ، ولكن أرأيت من أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبع سنته وملكت هذه المحبة عليه شغاف قلبه فنطق لسانه بما فى فؤاده ، وأمر المحبة أمر غريب وعجيب لا يخضع لمنطق أو قياس ، والحب سر غريب أودعه الله قلوب خلقه لحكمة يعلمها ، فلولاه ما سهرت أم على طفل لها مريض ولا سقطت دمعة لغياب رفيق ، ولا انفطر الفؤاد أسى لفقد عزيز .

وقد كان للسلف الصالح من الصحابة الكرام اليد الطولى فى محبته صلى الله عليه وسلم ومدحه خلقا وخلقا بما يليق بجنابه الكريم .

فيصف أحدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رآه في حلة حمراء فيقول : (ما رأيت شيئا قط أحسن منه) [1] ، ويصفه أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وصفا جامعا يختمه بقوله : (يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم) [2] ويصف هند بن أبى هالة الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر) [3] .

وتغمر مشاعر الحب الصادق للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قلب الصحابى جابر بن سمرة فيقول : (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة أضحيان – مقمرة – وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر إليه وإلى القمر فلهو عندى أحسن من القمر) [4] ، وأوعد الرسول صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير فيأتى هذا متلثماً حتي يكون بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول له : رجل يبايعك فيمد النبى صلى الله عليه وسلم يده فيمد كعب يده فيبايعه ويسفر عن وجهه وينشده قصيدته « بانت

1) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه والترمذى .

2) رواه الترمذى .

3) رواه الترمذى والطبرانى والبيهقى .

4) رواه الترمذى .

سعاد » مادحا بها الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يبلغ قوله :

ان الرسـول لسيف يستضاء به مهـند من سيوف الـلـــه مسلول

انبئت أن رسول اللـــه أوعدني والعـفو عند رسـول اللـــه مأمول

في فتـية مـن قريـش قال قائلهم ببطن مـكة لما أســلموا زولــوا

فأشار الرسول صلى الله عليه وسلم لمن معه أن اسمعوا ويكسوه بردة له ويحتفظ كعب بهذه البردة ثم يشتريها معاوية بن أبي سفيان من أبنائه بعد موته [1] .

وهناك في حضرموت تصنع امراة اسمها تهناة بنت كليب كسوة وتدعو ابنها واسمه هو الآخر كليب وتقول له : انطلق بهذه الكسوة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسلم فيدعو له الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيقول كليب مادحا هذا النبي الكريم متأثرا بما رآه من أخلاق النبوة :

أنت النبــي الذي كنا نخـــبره وبشـــرتنا به الأحـــــبار والرسل

من دين موهوب يهوي في عذافره اكيـد باخير من يـحفي وينتعل [2]

ويمدح أنس بن زنيم رسـول الله صلى الله عليه وسلم فينطق بأصدق بيت شعر قالته العرب :

فما حملت من ناقة فــوق رحلها أبـر وأوفـــى ذمة من مـــحمد [3]

ويمر الصـحابي جناب الكلابي على النبي صلى الله عليه وسلم ويسمعه يقول لحسان بن ثابت : إن جبريل على يميني وميكائيل عن يساري والملائكة قد أظلت عسكري فخذ في بعض هنائك ، فيطرق الرجل شيئا ثم يقول :

ياركن معتـمد وعـــــصمة لائذ وملاذ منـــتجع وجـــــار مجـــاور

1) الاستيعاب للقرطبي ص 283 الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج 1 ص 279
2) الاصابة في تميز الصحابة ابن حجر العسقلاني ج 1 ص 289 ترجمه 7452.
3) المصدر السابق ج 1 ص 81 ترجمة 267 .

يامن تخيـــره الإله لخلقـــــــه فحـــباه بالخلـــق الزكى الطـــاهر

أنت النبـــي وخـــير عصبة آدم يامـــن يجود كفيـــض بحـــر زاخر

ميكـــــال معك وجـــبريل كلاهما مـــدد لنصرك من عـــزيز قـــادر

فيدعوا الرسول صلى الله عليه وسلم لحسان ويقول خيرا [1] .

وتصف أم المؤمنين السيدة عائشة رسول الله صلي الله عليه وسلم فتقول : كان والله كما قال فيه شاعره حسان بن ثابت :

متى يبد فى الداجي البهيم جبينه يلح مثل مصـــباح الدجى المـــتوقد

فـــمن كان أوقد يكون كأحمـــد نظام لحـــق أو نكـــال لمـلـــحد [2]

ويسـير السادة الصوفية من بعد هؤلاء الصحابة الكرام على نفس النهج فغرقت قلوبهم فى بحر محبته صلى الله عليه وسلم وعرفوا ما قدر الله لهم من فضله ومكارم أخلاقه وجميل شيمه فيقول شاعرهم :

والله ما حمـــلت أنثى ولا وضعت كمثل أحـــمد من قاصي ولا داني

مهذب شرف اللـــه الوجود به وخصـــه بدلالات وبرهــــــان

ويستغرب آخر عدم مسارعة المشركين للإيمان برسالته صلى الله عليه وسلم وقد آمنت به حتي الحيوانات العجماء وأنواع الجمادات فيقول :

ويح قـــوم جفوا نبيا بأرض ألفتـــه ضبـــابها والظـــباء

وســــلوه وحـــن جذع إليه وقلــــوه ووده الغـــربـــاء

ويقول آخر :

محـــمد خير منزول بساحـــته كهـــف الأرامـــل والأيتـام والـغربا

---

1) الاستيعاب للقرطبى المالكى ج 1 ص 264 .

2) المصدر السابق – ج 1 ص 234 .

أغر أرسله الرحـــــمن مرحمـــــة الخلـق بالحـــق يهدى العجم والعربا

نور الوجود تمام الوجـــد أن نزلت به الوفــود بسوح ضــــــيق رحبا

ونحن نخرج عن الموضـوع إن أردنا التوسع ونكتفى بـهذه الإشـارة التى وإن كـانت موجزة إلا أنهـا أعطت فكرة عن فن المدائح النبوية ودور الصوفـيـة فى المحافظة عليـه والأهتمام به .

الصنف الخامس

ثم هناك كتب أكثر خصوصية من السابقة وهى كتب التراجم والطبقات التى أختصت بذكر السادة الصوفية والتعريف بهم وجمع أقوالهم كالطبقات الكبرى للشعرانى وطبقات الصوفية للسلمى ، ولطائف المنن لابن عطاء الله السكندرى . وتدخل كتب المناقب ضمن هذه المجموعة ، وهى التى تحدثت بتخصص أكثر عن صوفى بعينة كسفينة الغزال المتحدث عن الشيخ محمد بن عيسى ومواهب الرحيم المتحدث عن الشيخ عبد السلام الأسمر وما شابهها وهى متوفرة ومعروفة عند المختصين حتى من غير الصوفية كعلماء التاريخ والسير والأدب .

الصنف السادس

وهو صنف أهتم به المتأخرون من علماء السادة الصوفية ويكاد يكون مقصورا عليهم بعكس الأصناف السابقة وهو علم الأسانيد وتحقيقها وضبطها .

وسبب ضيق دائرة المهتمين بهذا الصنف واقتصاره على الخاصة من علماء التصوف المتأخرين ، أنه قلما تجد عند غيرهم دافعا أيا كان لمعرفة السبب فى انقطاع السند بين عبد الرحمن المدنى وأبو بكر الشبلى عن طريق عبد الله التازى مثلاً ، وهل ما نظمه الأمير فى هذا الموضوع يؤخذ به أم يرد .

وسبب أهتمامهم به أنه لما دخل فى ما بين السادة الصوفية مدعون ينتسبون للطريق لفظا وينقطعون معنى الذين ما عرفوا من التصوف إلا اسمه ولا حملوا منه إلا رسمه لا همة لهم فى تخل ولا تحل ولا رغبة لهم فى حق ولا حقيقة بل لا يهتدون إلى ذلك سبيلا ولا يطلبون عليه دليلا وحسبهم تقليد اللاحق منهم للسابق فيما هم عليه من ذميم الحال

والطرائق ونسبوا ما هم عليه من حال قبيح إلى أهل الطريق وأرباب التحقيق ، واجههم مشائخ الطريق بانقطاع أسانيدهم وجبهوهم بحقائق الأدلة وأثبتوا لهم أن ما هم عليه لا يتصل ولا يرجع إلى أصل ولا يوجد فى طريق القوم عليه بينة ، وأن لكل غاية وسيلة ولكل مقصود طريق ولا وسيله ولا طريق إلا وسيلة المعرفة وطريق العمل ، ولا يتأتى مثل هذا الدليل إلا لمن عرف علم الطريق دراية ورواية .

وتفهم أهمية هذا العلم إذا عرفت أن أهم شرط فى التصوف أن يؤخذ عن شيخ عارف تربى على يد غيره ولا يخفى أن الفنون كلها لا بد فيها من واسطة فمن رزق الواسطة رزق الفن .

وفى عرف أهل الطريق أنه من لا شيخ له لا يعبأ به ولا يلتفت إليه ولو حفظ العلوم ونبغ فى المعقول والمنقول ، إذ التصوف لا يؤخذ إلا من صدور الرجال فأصبح والحال هكذا لاتصال السند أهميته ، قال الطيبى صاحب حاشية الكشاف (لا ينبغى للعالم ولو تبحر فى العلم حتى صار أوحد أهل زمانه أن يقنع بما علمه وإنما الواجب عليه الاجتماع بأهل الطريق ليدلوه على الطريق المستقيم حتى يكون ممن يحدثهم الحق فى سرائرهم من شدة صفاء باطنهم ويخلص من الأدناس وأن يجتنب ما شاب علمه من كدورات الهوى وحظوظ نفسه الأمارة بالسوء حتى يستعد لفيضان العلوم اللدنية على قلبه ، والاقتباس من مشكاة انوار النبوة ولا يتيسر ذلك عادة إلا على يد شيخ كامل عالم بعلاج أمراض النفوس وتطهيرها من النجاسات المعنوية وحكمة معاملاتها علما وذوقا ليخرجه من رعونات نفسه الأمارة بالسوء ودسائسها الخفية فقد أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان شيخا له) [1] .

وقبل أن نختم حديثنا عن كتب الصوفية هناك ملاحظة لابد منها وهى : الدس على كتب العلم بصفة عامة وأثره التخريبى .

الدس على كتب الإسلام

ومعنى الدس هو إضافة ألفاظ أو جمل وأحيانا تغيير الكتاب بالكامل عدا اسمه وأسم

---

1) تنوير القلوب – امين الكردى – ص 44 . أنظر حقائق عن التصوف للشيخ عبد القادر عيسى ص 58 .

مؤلفه أو أختلاق كتاب باسم ما أو نسبته لمؤلف آخر ، وبالطبع لم تكن الأمور في السابق مثل ما هي عليه الآن فلم تكن هناك مطابع أو رقابة على المطبوعات أو توثيقها بل كان الكاتب يؤلف الكتاب ثم يفعل أحد أمور ثلاثة .

1 - إما أن يحتفظ به لمطالعته الخاصة .

2- وإما أن ينسخ عن النسخة الأصلية صديق أو قريب للكاتب لنفسه ويعطيها لغيره فينسخ ومن ثم ينتشر .

3- أو أن يحمله الكاتب إلى المطبعة في ذلك الوقت وهي عبارة عن مكان معروف في الأسواق يقعد به الوراقون والنساخون فينسخون من الكتاب عدة نسخ لتباع وهكذا .

ونلاحظ أنه في كل هذه المراحل ينسخ الكتاب باليد وإذا أخذنا كمثال كتابا ضخما كالفتوحات المكية به المئات من الصفحات وجعلنا نسبة التصحيف والأقلاب والتحريف به واحد في المائة فلنا أن نتصور كيف يكون حاله بعد خمسمائة سنة مثلا ، ونحن هنا نتحدث عن الأخطاء غير المقصوده وإلا فلا رقيب على الناس إلا الله خاصة إذا علمنا أن الكتاب يؤلف في الأندلس وينسخ بعد ثلاثمائة سنة في مصر مثلا .

ناهيك عما كان يفعله بعض الحذاق كأن يكتب أحدهم كتابا وليضمن له الرواج بدلا من أن ينسبه لنفسه يضع عليه آسم مؤلف معروف ، أو ما يدسه بعض جهال الخصوم والحاسدين لتشوية صورة الخصم والنيل منه .

وحتى الآن وفي وقتنا هذا أذكر أنه وقع في يدى كتاب يتحدث عن كيفية استخراج الكنوز وتسخير الجن بمواثيق سليمان وعهوده منسوب للحافظ السيوطي وما راه السيوطي ولا سمع به ولكنه الدس والتزوير بحسن نية أحيانا وبسوء نية غالبا .

وقد دست على كتب الإسلام طوال الفترة التي تكلمنا عنها أشياء ما أنزل الله بها من سلطان إن هي إلا بهتان وضلال مبين . ولولا أن تفطن لها العلماء المخلصون لاعتقد العوام صحتها وصدقوا فريتها .

فى التفسير

فنسبوا لسيدنا إبراهيم الخليل أبو الأنبياء الكذب بل وذكروا أنه أمر زوجه السيدة سارة بالكذب [1] . وحاشاهما من ذلك ، وحفيده يعقوب عليه السلام يذبح شاه ويمر به فقير صائم فيستطعمه فيأبى فيبتليه الله بأمر يوسف [2] وسيدنا يوسف لم ينج من هذه الأباطيل إذ هم بامرأة العزيز هم فحش وسوق [3] . أما نبى الله داود الذى جعله الله خليفة مؤتمناً لا يؤتمن على زوجة بعض جنوده فيرسله إلى جبهة القتال ويكيد له ليقتل ثم يتزوج زوجته التى سبق أن رآها تغتسل على سطح فينجب منها سيدنا سليمان .

ولفقت فى ذلك قصص لا تليق بمقام الفضلاء من عوام المسلمين فما بالك بالأنبياء الأطهار خاصة الله من خلقه ذوى الأخلاق الكريمة والشمائل الجسيمة .

فى الحديث الشريف

فبعد سند طويل عن أبى هريرة قال : قال يارسول الله مما ربنا ؟ قال : « من ماء ممرور لا من أرض ولا سماء خلق خيلا فأجراها فعرقت فخلق نفسه من ذلك العرق) [4] ، ويرفع أبو أمامة حديثا فيقول : « إن الله إذا غضب أنزل الوحى بالعربية وإذا رضى أنزل الوحى بالفارسية » [5] ، والمئات غيرها مما افتراه الدساسون على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لمآرب شيطانية ، أو رغبة فى الجاه والدنيا أو تزلفا إلى الحكام .

وقد تفطن العلماء منذ صدر الإسلام الأول إلى هذه الأكاذيب فصنفوا كتب الصحاح والجرح والتعديل فما غادروا صغيرة ولا كبيرة إلا تكلموا عنها فظهر الصحيح من الموضوع والحسن من المقطوع فجزاهم الله عن دينه خير الجزاء .

فى التاريخ الإسلامى

وإذا ذكرت التاريخ فحدث ولا حرج فإنه وإن كان علماء الإسلام قد سارعوا إلى تنقية التاريخ الإسلامى مما دس بين سطوره من شوائب لتحل محلها الصحيح فى صفائح

1-2-3) ذكر هذا فى العديد من المصادر والتفاسير ، أنظره فى قصص الأنبياء – أبو إسحاق الثعالبى ص 67 –113– 100 .

4-5) اللآلى المصنوعة – الإمام السيوطى ص 3 – 11 .

النفايات ، إلا أنه ما زال هناك الكثير لينجز في هذا المجال ، والأهم من ذلك أنه لا زال هناك خلل في فهمنا واستفاداتنا من دروس وعبر التاريخ بسبب ما دس فيه من اكاذيب تظهرنا في لباس غير لباسنا وجلد غير جلدنا .

فالمسلمون أهل أكبر حضارة عرفتها الإنسانية قاطبة ، وحتي الحقبة التي يراها البعض فترة ركود وخمول وتخلف هي في الواقع لا شئ إذا قيست بعمر الشعوب ، وهاهم الآن يسابقون الريح ليأخذوا محلهم في المقدمة وهي مكانهم الطبيعي الذي لا يزاحمهم عليه أحد ، فهم خير أمة أخرجت للناس .

وهذا الذي يجب أن نفهمه ونعمل لأجله ونلقنه لمن بعدنا .

في التصوف

وكان لكتب التصوف النصيب الأوفر من الدس والتزوير وإن كان قد بلغ ذروته على الشعراني فدس عليه حياً وميتاً الشئ الكثير خصوصا في « الطبقات الكبرى » ناهيك عما دس في كتب الحاتمي وابن سبعين وغيرهما وما افترى على الحلاج والششتري والصدر القونوي والتلمساني من ترهات وأباطيل ما أنزل الله بها من سلطان ، فنسب لبعض السادة الصوفية وهم من هم علما وعملاً القول بالحلول أو الاتحاد وياليت أن الأمر توقف عند ذلك بل تجاوز جهال خصومهم وذوي المآرب المشبوهة الحد بنسبة المنكرات والمخالفات لهم .

ثم جاءت الطامة التي ما بعدها طامة من قبل هؤلاء المبشرين والمستشرقين الذين أرادوا أن يسلخوا روح الإسلام عن جسده من أمثال « فلهوزن » و« جولد زيهر » الالمانيين و« نيكلسون » الانجليزي و« ماسينون » الفرنسي . وقد كان أوائل أئمة هؤلاء المستشرقين من جمعية أصحاب النور وجمعية وردة الصليب المتفرعة من جمعية البنائين الأحرار وهم فروع الماسونية التي تحاول جهدها أن تفسد القيم الإسلامية منذ الحروب الصليبية وحتى الآن .

فنجد مثلا صوفيا كالحلاج يثير اهتمام ماسينون ويؤلف عنه كتابا يصبح هو المرجع الموثوق عنه . والغريب أن تصدق أقوالهم وينخدع بآرائهم (**لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين**

أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) [1] ، فإن كانوا حريصين على الإسلام فلماذا لم يسلموا ؟ وإن كانوا غير حريصين فلماذا نصدق أقوالهم ونهتم بآرائهم (**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين)** [2] .

ثم أنهم لا ينزل عليهم وحي من السماء بل يستقون معلوماتهم من المصادر العربية وهي بين أيدينا وبلغتنا التي نتكلم بها فلماذا نترك مصادرنا لمصادرهم وآراء علمائنا لآرائهم ، والله لن نحصد من الشوك إلا الحصرم ولن نجد عند نافخ الكير إلا الأذى ، نعم نقرأ مؤلفاتهم وبحوثهم ولكن قراءة النيقد الحاذق الذي يميز الخبيث من الطيب والدواء من الداء .

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني متحدثا عما دسه عليه خصومه في كتبه : (ومما منّ الله تبارك وتعالى به على صبري على الحسدة والأعداء لما دسوا في كتبي كلاما يخالف الشريعة وصاروا يستفتون على زورا وبهتانا ومكاتبتهم في لباب السلطان ونحو ذلك) [3] . فالدس كان منذ زمن قد امتهنه بعض من لا يخاف الله تعالى وصدقه البعض بسوء نية أو بسذاجة قديماً وحديثاً .

ويوضح الشعراني كيفية الدس كما عانى منها شخصيا فيقول : (ثم إني لما صنفت كتاب البحر المورود في المواثيق والعهود وكتب عليه علماء المذاهب الأربعة بمصر تسارع الناس لكتابته فكتبوا منه نحو أربعين نسخة غار من ذلك الحسدة فاحتالوا على بعض المغفلين من أصحابي واستعاروا منه نسخته وكتبوا لهم منها بعض كراريس ودسوا فيها عقائد زائغة ومسائل خارقة لإجماع المسلمين وحكايات وسخريات عن جحا وابن الراوندي وسبكوا ذلك في غضون الكتاب في مواضع كثيرة حتى كأنهم المؤلف ، ثم أخذوا تلك الكراريس وأرسلوها إلى سوق الكتبيين في يوم السوق وهو مجمع طلبة العلم فنظروا في تلك الكراريس ورأوا أسمي عليها فاشتراها من لا يخشى الله تعالى ، ثم دار

---

1) آل عمران – 186 .

2) آل عمران –149 .

3) لطائف المنن – عبد الوهاب الشعراني ج 2 ص 190 .

بها على علماء الأزهر ممن كان كتب على الكتاب ولم يكتب فاوقع ذلك فتنة كبيرة) [1] .

وغير هؤلاء وبدلوا في كتب الإمام الغزالي ككتاب مشكاة الأنوار وعرضوها على السلطان سنجر بقصد القضاء عليه ونجاه الله تعالى [2] .

وقد بلغ الدس منتهاه على الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي والشيخ عبد الكريم الجيلي بنسبة القول بالحلول والاتحاد لهما .

والغريب أن نجد بعضا ممن في قلوبهم مرض يتركون الأقوال الصحيحة قطعية الصدور الثابته عن هؤلاء ويهرعون إلى التقاط الدسائس والأكاذيب مما يدل على فساد نيتهم وفساد طويتهم فمما ثبت عن الشيخ عبد الكريم الجيلي قوله : (واعلم أن كل علم لا يؤيده الكتاب والسنة فهو ضلالة) [3] ، ولكن البعض يأبى إلا أن يبحث عما دسه الدساسون وافتراه المفترون فيجعله حقا ويعمد إلى الحق فيطمسه مما يشكك فيما يدعو إليه ، ويقول الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي : (واعلم أن الله تعالى واحد بالإجماع ومقام الواحد يتعالى أن يحل فيه شئ ، أو يحل هو في شئ ، أو يتحد في شئ » [4] ، ويقول : (لا يجوز لعارف أن يقول أنا الله ولو بلغ أقصى درجات القرب وحاشا لعارف من هذا القول حاشاه إنما يقول أنا العبد الذليل في المسير والمقيل) [5] .

ويقول : (القديم لا يكون قط محلا للحوادث ولا يكون حالا في المحدث) [6] ، ويقول : (من قال بالحلول فهو معلول فإن القول بالحلول مرض لا يزول وما قال بالاتحاد إلا أهل الفساد ، كما أن القائل بالحلول من أهل الجهل والفضول) [7] .

ولو نقلنا كل ماجاء عن الشيخ الأكبر في هذا الباب لخرجنا عن الإيجاز الذي تحاول جهدنا الالتزام به ولكن وكما قلنا يأبى البعض إلا ترك الصحيح واعتماد الأكاذيب والأباطيل .

ولعمري كيف يتصور عاقل أن يحل الواجب القديم في الجائز المحدث فإن هذا

---

1) المصدر السابق – ج 1 – ص 127 .

2) رسائل حجة الإسلام الغزالي – د . نور الدين ال علي ص 31 .

3) الإنسان الكامل – الشيخ عبد الكريم الجيلي ج 1 ص 127 .

4 – 5 – 6 – 7) انظر اليواقيت والجواهر – الشيخ عبد الوهاب الشعراني – ج 1 ص 80 .

يستلزم حدوث القديم أو جواز الواجب ، والغريب أن يتصور إنسان حلوله تقدس وتنزه في مخلوق حيوانا كان أم جمادا ويغفل عن أن هذا يؤدى إلي احتمال حلوله سبحانه في إمراة تنكح وتحبل وتلد ، غفرانك ربنا وعفوك تنزهت وتعاليت عن أن تحل فى الحوادث الفانية أو تحل بك .

وذاك يفتح زاوية ويوزع مناشير .

دور الزاوية فى النهضة العلمية الإسلامية

بعد أن أبدى المصنف اعتراضه « الوجيه » على تاليف الكتب انتقل إلى الأعتراض على بناء الزوايا رياض الذكر ومواقع الجهاد ، والأمر الذى يضطرنا أن نقف قليلا لنشرح وظيفة الزاوية ودورها ليعرف كل من لا يعرف ويعلم كل من لا يعلم .

أنشئ أول رباط – زاوية – صوفى فى المشرق فى عبادان أنشاه عبد الواحد بن زيد فى حوالى سنة 150 هـ أما فى المغرب وبالشمال الأفريقى عموما فكان أول رباط فى عام 180 هـ تقريبا بالمنستير وتلاه رباط سوسه بتونس 206 هـ ثم انتشرت الربط خلال القرن الثانى والثالث والرابع والخامس ، ونظرا لأن الرباط قصد به فى المقام الأول الدفاع عن الثغور ضد هجوم النصارى من البحر فإننا نجد هذه الربط لم تنتقل من سواحل شمال أفريقيا إلى سواحل المغرب الأقصى إلا فيما بعد لتركز الهجمات المسيحية على شاطئ المتوسط ، وأيضا لقتال المرتدين من سكان البلاد فكان عبارة عن قلعة متقدمة وملجأ للسكان المسلمين المجاورين فى حالة هجوم الأعداء ، وقد انتشرت هذه الربط كما قلنا على طول الساحل الأفريقى وكانت وسائل الأنذار فيما بين هذه الحاميات هى إشعال النيران لتعلم بقية الربط فتقدم النجدة والعون ، ولهذا نلاحظ وجودها على أعلى مرتفع فى المنطقة عادة وأقربه إلى البحر .

ثم ومع بدايات القرن الخامس الهجرى ابتدأ الرباط يتطور ويضاف إلى مهامه مهام أخرى لا تقل أهمية عن السابقة فقد أصبح معهدا لتعليم المسلمين ، وخلال سبعة قرون من التطور أصبحت الزوايا جامعات علمية أكاديمية تنشر العلم الإسلامى وتخرج كبار العلماء وتقدم المأوى والقرى لطلاب العلم وعابرى السبيل وتنشر الأمان عل طول الطريق والأهم من هذا كله نشر الدين الإسلامى ومحاربة المرتدين ، ولعلنا نلاحظ أن جميع

مشركي ووثني شمال أفريقيا باستثناء أقلية ضئيلة من اليهود دخلوا الإسلام وهذا لا شك لكثرة الزوايا بهذه المنطقة إذ لم توجد هذه النسبة المرتفعة من الانتشار حتي في الشام والعراق رغم وجود الخلافة بها .

وبالمقارنة بالمستوى الثقافي الإسلامي عامة نجد أن المغرب العربي كان وطوال القرن التاسع والعاشر والحادي عشر الهجري أغزر بلاد الإسلام علما ، ولا زال التاريخ يحتفظ بصورة مشرقة للتنافس العلمي الشديد الذي كان بين زاوية الدلائيين وزاوية العياشي الذي يذكرنا بالتنافس الشديد بين مدرستي الكوفة والبصرة .

وقد أنشأ الزاوية الدلائية الشيخ أبو بكر بن محمد الدلائي مؤلف كتاب « نتائج التحصيل » في أواخر القرن العاشر وقد بلغت هذه الزاوية الغاية من التقدم [1] في العلوم وخرجت فطاحل العلماء ونوابغ الفقهاء بل وكانت بمستوى جامع القرويين ، فكان بها نزل مجاني للطلبة حيث كان له ما يزيد على ألف وأربعمائة مسكن حول الزاوية وكثر المدرسون بها من مقيمين وزائرين وشبهت مكتبتها بمكتبة المستنصر الشهيرة بالأندلس ، وهناك الزاوية العياشية التي أنشأها محمد العياشي في 1044 هـ المعروفة الآن بزاوية سيدي حمزة وتقع على وادي زيز وكانت بمستوى الزاوية الدلائية بل وكانت منافسا شديدا لها ، والزاوية العيساوية التي أنشأها العارف بالله الشيخ محمد بن عيسى رضي الله عنه في أوائل القرن العاشر الهجري بمكناس وكانت تدرس العلوم الإسلامية وتقدم القرى والمأوى لعابري السبيل وكانت مأوى الرعية من جور الحكام وكهفهم الذي يلوذون به من استبداد الوزراء والأمراء من دولة بني مرين ، والزاوية التي أنشأها ابو المحاسن الفاسي في 988 هـ والزاوية الناصرية في وادي درعة بتامكروت أسسها عمر الأنصاري في 983 هـ وكان شيخها في فترة من الفترات محمد بن ناصر الدرعي العالم المشهور والزاوية التي أسسها الشيخ عبد السلام الأسمر بزليتن في الثلث الثاني من القرن العاشر وكانت تحتوي على مكتبة كبيرة وكانت مدرسة علمية كبيرة بالمنطقة حافظت رغم كل الظروف على كيانها ومنهجها عبر القرون وهي أكبر معهد لتحفيظ القرآن بليبيا الآن .

---

1) انظر لمزيد من المعلومات كتاب البدور الضاوية في أخبار الزاوية الدلائية – ابو الربيع سليمان بن محمد الحوات .

والمئات غير هذه الزوايا ويلاحظ أن كل هذا النشاط كان بالإضافة إلى قراءة القرآن الكريم وتلاوة الأذكار وتربية المريدين التربية الإسلامية الصحيحة .

ويخرج ابن بطوطه في رحلة من طنجه عام 725 هـ ليظل ولمدة 28 عاما في تنقل وأسفار طاف فيها بآسيا وأفريقيا والأندلس وليضع كتابا في عام 725 هـ يذكر فيه ما يقرب من مائة وثلاثين زاوية كانت تقدم الطعام وتقري الضيف وتقدم للمسافر الأمن والطمأنينة بل وتعطيه الزاد والثياب في طول البلاد الإسلامية وعرضها وحتي غرب اسيا [1] .

وتضاف في مصر لبعض الزاويا مهمة جديده وهي إيواء النساء اللاتي طلقن أو هجرن ولا مأوى لهن حتي يتزوجن أو يرجعن إلى أزواجهن في أقسام خاصة صيانة لهن بفضل ما كان فيها من شدة الضبط وغاية الاحتراز والمواظبة على الطاعات وإشراف من قبل نساء مؤهلات على غرار المدارس النسائية الداخلية في عصرنا هذا [2] .

وبعد فإننا نسأل المصنف لماذا لا يعترض على أفتتاح أماكن الفجور والفساد بين المسلمين بدلا من شن الحملات على معاهد العلم والتربية ومشاعل الحضارة التي كانت ولا زالت تنبت العلماء والصالحين ولكن المصنف – وياللاسف – يكثر الحز ويخطئ المفصل .

يوزع مناشير وآخر يعقد مؤتمرا ويقيم احتفالات تشكك – ومن التبجح الواضح أن مسابقات وفوازير يقوم عليها هؤلاء الأدعياء بالدعم المتواصل ويدعون أنها دينية وتنشر بصفة دورية في صحفنا اليومية – في الدعوة الإصلاحية السلفية ويطعن في دعاتها وحماة راياتها قديما وحديثا .

خروج عن الموضوع

هذا الكلام من المصنف عن الاحتفالات والمسابقات والفوازير لا علاقة له بمحل البحث وهو التصوف وما يقرب منه إلا كقرب الضفدع من الدغفل ونعتذر عن الخوض فيه .

---

1) للتوسع أنظر رحلة ابن بطوطه .

2) خطط المقريزي ج 2 ص 294 .

وساعد على تحرك هذا الباطل وأعان على انتشاره تخوف بعض الحاكمين فى أغلب بلاد المسلمين من الدعوة السلفية التى أحياها بعد موتها فى العالم الإسلامى الإمامان الجليلان أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية فى البلاد الشامية ومحمد بن عبد الوهاب فى الديار النجدية ، إذ الأول نشر الله تعالى تراثه الفكرى والعلمى والإصلاحى على أيدى الحكام السعوديين – جزاهم الله خيرا – وذلك بعد أن طوقها الزمان بأيدى دعاة التصوف والضلال فاقبل طلبة العلم فى كافة أنحاء العالم الإسلامى يقرءون لابن تيمية أفكاره الإصلاحية ويتقمصون شخصيته السلفية الطاهرة فاظهر الله دعوة الحق السلفيه فى كافة أرجاء العالم الإسلامي .

تحديد معنى السلفية

إن كانت السلفية هى اتباع كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فهذا لا يختص به مسلم دون مسلم وإن كان المسلمون يتفاوتون فى حظهم من هذا الاتباع كل حسب إيمانه وعلمه ، وعليه فلا سبب يجعل المصنف يقسم المسلمين إلى فرقتين واحدة سلفية والأخرى غير سلفية ، وأما إن كانت السلفية غير ما ذكرنا من اتباع لله ورسوله صلى الله عليه وسلم فإننا نتركها عن طيب خاطر للمصنف .

هــذا بالطبع إن لم يكن المقصود بالسلفية هو الأخذ بظواهر نصوص جاءت فى القرآن الكريم وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتلزمنا بالخوض فى ما لا نعلم أو ندرك من صفات الله تعالى ومحاولة إقناعنا أن السلف الصالح كان يعتقد أن الله مستويا على العرش بذاته فوق السماء فهو تقدس محمول محصور بل وتحت أرجل الواقف على الكرة الأرضية من الجهة السفلى المقابله وأنه ينزل إلى السماء الدنيا وأن لجنابه الأرفع الأقدس يدا ورجلا وجنبا وعينا وقدما مما لم يطالب مخلوق باعتقاده أو الخوض فيه والسلف من هذا براء إذ غاية أمرهم ومذهبهم التسليم والسكوت .

ولهذا قال : (مالك بن انس وسفيان بن عيينه وعبد الله بن المبارك والأوزاعى وسفيان الثورى والليث بن سعد : أمروها كما جاءت بلا كيفية)[1] فهو أيضا تسمية من

---

1) كتاب الاعتقاد للمحدث الحافظ البيهقى ص 44 .

غير مسمى ولولا الخوف من الخروج عن الموضوع لناقشناها بتوسع أكثر [1] .

الشيخ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رضى الله عنه

ونتمم المعلومات التى ذكرها المصنف عن ابن تيمية رحمه الله فنقول :

هو تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمة الحرانى من علماء القرن السابع الهجرى وكان قد تتلمذ للعديد من علماء عصره وأخذ عنهم كابن المنجا والمجد بن عساكر وابن عبد القوى ووافق ذلك استيلاء التتار على بلده ومن ثم قدم به أبوه مع أخويه إلى دمشق ، وقد شارك فى الحرب ضد التتار ووضع العديد من المؤلفات منها منهاج السنة النبوية ، والصارم المسلول ، والجواب الصحيح ، والاختيارات الفقهية والرد على المنطقيين ، والفتاوى ، ومعارج الوصول وغيرها .

وقد تعرض في حياته للسجن بسبب عدة أقوال نسبت إليه كنزول الله سبحانه بذاته إلي السماء الدنيا والحط من شأن بعض الصحابة والتفوه فى حق أهل بيت الرسول صلي الله عليه وسلم وفتواه فى الطلاق وغيرها من المسائل التى خالف فيها الجمهور[2] هذا فى الوقت الذى كان العلماء يتجنبون فيه إثارة المسائل الخلافية حرصا علي وحدة المسلمين وكانت تكفى كلمة واحدة عن أن الله فى السماء السابعة بذاته مثلا حتي يتعصب لها البعض ضد البعض وتتفرق الفرق ويتشتت الجميع فى وقت كانت أمة الإسلام أحوج ما تكون إلي جماعتها ووحدتها ، ويحدثنا ابن بطوطة كشاهد عيان عن معركة حدثت فى جامع بسبب كلام مثل هذا لابن تيمية فيقول : (حضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم فكان فى جملة ما قاله : إن الله ينزل إلي السماء الدنيا كنزولى هذا ونزل درجة من درج المنبر فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء وأنكر ما تكلم به فقامت العامة إلى هذا الفقيه وضربوه بالأيدى والنعال ضرباً كثيرا) [3] ، ولا ريب أن العديد من مثل هذه المعارك حدث قبل وبعد ابن بطوطه .

---

1) يلاحظ أننا لا نعترض على ما يسمى برأى السلف أو رأى الخلف وإن كنا لا نوافقهما مما لا يعنى الاعتراض أو النزاع أما مذهبنا فهو الإيمان بها على مراد الله بها .

2) أنظر حل المعاقد ، حاشية شرح العقائد ، المولوى عبد الحليم الهندى .

3) رحلة ابن بطوطه – ص 95 .

ونحن بخلاف ما يرى المصنف لا نرى ابن تيمية سلفيا بالمعني الصحيح بل نراه منحرفا عما كان عليه السلف ، وقد أشار إلى هذا العديد من علماء الإسلام يقول شيخ الأزهر عبد الحليم محمود : (وتسلسلت فكرة الإمام أحمد فتمثلت فى الإمام ابن تيمية الذى وضع لها المنطق وأرسى لها القواعد والأصول وانحرف بها إلى الشكل أكثر من الجوهر ، ثم يقول متحدثا عن السلفية الأصلية : وكان الشيخ محمد عبده من أهم العوامل فى نشرها ملطفة خفيفة تكاد تخفي أو تكاد تلبس ثوب السلفية الأولى الأصلية التي كانت قبل ابن تيمية ولا يمثلها ابن تيمية) [1] .

ولنا علي كل حال مذهب فى هذه الأمور لا نحيد عنه قيد شعره وهو : أن كلً يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلي الله عليه وسلم ، ونقف موقفا وسطا بين المصنف ومن يرى رأيه وبين العديد من علماء المسلمين الذين لهم آراء أخرى فى ابن تيمية كالحافظ ابن حجر المكي [2] والمولوي عبد الحليم الهندى [3] والشيخ زاهد الكوثرى [4] ، فنأخذ ما وافق الكتاب والسنة وإجماع المسلمين من كلام ابن تيمية ونترك ما عداها ، مع احترامنا الكامل له وعليه فإن خطأ المصنف يكمن فى محاولته الإيحاء بأنه خالف ابن تيمية أو محمد بن عبد الوهاب من آراء لا يؤخذ به لأنه لا يمثل هذه السلفية المزعومة التي يتحدث عنها .

وأعطف عليه قوله إنهما أحيا الدعوة السلفية بعد موتها وكأنهما لم يأخذا العلم عمن سبقهما من المسلمين أو نزل عليهما وحيا من السماء ولكن فى غياب المنطق تهاجر الحكمة .

وأما الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالي فحسبه أن أثمرت دعوته المملكة العربية السعودية هذه المملكة التي احتضنت دعوته السلفية فبلغت بها من الكمال ما أصبحت به تحاكي دولة الراشدين السلفيين من الصحابة والتابعين .

1) قضية التصوف المنقذ من الضلال – شيخ الأزهر عبد الحليم محمود ص 233 .
2) أنظر كتاب الجوهر المنظم – ابن حجر المكي ص 13 .
3) أنظر حل المعاقد « حاشية شرح العقائد » المولوى عبد الحليم الهندى .
4) أنظر كتاب التبصير فى الدين للاسفراييني – تحقيق الشيخ زاهد الكوثرى ص 116 .

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

ما قلناه عن الشيخ ابن تيمية نقوله عن الشيخ المستطاب محمد بن عبد الوهاب فما وافق من كلامه كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وإجماع المسلمين أخذنا به وما خالف تركناه ، ونتخذ كذلك موقفا وسطا بين المصنف ومن يري رأيه وبين العديد من علماء المسلمين الذي يخالف رأيهم رأى المصنف مثل الزهاوى [1] والشيخ المحقق علوى حداد [2] والشيخ سليمان بن عبد الوهاب أخى الشيخ محمد بن عبد الوهاب [3] الذى وضع كتاباً ذكر فيه العديد من المسائل التى خالف فيها الوهابية الكتاب والسنة وإجماع المسلمين مثل تكفير المسلمين لأسباب واهية لم ترد عن الشارع فيقول :

(إن أهل العلم ذكروا فى كل مذهب من المذاهب الأقوال والأفعال التي يكون بها المسلم مرتدا ولم يقولوا من نذر لغير الله فهو مرتد ولم يقولوا من طلب من غير الله فهو مرتد ولم يقولوا من ذبح لغير الله فهو مرتد ولم يقولوا من تمسح بالقبور وأخذ من ترابها فهو مرتد كما قلتم فإن كان عندكم شئ فبينوه فإنه لا يجوز كتم العلم ولكنكم أخذتم هذا بمفاهيمكم وفارقتم الإجماع وكفرتم أمة محمد صلى الله عليه وسلم كلهم حيث قلتم من فعل هذه الأفاعيل فهو كافر ومن لم يكفره فهو كافر) [4] .

وذكر الشيخ سليمان بن عبد الوهاب أيضا أن أخاه محمد بن عبد الوهاب وأتباعه مخالفين حتى للإمام ابن تيمية وإن كانوا يظهرون اتباعه فيقول :

(وإن قلتم أخذنا ذلك من كلام بعض أهل العلم كابن تيمية وابن القيم لانهم سموا ذلك شركا قلنا هذا حق ونوافقكم على تقليد الشيخين ان هذا شرك ولكن هم لم يقولوا كما قلتم إن هذا شرك أكبر يخرج من الإسلام وتجرى على كل بلد هذا فيها أحكام اهل الردة بل من لم يكفرهم عندكم فهو كافر تجري عليه أحكام أهل الردة ولكنهم رحمهم الله ذكروا أن هذا شرك وشددوا فيه ونهوا عنه ولكن ما قالوا كما قلتم ولا عشر معشاره

---

1) أنظر كتاب الضياء الشارق – للشيخ سليمان السحماني الرياضي .

2) انظر كتاب الأسنة الحداد – للشيخ سليمان السحماني الرياضي .

3) انظر كتاب الصواعق الالهية فى الرد على الوهابية – للشيخ سليمان بن عبد الوهاب .

4) الصواعق الآلهية فى الرد على الوهابية – الشيخ سلمان بن عبد الوهاب ص 7 .

ولكنكم أخذتم من قولهم ماجاز لكم دون غيره)[1] .

ونحن أيضا لعلم المصنف – نعتبر الأقوال التي نسبت للشيخ محمد بن عبد الوهاب كانتقاصه للنبي صلى الله عليه وسلم بعبارات مختلفه مثل قوله : (إنه « طارش » أي أن غاية أمره أنه كالطارش الذى يرسل إلى ناس فيبلغهم ثم ينصرف ، وقوله إني نظرت في قصة الحديبية فوجدت فيها كذا وكذا كذبة ، بل وادعائه النبوة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأيضا ما نسب إلى بعض اتباعه من القول بأن عصاى هذه خير من محمد لأنه ينتفع بها بقتل الحية ونحوها ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلا) [2] . نعتبره كلاما غير مقطوع الصدور ونجل الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن مثل هذه الأقوال ونكل حساب قائلها إلى الله العليم بذات الصدور .

والذي لا شك فيه أنه لو أن نصف هذا الكلام أو حتى عشر معشاره نسب إلى أحد السادة الصوفية كذبا وافتراء لما كان نصيبه من المصنف وأمثاله إلا الشتم والرمى بأبشع التهم علي ما رأينا منه فى الصفحات السابقة وما سيأتى مما هو أكبر فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

أعود فأقول لقد ساعد على تحرك المتصوفه فى هذه الأيام وإظهار دعوتهم تخوف بعض الحكام من بلاد المسلمين من الدعوة السلفية إذ رأوا فيها ما يبعث على الأنقلاب الفكرى والروحى الذى قد يؤدى أخيرا إلى انقلاب إدارى شامل يقضى على مظاهر الفسق والفجور فى ديار المسلمين ويعود بالأمة الإسلامية إلى عهد سلفها الصالح عهد تحكيم الكتاب والسنة والهجرة والجهاد إلى أن تبلغ أمة الإسلام غاياتها فى الطهر والصفا والعزة والكرامة وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

لهذا التخوف تحالف بعض جهال الحكام مع ضلال المتصوفه علي محاربة دعاة السلفية الإسلامية بين المسلمين فترى بعضا منهم لا يؤمنون بالله ولقائه لما أصاب قلوبهم من الإلحاد الماركسى يساعدون على نشر التصوف الباطل فيسهمون فى إقامة الحفلات الصوفية ويسهلون أمور القائمين عليها ويحوطونهم بعناية وحماية فى الوقت الذى

---

1) المصدر السابق – ص 6 .

2) كتاب الأسنة الحداد فى رد شبهات علوي حداد – الشيخ سليمان السحماني الرياضي ص 15 .

يضطهدون دعاة الإصلاح وينكلون بهم ويسكتونهم .

اللهم انطقنا بما فيه مرضاتك

وإن الذي بيني وبين بني أبي وبين بني عمي لمختلف جدا

فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

ومن هنا - أخي المسلم - وجب التنبية بسرعة إلى خطر هذه الدعوة الصوفية الجديدة وقبل استفحال أمرها وانتشار شرها بين المسلمين والتي يخشى أن تضيع بلاد المسلمين مرة أخري تحت وطأة الاستعمار بعد أن أنقذها الله تعالى بدعوة الإسلام التي حمل رايتها السلفيون وجاهد المسلمون تحتها حتى تحررت ديار المسلمين وبلادهم من الاستعمار الغربي الغاشم الظلوم .

لقد أعيت الحيلة في جعل المصنف يتكلم بالأدلة والبراهين ويترك التهويل والتكرار .

وقد قلنا سابقا إن التصوف هو روح الإسلام ومتي خرجت الروح من هذا الجسد حتي تعود إليه من جديد فما زال أهل التصوف العلماء العباد الزهاد الصالحون علي ما تركهم عليه رسول الله صى الله عليه وسلم .

وأما بشأن محاربة الاستعمار وصده ودحره فقد تحدثنا في المقام بما يليق .

وقياما بهذا الواجب اكتب هذه الرسالة وانشرها بين المسلمين إعلاما لدعاة التصوف المزيف أن يكفوا دعوتهم فإنه لا مجال اليوم بين المسلمين لقبول هذه الدعوة الزائفة وقد استضاءوا بنور الوحي واستناروا بهدى الكتاب والسنة واهتدوا عليهما .

موقف الصوفية من الانحراف والمنحرفين

الجواب علي أوجه :

1ـ لا أدرى متي كان سباب المسلم وشتمه ولعنه كما رأينا وسنري واجبا يدعو إلى تأليف الكتب ونشرها .

2- إن كان المقصود بدعاة التصوف المزيف هم الذين انحرفوا عن منهج (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله

شديد العقاب)[1] وحادوا عن حقيقة (**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين)** [2] وابتعدوا عن طريق (**تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)** [3] وجفوا صراط (**واتبع سبيل من أناب إلي)** [4] ، الذين ادعوا كثيرا وأخلصوا قليلا وجلسوا علي بساط التربية بالرسم ورضوا من النسبة بمجرد الأسم فهؤلاء طائفة قد سبق السادة الصوفية غيرهم إلي نصحهم ووعظهم وإرشادهم إلى الطريق القويم والصراط المستقيم .

وتحدث الشيخ عبد الحليم محمود عنهم فقال :

(ومن الغريب أنهم يدعون انتسابهم إلى التصوف ويزعمون أنهم من كبار الصوفية ومن أساطين العارفين ومن عباقرة الملهمين [5] ، بل وبين السادة الصوفية الفارق الذى يعرف به المدعى من الصوفى حتي لا يختلط الأمر ويذهب التراب بالتبر فيقول حجة الإسلام الغزالي :

(اعلم أن سالك سبيل الله تعالى قليل والمدعي فيه كثير ونحن نعرفك علامة له ، وذلك أن تكون جميع أفعاله الأختيارية موزونة بميزان الشرع موقوفة على توقيفاته إيرادا وإصرارا وإقداما وإحجاما ، إذ لا يمكن سلوك هذا السبيل إلا بعد التلبس بمكارم الشريعة كلها ولا يصل فيه إلا من واظب علي جملة من النوافل فكيف يصل إليه من أهمل الفرائض) .

3 – وكان للسادة الصوفية دور كبير في محاربة الفتن والبدع والمبتدعين الذين يجدون عند الجهلة والسوقة سوقا رائجة لتنشر سمومهم وآفاتهم ويثيرون القلاقل والفتن

---

1) الحجر ــ 7 .
2) البينة ــ 5 .
3) السجده : 16 -17 .
4) لقمان : 15 .
5) قضية التصوف المنقذ من الضلال شيخ الأزهر عبد الحليم محمود ص128.

ويشتتون جماعة المسلمين (وقد استنجد السلطان المريني بالشيخ محمد بن عيسى رضي الله عنه إثر فتنة قام بها أعجمي داخل بلاد المغرب واستقر بتوات وادعى المعرفة وطريق القوم ولحاجة خبيثة في نفسه غير من أسماء أصحابه من اسمه أبا بكر أو عمر أو عثمان أو عليا وأكثر الفساد حتى ضج الناس وذهبوا إلى القاضي الذي حول الأمر بدوره إلى السلطان لعدم استطاعته القيام به ويبدو أن السلطان هو الآخر خاف الفتنة أو وقوع حرب أهلية تعصف بالبلاد والعباد طالما عانت الأمة من ويلاتها لكثرة أتباع هذا الدعي ، فأرسل إلى الشيخ فكتب الشيخ إلى الأعجمي بكتاب جاء في اخره : « وإن لم تتب عن هذا الاعتقاد فالله يرسل لك دويبة تقتلك » وبعث بالرسالة إلى الأعجمي الذي استهزأ بها ومزقها فما أصبح الصبح إلا وقضى ذلك الأعجمي نحبه إثر لدغة من عقرب عدت عليه وهو نائم [1] ، وسنتكلم عن كرامات الأولياء وجواز وقوعها في حينه إن شاء الله .

4 – ويبدو أن المصنف قد أكثر اللغط فأكثر الغلط فإنه يقول لا مجال اليوم بين المسلمين لقبول هذه الدعوة الزائفة وقد استضاءوا بنور الوحي . . الخ وعليه فإن كل المسلمين في السابق لم يستضيئوا بنور الوحي أو يستنيروا بهدى الكتاب والسنة إذ رأيهم في التصوف غير رأي المصنف فكل هؤلاء على خطأ والمصنف وحده علي حق ، وبالطبع فالنور والهدى اللذين يتحدث عنهما هي هذه الورقات التي تكفلت بنشر هذا النور وهذا الهدى من كتابه الذي بين أيدينا .

وعرفوا ما أصابهم وما حل بديارهم من المحن والفتن قرونا طويلة من جراء دعاة التصوف وما رموا به أمة الإسلام من قاصمات الظهر

الفتن والاضطرابات في التاريخ الإسلامي

لو كنـــت تعلم ما أقــول عذرتني   أو كــــنت تعلم ما أقول عذلتكـــا

مما لا شك فيه أن للمصنف مصادر تاريخية لم يطلع عليها أحد إلا هو وجد فيها هذه المعلومات الصحيحة القيمة ، وإلا فالمصادر التي بين أيدينا خالية من هذه الحقائق الساطعة .

---

1) مختصر الغزال في سيرة الشيخ محمد بن عيسى المكناسي – الشيخ المهدي الغزال ص 40 - 41 .

فمبلغ علمنا أن الفتن ظهرت فى جسم المسلمين بمقتل أمير المومنين عثمان بن عفان رضى الله عنه بعد حصاره فى داره عام 35هـ – 656 م ثم توالت الكوارث فكانت موقعة الجمل فى نفس السنة ثم معركة صفين عام 36 هـ 657 م التى لم تسفر عن نتيجة حاسمة لكف الفتن وفى 20/ 1 /661 م 17 رمضان ٤٠ هـ استشهد سيدنا على بن أبى طالب على يد الشقى عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله ومن ثم انتقلت الخلافة إلى بنى أمية فى الشام الذين كانت فى عهدهم عشرات الحروب والفتن بين أبناء الدين الواحد ابتدأت بقتل سيدنا الحسين السبط رضى اللـــه عنه فى 10 محرم 61 هـ – 10/ 10/ 680 م بكربلاء .

ثم معركة الحرة التى استبيحت فيها حرمات المهاجرين والأنصار فى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهكت أعراضهم واستبيحت نساؤهم ثم تسلسلت الحروب والفتن من معركة دير الجاثليق إلى ضرب الكعبة بالمنجنيق وقتل الصحابى عبد الله بن الزبير رضى الله عنه فى 18 جمادى الآخرة 73 هـ وصلبه بالكعبة المشرفة والتمثيل به ، ثم حروب الخوارج الشهيرة ، ومعركة دير الجماجم بين ابن الاشعث وجيوش عبد الملك بن مروان ثم استمرار حروب الخوارج بدون توقف تقريبا إذ زادت عن خمسمائة معركة فى مدة خمسمائة سنة ثم معركة الزاب وقتل مروان بن محمد فى « أبو صير » .

وأنتهت الدولة الأموية ليبدأ من يوم 25 / 1 / 750 م – 26 ذو الحجة 132 هـ تاريخ الدولة العباسية واستمرت الفتن تخبو تارة وتتقد تارة أخرى بين أبناء العقيدة الواحدة وتحت شعارات زائفة غالبا ومحقه فى أحيان قليلة حتى كان دخول التتار إلى بغداد وذبح الخليفة المستنصر العباسى اخر خلفاء بنى العباس وسيطرة التتار على أجزاء من الدولة الإسلامية .

ثم دخول الدولة العثمانية مسرح الأحداث فى القرن السادس عشر الميلادى لترث الدولة العباسية ثم تتصل حلقات التاريخ إلى اقتسام تركة الرجل المريض بين الدول الأوروبية وما كان من مقاومة العرب للمستعمرين الغزاة وعلى رأسهم وبين صفوف مقدمتهم رجال التصوف مثل الأمير عبد القادر وشيخ المجاهدين أسد الصحراء عمر المختار وكما سبق أن أوضحنا .

ونحن بالطبع لا نستطيع أن نسرد تاريخ ألف وأربعمائة سنة في صفحة واحدة ولكننا قدمنا مختصرا موجزا لأهم الفتن والاضطرابات بين المسلمين ولم نعلم حتى الآن كيف رمى الصوفية أمة الإسلام بقاصمات الظهر التي يتحدث عنها المصنف ، اللهم إلا إذا كان عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله صوفيا أو أن هولاكو عليه غضب المولى ولعنته أحد مشائخ الطرق .

ولا أدري من أيهما أنا أشد عجبا من علم المصنف بالتاريخ أم من قدرته على أختلاق التهم وقذف صالح المؤمنين بها ؛ إن هو إلا ظن السوء وإن الظن لا يغني من الحق شيئا ، بل نحن مأمورون بتعظيم حرمات المسلمين وعدم إساءة الظن بهم قال الله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم)** [1] . ولكن وكما قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : **(من يرد الله به خيرا يصب منه)** [2] فلله الحمد على كل حال .

وتحذير الأمة الإسلامية عن أن تنخدع مرة أخرى بشعارات التصوف وبهرجة الكاذب وزخرفة الباطل والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين

من كلام المصنف يتضح أن أمة الإسلام انخدعت قبل هذه المرة بشعارات التصوف ، ونحن نسأل المصنف : بما أنك تعترف أن الأمة الإسلامية قد انخدعت – حاشاها – من قبل على حد تعبيرك فهل كل هذه الأمة على خطأ وأنت – حماك الله – على صواب .

ثم إنني لا أكاد أعلم باستثناء ابن حزم وقليل على مذهبه يرون وجوب إجماع الجن بالإضافة ليتحقق للإنس الإجماع على أن الإجماع القولي والفعلي حجة شرعية وذلك استنادا للعديد من الأدلة مثل قوله صلى الله عليه وسلم : **(لا تجتمع أمتي على خطأ)** [3] وفي رواية **(لا تجتمع أمتي على ضلالة)** ، وقد أجمعت أمة الإسلام – وهو الحق – باعتراف المصنف على التصوف مما يدل بداهة على صواب أمة الإسلام

---

1) الحجرات – 12 .

2) رواه البخاري .

3) رواه الترمذي .

وخطئه الذى لا شك فيه (ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور) (1) .

وحسبى أن أقول للجميع أن التصوف إما أن يكون هو الإسلام أو يكون غيره فإن كان هو الإسلام فحسبنا الإسلام وإن كان غيره فلا حاجة لنا به

العلمو نورون

لا يخرج المصنف من حفرة إلا ليقع فى هاوية فياليته أراح واستراح من معالجة ما لا يستطيع ، فبعد أن حدثنا عن قاصمات الظهر التي حلت بأمة الإسلام من الصوفية ولم يأت بدليل نقلى واحد ولا حتي شبه دليل ، انتقل إلى العقلى – وياليته ما فعل – فإن الدليل الذى جاء به من صنف فخر عليهم السقف من تحتهم ، فهو يقدم لنا قضية منطقية والغريب أنه قد وضعها فى الصفحة الأولى من كتابه ثم كررها هنا متعمداً إبرازها كدليل قوى وحجة منطقية دامغة على صحة ادعاءاته ، وما كنا نود له مثل هذا الخطأ الذى لا يأتيه من له إلمام بعلم المنطق أو حتى حسن التحدث .

ونأتى إلى التفصيل فنقول :

تنقسم القضايا المنطقية إلى **شرطية وحملية** وتنقسم الشرطية إلى **متصله ومنفصلة** ثم تتشعب فى شعب لا نود الخوض فيها لخروجها عن الموضوع .

والخلاصة : أن القضية المنطقية تتكون من مقدمة وتالى نتيجة للمقدمة ، والمصنف يأتى بمقدمة تقول : إما أن يكون التصوف غير الإسلام وبالطبع سنخلص فى هذه الحالة إلى نتيجة تقول : أن ندع التصوف لأنه غير الإسلام ، وإما أن يكون التصوف هو الإسلام وبالطبع سنخلص فى هذه الحالة إلى نتيجة تقول : أن نتبع التصوف لانه هو الإسلام ، لأن النتيجتين لا تصدقان معا ولا تكذبان معا ، وبما أننا قد أسقطنا الأولى لزم أن تصدق الثانية ، كأن تقول إن هذا الثوب إما أبيض وإما أسود فإن كان أبيضا فهو ثوبى وإن كان أسود ، فليس ثوبى لأنه يستحيل أن يكون الثوب أبيض وأسود فى

---

1) الشورى – 24 .

نفس الوقت . هذا عند من له دراية بعلم المنطق ومن ثم يستطيع الاستشهاد به .

أما المصنف وهو العالم النحرير المتضلع فى كل الفنون والذى يجبرنا على أخذ أقواله لمجرد أنه قالها فإنه خلص إلى نتيجة لم يسبقه إليها أحد من العالمين وهى أن النتيجتين تكذبان معا ، فإن كان التصوف هو الإسلام يرفضه وإن كان غيره يرفضه أيضا فياله من منطق غريب وعجيب ، والأغرب أن يقول وإن كان هو الإسلام فحسبنا الإسلام .

ونعود فنقول إنه بالنسبة للنقل فالحجة هى النص الصريح الصحيح ، وبالنسبة للعقل فهو طوع الدليل لا طوع الأكثر فى القول اللهم إلا عند العوام فإنهم ينطلى عليهم زخرف القول والكلام وإن كان عقل العوام ليس بقياس عند القياس ولا بميزان عند الوزن .

روى المسعودى : (أن رجلا رفع إلى الوالى بتهمة الزندقة فسأله عن مذهبه فقال : أنا مرجئ قدرى ناصبى رافضى . فلما سأله عن تفسير هذا قال : انه يبغض معاوية بن الخطاب الذى قاتل على بن العاص فقال له الوالى : ما أدرى على أى شئ أحسدك على علمك بالمقالات أو على بصرك بالأنساب) (1) .

وعليه فلا تصوف بعد اليوم ولكن الكتاب والسنة تعلما وعلما ودعوة فهذا سبيل النجاة وطريقة الكمال والأسعاد لأمة الإسلام فى الدنيا والآخرة .

التصوف هو التطبيق العملى للكتاب والسنة

أما وإن الكتاب والسنة هما سبيل النجاة وكل خير فهذا حق لا جدال فيه وما قال الحق ولا شم ريح الحقيقة من قال غير هذا ، أما أنه لا تصوف بعد اليوم ولكن كتاب وسنة فقد شرحنا بما يزيد عن الكفاية عن أن التصوف هو العمل بالكتاب والسنة وبهذا عمل أهل التصوف وبهذا تكلموا .

قال محمد بن عيسى رضى الله عنه : طريقتنا تتبع العلم بالعمل وإجراء حكم الشريعة والسنة تجمعنا والبدعة تفرقنا .

---

1) مروج الذهب – للمسعودى – ص ٢٥.

وقال الشيخ عبد القادر عيسى عن التصوف : (إنه التطبيق العملي للإسلام وإنه يهتم بإصلاح ظاهر العبد وعمارة باطنه وتقويم خلقه وتصحيح عباداته ومعاملاته) [1] ، بل والعلم الديني شرط من في التصوف .

يقول الشيخ عبد الواحد يحيى [2] رحمه الله : (قد يكون من المحتمل أن ترى أحد ممثلي الشريعة يجهل التصوف وإن كان جهله لا يبرر إنكاره ، ولكن ليس من المحتمل وليس من الطبيعي أن يجهل رجل التصوف ميدان الشريعة) . ويمضي فيقول : (إن الإنسان لا يشيد القصر في الهواء إنه يشيده على أساس وكل فكرة لا ترتكز على السنة الصحيحة إنما هي بناء في الهواء علي غير أساس) [3] ، وعلى كل حال قد سبق وأن تكلمنا عن هذا الموضوع بما فيه الكفاية فليراجع في موضعه .

وحتى يكون المسلمون على بصيرة من التصوف وشعاراته الزائفة ودعاوى دعاته الباطلة فلا يقعوا في مصائد دعاته وحبائل حاملي شعاراته الكاذبة أقدم لهم في الصفحات التالية صورة واضحة للتصوف المحذر منه والمنبه إلى خطره حتى إذا ما عرفوا ابتعدوا عنه وبذلك يسلمون من شره وينجون من خطره .

نحن سائرون صحبة القارئ الكريم إلى الصفحات التالية ليبين لنا المصنف الشعارات الزائفة والدعاوى الباطلة حتى لا نقع في المصائد ونسلم من الشر وننجو من الخطر ، كيف لا وهو الذي أتى بالعجب العجاب في الصفحات السابقة ، وأوضح لنا بالدليل العقلي والنقلي بما لا مزيد عليه فساد التصوف وسلامة رأيه وجودة فهمه .

كما أقدم لهم أخيرا صفحات مشرقة هي البديل عن التصوف المنبوذ الذي حذرناهم منه ونبهناهم إلى خطره بما يعرفون به الطريق إلى الله تعالى والسير إليه فيكملون بطاعته ، ويصفون بذكراه ويسعدون بأنسه والقرب منه . حقق اللهم لي ولهم ذلك أنه على كل شئ قدير وبالإجابة جدير .

1) حقائق عن التصوف – الشيخ عبد القادر عيسى – ص 39 .

2) الشيخ عبد الواحد يحي هو صوفي فرنسي ، كان اسمه رينيه جينو – مز إسلامه معاقل الكاثوليكية في سويسرا وفرنسا لمكانته العلمية الكبيرة ، وكان سببا في إسلام الكثير من النصارى والمشركين في أوربا وله مؤلفات ترجمت إلى معظم لغات العالم ، وقد حرمت الكنيسة قراءة كتبه .

3) قضية التصوف المنقذ من الضلال – شيخ الأزهر عبد الحليم محمود ص 133 - 135 .

اضطراب وتناقض

لله در المصنف كل أمره عجيب يشن هجوما على التصوف ويصول ويجول ويقذف بأبشع التهم ويرمي بأقبح الأوصاف ليقنعنا بفساد التصوف وأهله ، ثم يعود ليضع لنا تصوفا آخر ، ومما لا ريب فيه أنه سيقنعنا بأن ما يراه واجب الاتباع وما يراه الآخرون ليس بشئ حسب عادته .

ولا أدري كيف يتصور أن يجمع إنسان كل هذه التناقضات في جملة واحدة ، وكيف يجعل من نفسه حكما ما ارتضاه يكون وما لم يرضه يترك وكيف يجعل من نفسه مصيبا فلا يخطئ ومن الآخرين جميعهم مخطئين لا يصيبون ، تالله لا مرجع لنا ولا حكما نرتضيه إلا قول الحق تبارك وتعالى : (**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**) [1] .

وقد عرضنا التصوف على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فوجدناه لا يخرج عنهما قيد شعره ، فهل نتركهما لغيرهما ، نحن في غني عن هذه البدائل التي ليس وراءها من طائل .

1) النساء – 59 .

الفصل الثانى

التصوف وأصوله

(أ) التصوف – ما هو التصوف ؟ لقد اختلف منتحلوه في وضع حد له حتى بلغت تعاريفهم له نحو من ألفي تعريف كلها حدود ورسوم لا واقع لها في الخارج . والتعريف الصحيح للتصوف هو أنه : بدعة ضلالة من أشر البدع وأكثرها إضلالا وأكبرها ضلالة .

قاتل الله الغفلة . يقول ابن قتيبة : (ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة والبيان واتساع المجال ما أتوه العرب خصيصا من الله)[1] .

ويقول الإمام الشافعي : (ولسان العرب أوسع الألسن مذهبا وأكثرها ألفاظا لا يحيط بجميع علمه فيما تعلمه إنسان غير نبي) [2] .

ولاتساع مجال هذه اللغة ومتانتها نجد تعدد التعريفات والأسماء حتى للمسمى الواحد الملموس فنجد للجمل والفرس والأسد مثلا مئات الأسماء ، فما بالك بالتصوف الذي هو حال وجداني لا يهتم أهله بالتعابير والألفاظ قدر أهتمامهم بالحقائق والأسس .

تعريف التصوف

حد التصوف : هو علم يعرف به كيفية تصفية الباطن من عيوب النفس وصفاتها المذمومة كالحقد والحسد والعلو وحب الثناء والكبر والرياء والبخل وغيرها .

ومبناه : على التمسك بآداب الشرع والتباعد عن الشبهات وحفظ الحواس وعد الأنفاس والتحرز من الغفلات .

وموضوعه : أفعال القلب والحواس من حيث التصفية والتزكية .

وفائدته : إصلاح الإنسان ظاهرا وباطنا .

هذا على المجمل أما على التفصيل فإن كل التعريفات ترجع لنتيجة واحدة وإن تعددت ، وسبب التعدد أن كل من عرفه تكلم على قدر مناله منه علما أو عملا أو حالا أو

---

1) صون المنطق والكلام – ج 1 ص57 .

2) الرسالة – للإمام الشافعي – ص 27 .

ذوقا ، فأصبح والحال هكذا من المحال النطق بتعريف مطابق لغيره لاختلاف المعرفين في المنال والأحوال فحدث الاتفاق في المعنى دون اللفظ .

قال معروف الكرخي : (التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق فمن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف) [1] .

وقال أبو تراب النخشبي : (الصوفي لا يكدره شئ ويصفو به كل شئ) [2] .

وقال سهل بن عبد الله التستري : (الصوفي من صفا من الكدر وامتلاء من الفكر وانقطع إلى الله من البشر واستوى عنده الذهب والمدر) [3] .

وقال ذو النون المصري : (الصوفي من لا يتعبه طلب ولا يزعجه سلب) [4] .

وقال ابو الحسن النوري : (التصوف ترك نصيب النفس جملة ليكون الحق نصيبها) [5] .

وقال عمر الأصفهاني : (التصوف التبرى عمن دونه والتخلى عمن سواه) [6] .

وقال أبو محمد الجريري : (التصوف هو الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني) [7] .

وقال الكتاني : (التصوف خلق فمن زاد عليك بالخلق زاد عليك في الصفاء) [8] .

وقال الشبلي : (التصوف ضبط القوى ومراعاة الأنفاس) [9] .

---

1) عوارف المعارف – السهروردي – ص41 .
2) عوارف المعارف – الشهروردي – ص 43 .
3) تذكرة الأولياء – فريد الدين العطار ج 1 ص264 .
4) عوارف المعارف – السهرودي – ص 43 .
5) تذكرة الأولياء – فريد الدين العطار – ص 32 .
6) تذكرة الأولياء – فريد الدين العطار .
7) الرسالة القشيرية – ص 138 .
8) المصدر السابق – ص 138 .
9) المصدر السابق – ص 139 .

وقال أيضا : (التصوف هو الجلوس مع الله بلا هم) (1) .

وقال الجنيد : (التصوف بيت والشريعة بابه) (2) .

وقال السرى السقطى : (التصوف اسم لثلاثة معان هو الذى لا يطفئ نور معرفته ورعه ولا يتكلم بباطن علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب والسنة ولا تحمله الكرامات علي هتك أستار محارم الله) (3) .

وقال أبو سعيد الخراز : (الصوفي من صفى ربه قلبه فامتلأ نورا ومن حل في عين اللذة بذكر الله) (4) .

ويلاحظ القارئ الفطن بسهولة تعدد التعريفات ووحدة المعنى وكأنهم جماعة أحاطت بمبنى شامخ فوصفه كل منهم بحسب ما رأى منه ، وهذا هو السبب في تعدد تعريفات التصوف كما قلنا .

أما قول المصنف - سامحه الله - أنه لا واقع لهذه التعريفات فى الخارج فهذا راجع بلا شك لغزير علمه وإلا فهذا كتاب الحلية لأبى نعيم وطبقات السلمى ورسالة القشيرى وغيرها من كتب السادة الصوفية وقد حوت تراجم الآلاف منهم تشهد كلها بغير ما قطع به ، ولكننا قلنا فى أول الحديث قاتل الله الغفلة .

وأما تعريفه للتصوف بأنه بدعة من شر البدع . . . الخ فنجيب عنه بكلامه هو فقد قال إن تعاريف التصوف بلغت ألفين ، وبما أنها كلها قالت عكس ما قال فأصبح من الواجب أن نأخذ بقول الألفين لاستحالة جهلهم وتواطئهم على الكذب وهم فى أزمنة مختلفة ونترك تعريفه الذى أنفرد به .

إذ لم يعرف التصرف قبل نزول الوحى ولا بعده وإلى أن انقرض من شاهد نزول الوحى المحمدى وعاصر نبيه صلى الله عليه وسلم فلم يرد لفظ التصوف على لسان

---

1) تذكرة الأولياء - فريد الدين العطار .

2) الرسالة القشيرية - ص 139 .

3) الرسالة القشيرية .

4) تذكرة الأولياء - فريد الدين العطار .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ولم يحدث عنه ولم يخبر به .

التصوف لفظا وحالا

إن المصنف فى سبيل تأكيد رأيه قال ما يصح وما لا سبيل إلى صحته البته ، ونحن نسأله هل كل ما نستعمله من ألفاظ الآن وردت على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وهل هذا دليل على بطلانها ؟ بل ونقلب عليه السؤال فنقول : هل ورد لفظ السلفية التي يدعو لها على لسانه الشريف صلى الله عليه وسلم أو على لسان أحد من صحابته ؟ أو حتى من التابعين ؟ وهل هناك حديث واحد يتلفظ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه السلفية المزعومة ؟ أو بمدحها أو ذمها ؟

وكيف ترجا لفصل القضا ولم تصب الحكم من نفسكا

فإن كان المصنف يرى أن أى لفظ لم يرد على لسانه صلى الله عليه وسلم دليل على عدم شرعيته فليبادر إلى حذف كلمة السلفية التى حدثنا وسيحدثنا عنها في كتابه الذى بين يدينا ، بل نرجو منه أن يحذف لفظ المذهب المالكي والمذهب الشافعي والمذهب الحنفي والمذهب الحنبلي من كتب الإسلام والمسلمين إذ لم يرد عنه صلى الله عليه وسلم أو عن أحد من صحابته أنه قال إن مذهبه مالكي أو شافعي أو حنفي أو حنبلي ونرجو منه أيضا أن لا ينسى حذف كل الاصطلاحات التي استحدثت بعده صلى الله عليه وسلم كالنحو والفقه والمنطق وعلم الحديث دراية ورواية وعلم الجرح والتعديل بل وحتي مصطلحات العلوم الطبيعية كالجغرافيا والفلك والكيمياء وعلم الطبيعة ، ففى الحقيقة أن كل الاصطلاحات التي نستعملها الآن فى مجال العلوم الإسلامية وغيرها ما عرفها الصحابة ولا نطقوا بها .

ولو سألنا كل صحابته صلى الله عليه وسلم عن الفرق بين الفعل المعتل والفعل الصحيح فى اللغة أو بين المهمل والمبهم فى الحديث أو عن الجناس والطباق فى البيان أو التورية لظنوا أننا نتحدث معهم بلغة أهل الصين ، وعدم معرفتهم بما قلنا لا يعني جهلهم فاللغة ينطقونها صحيحة بالسليقة ويعرفون أن الكلام إن لم يعين اسم قائله بالتحديد لا يؤخذ به وإن لم يسموه المهمل ويعرفون أن ما لم يسم قائله البته متروك لا يقام له وزنا وإن لم يسموه مبهما ، ويستعملون البديع في حديثهم وأشعارهم وإن لم يقرءوا حاشية

السجاعى أو يحفظوا متن السلم أو يستوعبوا حاشية المنياوى ويعملون بالتصوف وإن لم يسموه باسمه فمثل هذه الحقائق مركوزة فى أذهانهم رضوان الله عليهم بل وفى أذهان أهل كل لغة .

ولكن سامح الله المصنف يحاول أن يجعل من الباطل حقا ومن الوهم دليلا بل ومن السراب ما يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا . فما سمعنا أن أحدا من كل فرق المسلمين سنة كانوا أم شيعة خوارجا كانوا أم معتزلة جعل من عدم تلفظ النبى صلى الله عليه وسلم دليلا على المشروعية أم عدمها .

ونحن على كل حال إذ نتكلم عن التصوف فإننا نقصد به تزكية النفوس وصفاء القلوب وإصلاح الأخلاق والوصول إلى مرتبة الإحسان ، ولك أن تطلق عليه أى لفظ مما يتفق مع حقيقته ومعناه فسمه بمقام الرضا أو الإحسان أو علم القلوب ومعالجتها إلا أن الأمة توارثت تسميته بالتصوف فنحن نسميه بما سمته به الأمة .

وكما قلنا سابقا فإن – ولسوء حظ المصنف – التصوف كان موجوداً عند كبار الصحابة والتابعين برسمه وإن غاب اسمه وبحقيقته وفعله وإن غاب لفظه وإلى هذه الحقيقة أشار ابن خلدون بقوله : (وهذا العلم – يعنى التصوف – من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فى ما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق والخلوة للعبادة ، وكان ذلك عاما فى الصحابة والسلف فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثانى وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفيه) [1] .

ويقول العلامة أحمد علوش : (قد يتساءل الكثيرون عن السبب فى عدم انتشار الدعوة إلى التصوف فى صدر الإسلام وعدم ظهور هذه الدعوة إلا بعد عهد الصحابة والتابعين .

والجواب عن هذا : أنه لم تكن من حاجة إليها فى العصر الأول لأن أهل هذا العصر

---

1) مقدمة ابن خلدون – ص 329 .

كانوا أهل تقوى وورع وأرباب مجاهدة وإقبال على العبادة لطبيعتهم وبحكم قرب اتصالهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا يتسابقون ويتبارون في الاقتداء به في ذلك كله ، فلم يكن ثمة ما يدعو إلى تلقينهم علما يرشدهم إلى أمر هم قائمون به فعلا . . إلى أن يقول : فالصحابة والتابعون – وإن لم يتسموا باسم المتصوفين كانوا صوفية فعلا .) [1] .

ولولا طلبنا للاختصار لنقلنا العديد من هذه النصوص عن أكابر علماء الأمة ، ولكن المصنف – غفر الله له – يرى أن الحجة تكون بالتأليب والتنفير والاحتجاج على البحر بماء الغدير مما يأباه الدين والعقل والضمير .

اللهم إلا ما كان من تحذيره صلى الله عليه وسلم من البدع والإحداث في الدين مثل قوله : (إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعه وكل بدعة ضلالة) وقوله (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) فإنه قطعا يدخل في البدع والمحدثات التي أشار إليها الحديث النبوي الشريف وكما أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحدث به ولم يخبر عنه فضلا عن أن يشرعه ويدعو إليه فإن الصحابة رضوان الله عليهم لم يؤثر عن أحد منهم أنه عرف التصوف أو نطق به وكذا التابعون من أبناء الصحابة وأبناء أبنائهم وهم أهل القرون المشهود لهم بالخيرية والفضل في قول الرسول صلى الله عليه وسلم (خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذي يلونهم) فإنه لم يعرف بينهم ولم يؤثر عن أحد منهم لا بالعبارة ولا بالإشارة فلذا هو بدعة قطعا ولا شك في بدعته وإحداثه .

أما حديث المصنف عن عدم نطق الصحابة بلفظ التصوف فقد أجبنا عنه وكذلك نقلنا أقوال كبار المؤرخين عن تصوف الصحابة وكبار السلف ، أما قوله أن التصوف بدعة فلنا عنده وقفه لا لنرد عليه قوله فإن التصوف ليس ببدعة إلا عند من لم يفهم معنى البدعة ولا حقيقتها في الشرع المحمدي الحنيف ولكن لنشرح ما تعنيه هذه الكلمة التي كثر استعمالها وأسيء فهمها ، والطامة الكبري أن مثل هذه الألفاظ تجد لها سوقا رائجة عند العامة والبسطاء فتجدهم يرددون ببلاهة أن هذا الأمر أو ذاك بدعة وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفعله فهو ضلالة ويحدث من جراء هذا ما الله به أعلم من تشتت

---

1) انظر حقائق عن التصوف – الشيخ عبد القادر عيسى – ص 19 .

وتفرق للمسلمين إن لم يحدث ما هو أسوأ .

وإني لأرجو الله أيها المسلم البصير أن يوفقك لاستيعاب وفهم ما سنذكره لك عن البدعة ومن ثم تساعد بما قدرك الله تعالى على تصحيح وتصويب هذا المفهوم بين إخوانك من المسلمين حتي تجتمع الأمة علي كلمة سواء .

البدعة :

وقبل أن نتكلم عن البدعة يجب أن نتكلم عن السنة بداهة ان الابتداع لا يكون إلا بمخالفتها ، وقد أمرنا الله سبحانه بطاعة واتباع واحترام رسوله صلوات الله وسلامه عليه والتسليم له وعدم الخروج عن توجيهاته في العديد من الآيات القرانية الكريمة مثل قوله تعالى : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) (1) .

كذلك تفضل الرسول صلى الله عليه وسلم بتوضيح أهمية أتباعه فقال : (والذي نفسي بيده لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد على الله كشراد البعير ، قالوا : يارسول الله ومن يأبى أن يدخل الجنة ؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى) (2) .

والسنة تنقسم إلى :

أ) **سنة القول وهي** : كل قول صح إسناده إلى حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ب) **سنة الفعل وهي** : ما صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم فعله باستثناء ما اختص به كتحريم الزكاة وصدقه التطوع عليه واستبدال زوجاته ونكاح الأمة وعدم توريثه ومواصلة الصيام ونحوها .

ج) **سنة الترك وهي** : ما تركه النبي صلى الله عليه وسلم مطلقا ولم يتكلم فيه رحمة بالأمة وحكمه العفو أو ما تركه لسبب خاص كالرائحة الكريهة في الثوم أو النفور الطبيعي من لحم الضب لأنه لم يكن بارض قومه .

1) النور -36 .

2) رواه ابن حبان ورواه الهيثمي عن الطبراني في مجمع الزوائد .

د) **سنة الإقرار وهي** : أن يسكت النبى صلى الله عليه وسلم عن إنكار فعل راه أو سمعه

وحديث (إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) الذى أورده المصنف والذى كثر الاستدلال به فى غير ما موضعه والاستشهاد به بمناسبة أو بدونها هو جزء من حديث صحيح رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل ورواه أيضا الترمذي علق عليه بقوله حديث حسن صحيح ، ورواه الحاكم وحكم بصحته الذهبى ، ورواه أحمد ، ورواه ابن حبان ، ورواه الدارمي ، ورواه ابن ماجه وزاد فيه : (فإنما المؤمن كالجمل الانف حيثما قيد انقاد) وهو من حديث الصحابى الجليل العرباض بن سارية أحد أهل الصفة رضى الله عنهم قال : « **صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - والغالب أنها صلاة صبح - ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب فقال قائل : يارسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ فقال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم بعدى فسيري اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء المهديين الراشدين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة** » .

ونوضح الأمر فنقول إن لفظ كلمة بدعة ضلالة لم يرد على الإطلاق وإنما سبقه الأمر بالتمسك بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين مما يدل بوضوح على أن البدع التى وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم بالضلالة هى المخالفة للسنة المخرجة عن الإتباع وذلك لا ينفى أن مالا يخالف السنة وما ليس بضلالة لا ينطبق عليه لفظ البدعة الضلالة .

ونعطى مثالاً على ذلك فنقول إن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » (1) ترغيبا فقط ولم يأمرفى صلاة القيام - التراويح - بشئ بل إنه صلى ثلاث ليال بالمسجد وفى كل ليلة يزداد عدد

---

1) رواه البخارى ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذى .

المصلين معه حتي كانت الليلة الرابعة كثر المصلون حتي عجز المسجد عن أهله ولم يخرج لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتي خرج لصلاة الصبح فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال : « **أما بعد فإنه لم يخف علي مكانكم ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها** » [1] ، واستمر الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدرا من خلافة عمر ، ثم أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج ذات ليلة من ليالي رمضان مع عبد الرحمن القاري فإذا الناس أوزاع – أي جماعات – متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصل الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ، ثم خرج والناس يصلون بصلاة قارئهم فقال عمر : (نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون – يقصد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله) [2] .

فنلاحظ من هذا الحديث أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سمى هذا الفعل بدعة وبالرغم من ذلك حسنه ونأخذ مثالا آخر فبالسند عن الأعرج أنه قال : سألت ابن عمر عن صلاة الضحى فقال : (بدعة ونعمت البدعة هي)[3] ، فابن عمر رضي الله عنهما أقر السائل على أن صلاة الضحى بدعة ثم أوضح أن ليس كل ما ابتدع مذموما فنراه ثنى بمدحها بل إنه قال عنها : (لقد قتل عثمان وما أحد يسبحها وما أحدث الناس شيئا أحب إلي منها)[4] ، فدل الحديث على أن الناس قد أحدثوا في ذلك الوقت العديد من المحدثات لقوله وما أحدث الناس .. الخ ولا يخفى أن الناس في ذلك الوقت هم الصحابة والتابعين ودل أيضا على أن ليس كل محدث ضلالة .

ومن هذا نفهم قول الإمام الشافعي رضي الله عنه : (البدعة بدعتان بدعة محموده وبدعة مذمومة فما وافق السنة فهو محمود وما خالف السنة فهو مذموم) [5] .

بل ويذهب العلامة ابن حجر إلى أن البدعة هي فقط ما خالف الشرع فيقول :

---

1) رواه البخاري ومسلم واحمد وابو داود .

2) رواه البخاري والموطأ .

3) فتح الباري ابن حجر الهيثمي ج 3 ص 795.

4) المصدر السابق .

5) المصدر السابق – ج 17 ص10 .

(البدعة شرعا ما أحدث على خلاف أمر الشرع ودليله الخاص والعام)[1] .

وعليه فالذى يفهم من كل ماسبق أن لفظ بدعة لم يقصد به كل ماجاء بعد النبى صلى الله عليه وسلم بل فقط كل ما ليس له أصل من السنة المكرمة وتنقسم البدعة إلى فعل وترك :

فالفعل : مثل ما هو موجود بين المسلمين الان كابتداع القول بالتجسيم والتشبية فى حق البارئ جل وعلا والتشريع المخالف للكتاب والسنة وزى النساء الخارج عما أمر به الشارع وغيرها .

والترك : هو الترك الداخل تحت الاختيار فقط كترك المباح من نكاح وطعام وشراب وملبس وبالجملة ترك العمل بأحكام الشريعة .

وأما ما له أصل فى الدين ولم يأت نص من القرآن والسنة بإباحته أو عدمها فلا يسمى بدعة وذلك لأن الشريعة الإسلامية ختمت كل الشرائع التى سبقتها وهى صالحة لكل زمان ومكان فلو أننا اقتصرنا على ما كان يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته بعينه فقط لما كانت الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان كيف والحياة تتغير وتتطور ولا تكاد تتوقف وتستقر ومن هذا نفهم قول الإمام الغزالى : (وما يقال إنه أبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس كل ما أبدع منهيا عنه ، بل المنهي عنه بدعة تضاد سنة ثابته وترفع أمرا من الشرع مع بقاء علته ، بل الإبداع يجب فى بعض الأحوال إذا تغيرت الأسباب)[2] .

ولو نظرنا اليوم إلى أمة الإسلام وكيفية حياتها ومعاشها لوجدنا فيها الكثير من الأمور التى استحدثت بعد النبى صلى الله عليه وسلم كجمع المصحف وكذلك جمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث منع النبى صلى الله عليه وسلم تدوين حديثه مخافة أن يختلط بالقرآن وصلاة التراويح جماعة بالمساجد وشق الطرق ورصفها وبناء العمارات الشاهقة واستعمال التكييف والأثاث المريح الوثير فى المساكن ومد شبكات المياه

1) المصدر السابق – ج 17 ص9.
2) إحياء علوم الدين – حجة الإسلام ابوحامد الغزالى – ج 2 ص 3 .

والكهرباء والأجهزة المرئية والسمعية ، وكل هذه الأمور ليست بالطبع ضلالة لأنه لم يرد في الكتاب والسنة نص تحريمها .

ويؤكد هذا الشيخ الدهلوى فيقول : (اعلم أن كل ما ظهر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعة وكل ما وافق أصول سنته وقواعدها أو قيس عليها فهو بدعة حسنه ، وكل ما خالفها فهو بدعة سيئة وضلالة) (1) .

وفي خاتمة المطاف يحدد العلامة الزركشي البدعة بدقة فيقول : (البدعة في الشرع موضوعه للحادث المذموم) (2) .

وبهذا يتضح أن الحادث المذموم فقط هو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم كل بدعة ضلالة وهذا كما رأينا هو رأى كبار علماء الأمة – وهو الحق – فلو أطلقنا كلمة ضلالة على كل ما استحدث بعده صلى الله عليه وسلم فعلى الإسلام والمسلمين السلام .

ونعود لنسأل المصنف ما الذى يراه في التصوف قد أتى فيه حكم بالتحريم أو حتي بالكراهة هل هو مداومة ذكر الله أم المراقبة أم الورع أم التقوى فى السر والعلانية أم التوكل والصفاء حتى يسمى بدعه . ثم إنه ينتشر فى بلاد المسلمين من البدع ما لا يطيق اللسان أن يذكره ولا القلم أن يكتبه ولا الأوراق أن تقله ، وتوحيد الجهود لمحاربتها والقضاء عليها أولي وأجدى بكثير من قذف صالح المؤمنين الذين عرفوا فاعترفوا وأخلصوا فخلصوا ورميهم بالابتداع وتسميتهم بالمبتدعين .

وأنه إن كان الاتهام مع عدم الدليل من أشنع المهازل والنقائض فإن الاتهام مع وجود الدليل على البطلان اشنع شناعة واشد . .

وحتى أهل اللسان العربي أنكروا أن يكون لفظ التصوف عربيا إذ صيغة التفعل لا بد وأن تكون مشتقه من فعل لازم يؤتى بها لأغراض كالمطاوعة مثلا أو التكلف كالتعلم والتشجع من فعلى علم وشجع اللازمين والتصوف ما هو الفعل المشتق منه هل فعله صفا يصفو أو صف يصف والجواب لا فلم يرد من صفا التصوف ولا من صف كذلك

1) كشاف اصطلاحات الفنون – ج 1 .

2) التبين بشرح الأربعين – ابن حجر الهيتمى – ص 221 .

ولذا التصوف بدعة في شكلها وموضوعها يأباها الكتاب والسنة ولغتهما معا .

مصدر كلمة تصوف

يقول شيخ الأزهر عبد الحليم محمود رضي الله عنه : (لقد رأى هؤلاء الزهاد من ناحية الملبس في الصوف ما يحقق أهدافهم التي تتصل بالتقشف والشظف والخشونة ، فهو متين رخيص لا يحتاج الإنسان معه في الشتاء إلى غيره ولا يحتاج إلى تغييره كثيرا ذلك أنه لا يبلى بسرعة فتصوفوا أي لبسوا الصوف) [1] .

ونسبة التصوف إلى لبس الصوف هي أصح ما قيل في هذا الشأن وبه قال كل المحققين ومن بينهم ابن تيمية كما جاء في كتابه الفرقان .

والمصنف مأمون من تعمد الكذب وانتهاج العناد والمكابرة ولذلك سننسب قوله أن لفظ التصوف غير عربي إلى الغفلة . ونحن في أشد الخجل منك أيها القارئ – إذ تركنا الجوهر وناقشنا القشر ولكن لابد مما ليس منه بد .

فنقول إنه من المعروف عند من له أدنى إلمام باللغة العربية أن يقال لمن لبس القميص تقمص ولمن لبس الكساء تكسى ومنه قول الشاعر سعد بن الصيفي 574هـ المعروف بحيص بيص :

تشربس أو تقمص أو تقبى فلن تزداد عندي قط حبا

تملك بعض حبك كل قلبي فإن ترد الزيادة هات قلبا [2]

ومنه أيضا قولنا لمن لبس الصوف تصوف أي لبس الصوف ، وهو أمر معروف ومشهود عند أهل اللسان العربي حقيقة لا الذين يتحدث عنهم المصنف الذي تتسنى له القطوع بمنتهى السهولة والبساطة فيحذف من الدين واللغة ما يشاء ويقر ما يريد والأحرى بالمسلم أن يقول لما لا يعرف لا أعلم وليس في هذا ما يعيب ولكن سامح الله بفضله وكرمه من يأبى إلا القطع وإن كان بدون معرفة .

وقد قيل الكثير عن اشتقاق كملة التصوف فالبعض يري أنه جاء من « صوفة » وهو

---

1) قضية التصوف المنقذ من الضلال – شيخ الأزهر عبد الحليم محمود ص 35 .

2) وفيات الأعيان لابن خلكان – تحقيق إحسان عباس – المجلد 6 ص 125 .

اسم لرجل يدعى « الغوث بن مر » وكان قد إنقطع لخدمة الله تعالى عند البيت الحرام وذريته من بعده فمن عمل عمله فهو صوفي .

وقال ابن الجوزي والزمخشري في أسس البلاغة وبنفس المعنى تقريبا في القاموس للفيروزبادي وغيرهم : (إنه كان قوم في الجاهلية يقال لهم صوفه انقطعوا إلى الله عز وجل وقطنوا الكعبة فمن تشبه بهم فهم الصوفية) [1] .

وللشيخ حسن رضوان رضي الله عنه اجتهاد جميل في الموضوع إذ يقول : الصاد صرف الهمة القوية ، والواو وقوفه على الحدود ، والفاء للفتوة ، وقال غيره : الصاد صفاء والواو وفاء والفاء فناء والياء يمن وبركة .

ولفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي رأي آخر - ولشدة سوء حظ المصنف - هو مثل ما سبق من جيد اللغة فيقول مرجعا مصدر الكلمة للمصافاة : (صوفي فلان أي صافا ربه فصافاه فيكون فلان صوفي أي أصبح فعل لكن الناس تأخذها نسبة للأسم فتقول : لا إنه صوفي أي قبل الله صفاؤه له بصفاء الله له ، أي أنه أصبح الآن مصافا فنقولها صوفي ، وعندنا « ال » تدخل على الفعل فتعطيه اسم موصول ونستطيع أن نمثل ببيت الشعر الذي يقول :

(ما أنت بالحكم الترضى حكومته) فإذا رفعنا " ال " ووضعنا " الذي " أصبح ما أنت بالحكم الذي ترضى حكومته ، بالقياس على هذا الأساس تكون " ال " حرف موصول وليست " ال " تعريفية ومادامت " ال " حرف موصول نستطيع أن نرفعها ونضع مكانها اسم موصول حتي يتضح المعنى فنقول : فلان هذا « الصوفي » أي الذي صوفي وتكون " ال " هنا اسمها موصول حرفي وهذا الموصول صلته إما أن يكون فعل أو مشتق والصوفي هو الذي صوفي من الله [2] .

وبعد كل هذه الآراء فأين - أيها المصنف - أهل اللسان العربي الذي أنكروا أن يكون لفظ التصوف عربيا ؟ أجب وبالجواب الصريح الصحيح .

1) أنظر القاموس المحيط للفيروزبادي ج 3 ص164 .

2) مشوار حياتي آراء وأفكار - فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي ص 36.

وقد ذكر السلمي والقشيري وأحمد زروق وغيرهم معظم الآراء التى قيلت فى أصل اشتقاق كلمة تصوف وبينوا ما لا يصح منها ومن بينها صف وصفا المذكورتان سابقا من قبل المصنف ولو أنه رجع إليها لوجد فيها ما كان يوفر عليه عناء كثيراً .

ونحن كما قلنا ننسب كلامه للغفلة فقط ونعلمه بأن الاستعمار الذى حدثنا عن أكله الدسم والعظم في الصفحات السابقة لا يطمع وفق نظرياته الحديثة فى أكثر مما قاله ، فالاستعمار الثقافي وهو أخطر أنواع الاستعمار أهم دعامة فيه تقوم على سلب الشعوب المستعمرة علومها وثقافتها وجعلها بلا هوية فتنقاد وتتبع كل ناعق وزاعق ، ولهذا وعندما أنشئت الجامعة المصرية القديمة واستدعي « سانتلانا » وهو أحد كبار علماء الفلسفة لتدريس المذاهب الفلسفية استفتح درسه بقوله : (إن العلوم الإسلامية مؤسسة منذ بدء نشأتها على علوم اليونان وأفكار اليونان ، بل وعلى أوهام اليونان) [1] ، والغريب هو اقتناع بعضهم وترديده لهذه الأفكار .

مصادر التصوف المزعومة

ولهذا فالتصوف قد أخذناه عن الغنوصية والثيوصرفيه الغربية إذ ربما ذهب الإمام الجنيد صحبه أستاذه السرى السقطي إلى اليونان فى دورة صوفية علمية تخصصية لدراسة المذهب الأيوني فى فلسفة فيثاغورس وللاطلاع بالمرة على المذهب الإسكندرانى عند أفلوطين ، وإلا فبالتأكيد أننا أخذناه عن « الميستيسسم » المسيحى حتى ولو كان هذا الميستيسسم المزعوم ليس له مدلول فى اللغة العربية ولا يمكن ترجمته إلى أى لفظ عربى على الإطلاق ، ولا بأس أيضا بأن يكون من الحكمة اليونانية إذ وجدت إذ أنهم يطلقون لفظ « صوفيا » بمعني حكيم الذى ربما يكون قد حرف مع الزمن إلى كلمة صوفي ولا يهم كون هذا مخالفا للأصول المعتادة للتعريب عند العرب .

وبما أنه قد قام على العناصر السابقة فمما لا شك فيه أنه قد تأثر بطريقة غير معروفة بعد بالفلسفة الهندوكية والنرفانا التناسخية غير ناسين لدور البراهمة وعقيدتهم فى « اتمان » فإن هناك علاقة بين أسلوب تفكير يوبنشاد وابن عربي وبالطبع كون ابن عربى من الأندلس ويوبنشاد من أقاصى آسيا وبينهما مئات السنين أمر لا ينظر إليه إذ

---

1) التفكير الفلسفى فى الإسلام – شيخ الأزهر عبد الحليم محمود – ص 254 .

من الواضح لكل ذى عيان وجنان أنهما يجسمان نظرية « براجاتى » .

وفى هذه المعمعة العلمية المنطقية يدلي السيد براتراند راسل برأي وجيه يجب عدم إسقاطه وهو أن (الفلسفة الدينية عند المتصوفه جميعا هي مزيج من العقائد الفارسية القديمة) [1] ، وعليـه فالتصوف مر على كفار فارس ليلتقى بزرادشت ولا غرابة فى هذا فبعض رجال التصوف ينحدرون من سلاسلات فارسية كأبى يزيد البسطامى وابراهيم بن ادهم وشقيق البلخى ، وهذا بنفسه مبرر كاف ومقنع جدا وإن كان سيسقط كل كتب الحديث والتفسير لأن معظم كتابها غير عرب وخاتمة المطاف أن يفتخر أحدهم قائلا : (كنت أول من أشار إلى هذا العنصر من عناصر التصوف الإسلامى ثم بدالى مع الأيام أنه أشد أثرا مما بدا فى الوهلة الأولى أن تنظيم التصوف فى الإسلام يرجع إلى أسس وقواعد صينية) [2] .

والحقيقة التى تقال هى : يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإن المصدر الوحيد للتصوف الإسلامي هو القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وما هو في حقيقته إلا تطبيق عملي لهما رغم أنف جولدزيهر وماسينون وراسل ، وغيرهم ممن ينطق بلساننا ويفكر برؤسهم .

ويكفى للدلالة على سخف وضلال هذا الأسلوب فى التفكير أن انتهجه مشركو قريش فقالوا إن رسول اللـه يختلف إلى بلعام بن قين وقيل أبو اليسر النصرانى ليتعلم منه فكان جواب الله تعالى بسيطا ومحكما في نفس الوقت : (**ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربى مبين**) [3] .

ونحن أيضا نقول إن من تنسبون التصوف لهم أعاجم وهذا لسان عربي مبين فلماذا تأبون ألا أن تعجموه ؟

ثم إن هؤلاء المستشرقين ومن سار على نهجهم بعد أن نسبوا التصوف إلى جهات

---

1) تاريخ الفلسفة الغربية – ترجمة نجيب محمود – ج 2ص196 .
2) تاريخ الفكر العربى إلى أيام ابن خلدون – دكتور عمر فروخ – ص 474 .
3) النحل –103 .

الدنيا الأربع عادوا فقالوا : إن الطب هو الآخر قد أخذناه عن اليونان بدليل أن العرب قد ترجموا كتب جالينوس وأبقراط وكذلك الفلسفة عن أرسطو وسقراط وما الكندى والفارابي وابن رشد إلا من أتباع المذهب الأبيقورى أو رأى اكسنوفانسي الايلى أو بروديكوس السوفسطانى ، وكأن علماءنا هم فقط آلة كاتبة لا تتأثر ولا تؤثر وكل علم هو أجنبي مكتوب بلغة العرب فلا أصالة ولا عبقرية لهم .

فما أجدرنا بالانتباه والتصدى لمثل هذه الدسائس الهدامة فإنها جرائيم قاتلة موضوعة بيننا مهمتها غسل أدمغتنا وتحقير عقولنا .

ومن ضمائرنا قول أحد اللاهثين في الدعوة إلى التصوف في هذه الأيام – هو عبد القادر عيسى شيخ الطريقة الشاذلية بالشام في كتابه حقائق عن التصوف الذى دلس فيه وغش أمة الإسلام بحيث لم يذكر من التصوف إلا الوجه المشرق وأخفى عن علم الوجه المظلم المليء بالشرك والبدع المحرمة والكفريات – إن إنكار بعض الناس لفظ « التصوف » بأنه لم يسمع في عهد الصحابة والتابعين مردود ، إذ كثير من الأصطلاحات أحدثت بعد زمان الصحابة واستعملت ولم تنكر كالنحو والفقه والمنطق .

الشيخ عبد القادر عيسى

إن الشيخ الفاضل السيد عبد القادر عيسى هو أحد علماء الإسلام الدالين على الله بالحال والمقال وكتابه حقائق عن التصوف يدل على فضله وعلمه وأما وصفه بأنه من اللاهثين وقذفه بالتدليس والغش فإننا ما كنا نود للمصنف أن يصدر منه مثل هذا وإذ نزل إلى ساحة السباب والشتائم والشنآن فماذا ترك للرعاع والدهماء ، إذ يجب على كل مسلم توقير واحترام أخيه المسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم »[1] . وأرجو أن أكون مأذونا من الله تعالى في أن أقول للمصنف نيابة عن السيد عبد القادر عيسى سامحك الله وغفر لك بمنه وكرمه .

وأما أنه ذكر من التصوف الوجه المشرق وأخفى . . . الخ . فإننا نقول : إن التصوف الذى نعرفه هو الذى ذكره السيد عبد القادر عيسى في كتابه حقائق عن

---

١) رواه مسلم .

التصوف وهو الموجود في كتب الصوفية كمؤلفات الغزالي وعوارف المعارف والرسالة القشيرية ومؤلفات ابن عطاء الله السكندري وغيرها .

وأما الوجه المظلم المليء بالشرك فلا وجود له إلا في وهم المصنف ووهم المصنف ليس بحجة على أحد والأمر المحير هو أن يترك المصنف وأمثاله – سامحهم الله – الكتب الصوفية المعترف بها الشارحة للتصوف وعلومه بعد أن يعترفوا بأن بها الوجه المشرق ويهرعوا لالتقاط كلمة من هنا وعبارة من هناك ويسموها الوجه المظلم . .فلا يكاد ينقطع العجب من غرابة هذا المسلك .

وفات هذا الشيخ أن إنكار السلفيين للفظ التصوف ومعناه أن التصوف استعمل معولا لهدم الإسلام وتفتيت عقائده وإبطال شرائعه وأحكامه ، وأما لفظ النحو والفقه فقد استعمل لحفظ الإسلام والإبقاء عليه ولفهمه ومعرفة ما جاء به من الهدى والنور والخير والشر وشتان ما بين الأصطلاحين ، إن الأول للهدم والتخريب والثاني وضع للبناء والتعمير ومن يسوى بين ما يبني ومايهدم ، إن التصوف أخي المسلم ليس كما يقول دعاته باطلا وزورا إنه علم تعرف به أحوال تزكية النفس وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية ولا هو استعمال كل خلق سني وترك كل خلق دني ولا هو ما عرفوه به ووضعوا له من حدود ورسوم لا تعد وكونها حبرا علي ورق .

لله در المصنف طالما يكرر ويتعب نفسه من تكرير ما كرر ، وكل ما قاله سبق وأن تحدثنا فيه بما لا مزيد عليه فليعفنا القارئ الكريم من إعادة ما قلنا .

وإنما هو بحسب واقع المتصوفين منذ أن نشأ التصوف في القرن الرابع واستغله الزنادقة والباطنية وغلاة الحاقدين على الإسلام من يهود ومجوس وصليبيين بضرب العقيدة الإسلامية ووحدة المسلمين وقوتهم إنما هو أي التصوف أسلوب من الأحتيال والنصب والتدجيل يبتدئ بذكر الله وينتهي بالكفر والعياذ بالله أوله اتباع وأخره ابتداع ظاهره التقوى والطهر وباطنه الفجرة والعهر .

نشأة التصوف

إن المصنف أرشده الله – في سبيل تأكيد ما يقول خالف كل معقول ومنقول ثم ذهب إلى أبعد من هذا فخالف بل ناقض كلامه ، الأمر الذي يؤكد سوء فهمه وعدم الاطلاع

الصحيح على ما يكد . عنه مما يجعلنا ننصحه بعدم التسرع لما قد يؤدى إليه التسرع وسوء الفهم من إحقاق باطل أو إبطال حق وكما قيل أسأت فهما فأسأت جوابا ، ولأن التصوف كما قلنا وكررنا حتي كل اليراع ومل النزاع هو التطبيق العملي للإسلام وهو ما كان عليه صحابته صلي الله عليه وسلم بل واشتهر أهل الفضل والصلاح بهذا الاسم حتي قبل الإسلام ، ولأن كلام المصنف عن نشأة التصوف في القرن الرابع في محاولة ساذجة منه لاثبات عدم أصالة التصوف وأنه لم يعهد عن كبار سلف الأمة وعلي رأسهم الصحابة وكأن الحقائق تبطل بالدعاوى الفارغة الضالة المضلة لا أساس له من الصحة بل لم يعرف إلى الصحة سبيلا فسنجيب عليه بكلامه هو .

وسيرى القارى الكريم في كتابه هذا الذى بين أيدينا أن المصنف قد نسب أقوالا إلى الإمام الجنيد والسيدة رابعة العدوية – وهما براء منها كما سنبين فى حينه – فى ظاهرها مخالفة للشريعة ليدلل عن طريقها على رأيه المعروف المرفوض في التصوف وأهله علي أساس أنه لا يجادل أحد في كونهما – وهو الصحيح – من كبار المتصوفه .

والأمر الغريب العجيب أن كل من له أدني إلمام بمثل هذه العلوم يعرف أن الأمام الجنيد توفى فى 270 هـ أى أنه عاش وتوفى في القرن الثالث والاغرب الأعجب أن السيدة أم الخير رابعة العدوية توفيت في 135 هـ على أصح الأقول وفى 185 هـ على أضعف الروايات أى فى القرن الثانى .

فكيف يا أيها المصنف نستطيع أن نجمع بين هذين القولين المختلفين وكيف يصح أن يولد الأبن قبل الأب والحفيد قبل الجد .

بعض من صوفية القرون الخيرية الأولى

هذا عدا الكثير غير من ذكرت ويعرف كل من له ولو شبه علم أنهم من الصوفية . كمحمد بن واسع 123 هـ ، ومالك بن دينار 131 هـ ، وداود بن نصير الطائى 165 هـ ـ والفضيل عياض 187هـ وشقيق البلخى 194 هـ ـ ومعروف الكرخى 200 هـ وأبو سليمان الدارانى215 هـ وبشر الحافي227هـ وحاتم بن عنوان الاصم 237 هـ والحارث المحاسبى 243 هـ وذو النون المصري 245 هـ وسرى ابن مغلس السقطى 253 هـ وأبى يزيد البسطامى 261 هـ ويحيي بن معاذ الرازى 258 وسهل بن

عبد الله التستري 283 هـ والمئات قبلهم وبعدهم .

عودة إلى لفظ التصوف

بل وحتي لفظ التصوف ذاته عرف قبل أيضا القرن قبل الرابع الهجري بكثير .

يقول الكندي متحدثا عن سنة 201 هـ : (وظهرت بالأسكندرية طائفة يسمون بالصوفية يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) [1] ويقول أيضا : (وكانت بمصر جماعة من الصوفية يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وكان ابن المنكدر منهم) [2] وكان جابر بن حيان المتوفى في 190 هـ يسمى بجابر الصوفي . وكذلك أبو هاشم الصوفى المتوفى في 150 هـ ، والجاحظ المتوفي فى شهر محرم من سنة 255 هـ يضع عنوانا لأحد فصول كتابه « اسماء الصوفية من النساك ممن كان يجيد الكلام » [3] مما يدل بداهة على أن الصوفية قد عرفوا قبل ذلك التاريخ بكثير بل وجمع حديث من يتقن علم الكلام منهم .

روى المسعودى عن يحيى ابن أكثم : (أن المأمون لجالس إذ دخل عليه على بن صالح الحاجب فقال : يا أمير المؤمنين رجل واقف بالباب عليه ثياب بيض غلاظ مشمرة ويطلب الدخول المناظرة ، فقلت إنه بعض الصوفية ، فأردت بأن أشير ألا يؤذن له فبدأ المامون فقال : أئذن له ، فدخل رجل عليه ثياب قد شمرها ونعله فى يده فوقف على طرف البساط فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فقال المأمون : وعليك السلام ، فقال : أتأذن لى فى الدنو منك ، قال : أدن فدنا ، ثم قال : أجلس فجلس ثم قال أتأذن فى كلامك فقال : تكلم بما تعلم أن لله فيه رضا قال : أخبرنى عن هذا المجلس الذى أنت قد جلسته أباجتماع من المسلمين عليك ورضا منك أم بالمغالبة لهم والقوة عليهم بسلطانك . . . الخ) [4] .

وإذا علمنا أن المأمون بويع بالخلافة يوم الخميس 5 صفر198 هـ وتوفى فى 8 رجب 218 هـ اتضح أن محاولات الهزوء والسخرية بعقل القارئ التي يتعمدها البعض

---

1 - 2) الولاه والقضاه – محمد بن يوسف الكندى ص 162 – 163 – 440 .

3) البيان والتبين – الجاحظ – مقدمة الجزء الأول ص 13 .

4) مروج الذهب للمسعودى – ج 2 ص341 .

كإقناعة بأن التصوف قد طرأ حديثا على الأمة محاولات لا تنطلى إلا على السذج والبلهاء .

وقال الحسن البصرى رحمه الله المتوفى في 110هـ : (رأيت صوفيا فى الطواف فأعطيته شيئا لم يأخذه وقال : معى أربعة دوانيق فيكفينى ما معى [1] .

وجاء فى كتاب أخبار مكة : أن قبل الإسلام قد خلت مكة فى وقت من الأوقات حتى كان لا يطوف بالبيت أحد وكان يجئ من بلد بعيد رجل صوفى فيطوف بالبيت وينصرف وعليه فإن هذا الأسم كان يطلق كما قلنا على أهل الفضل والصلاح حتى قبل الإسلام .

الله الله يا عباد الله كم عانت أمة الإسلام من الفرقة والانقسامات بسببه وكم ضيمت ونالها من الشر والسوء على يد دعاته ومتبنيه استعان به الاستعمار على فتح الدار والحاق العار ثم اتخذ العدو الداهم لبلاد المسلمين من الشرق والغرب من عيون تدله على ضعف المسلمين وعوزاتهم والسن تخبره عما يخفيه المسلمون عن عدوهم من أمور حربهم وسلمهم وذلك من مشايخ الطرق والتصوف والتاريخ حافل بهذه المخازى وصفحاته تقر بذلك ولا تنكره وتعترف به وتشهد عليه .

ما قام للحق عمود ولا أخضر للحقيقة عود إلا بإقامة الدليل واستحضار الحجة وكل ما قاله المصنف سامحه الله – لا يساوى المداد الذى كتب به لخلوه من البرهان .

حقائق من التاريخ

وأما حديثه عن صفحات التاريخ ، فإنه من المؤكد وقد رأينا اتساع دائرة معلوماته التاريخية أن لديه مصادر خاصة به وجد فيها مثل هذه الحقائق والوثائق ، وعلى كل حال ليسمح لنا بأن ننقل له مما بين أيدينا من مصادر التاريخ أقل القليل من مآثر السادة الصوفية التى سطرت لهم بأحرف من نور فى مصادر التاريخ الإسلامى المعروفة المعتمدة .

فيتحدث الأمير شكيب أرسلان فى مرجعه الإسلامى الكبير حاضر العالم الإسلامى عن أتباع الطريقة القادرية فيقول :

---

1) اللمع – للسراج الطوسى .

هم أحسن مبشرى الدين الإسلامى فى غربى أفريقيا من السينغال إلى بنين التى بقرب مصب النيجر وهم ينشرون الإسلام بطريقة سلمية بالتجارة والتعليم ، وتجد التجار الذين من السونينكه والماندجولة المنتشرين على مدن النيجر وفى بلاد كارتا وماسينه كلهم من مريدى الطريقة القادرية ومن مريديهم من يخدمون فى مهنة الكتابة والتعليم ويفتحون كتاتيب ليس فى زوايا الطريقة فقط بل كل القرى ، فيلقنون صغار الزنج الدين الإسلامى أثناء التعليم ويرسلون النجباء من تلاميذهم على نفقة الزوايا إلى مدارس طرابلس والقيروان وجامع القرويين بفاس والجامع الأزهر بمصر فيتخرجون من هناك طلبة مجازين أى أساتذة ويعودون إلى تلك البلاد لأجل مقاومة التبشير المسيحى فى السودان [1] .

ويفيض فى التحدث عن النهضة الإسلامية فى أفريقيا ويختم حديثه قائلا :(وأكثر أسباب النهضة الأخيرة راجعة إلى التصوف والاعتقاد بالأولياء) [2] .

ويقول فنستان مونتاى : أنه فى سنة 1949م قدم قس للتبشير فى شمال داهومى ووصل بعد ثلاث سنوات داعية متصوف لنشر الإسلام وبعد مضى عشر سنوات لم يستطع القس أن ينصر سوى عشرة أشخاص فى حين دخل نصف القرية الدين الإسلامى على يد ذلك الصوفى [3] . والفضل ما شهدت به الأعداء .

ويفيض العلامة الندوى في كتاب « المسلمون في الهند » في الحديث عن مواعظ رجال التصوف ونصحهم للعامة الذى يؤدى إلى تعطل تجارة الخمر فى كلكتا وهي كبري مدن الهند ومراكز الأنجليز فكسدت سوقها وأقفرت الحانات واعتذر الخمارون عن دفع الضرائب للحكومة متعللين بكساد السوق وتعطل تجارة الخمر [4] .

ويقول الأستاذ صبرى عابدين (رأيت على حدود الحبشة والسودان وأريتريا بعثة سويدية للتبشير ووجدت إلى جانبهم أكواخا أقامها الصوفيون وأفسدوا على المبشرين

---

1 - 2) حاضر العالم الإسلامى ج 2 ص 396 .

3) مجلة تراث الشعب الليبية ص 106 نقله الاستاذ عبد الحميد الهرامة عن مجلة كلية الآداب العدد الثالث ص 114 .

4) المسلمون فى الهند – أبوالحسن الندوى ص140 .

السويدين إقامتهم أربعين سنة ولذلك أرجو أن نتعاون لإخماد هذه الحركات التى تؤذينا دينيا وسياسيا ، وإن الذين يحملون علي الصوفية ليسوا فوق مستوى الشبهات بل هم غارقون فى الشبهات [1] .

ولا يخفى أن انتشار الإسلام فى أفريقيا وآسيا على وجه الخصوص والعالم عامة كان للسادة الصوفية فيه اليد الطولى والطريقة المثلى ولولا ما نحاول جاهدين الالتزام به من الاختصار لذكرنا الكثير من مثل هذه الحقائق التاريخية لا الادعاءات الجوفاء .

وسوف نذكر صورا حية وأمثلة صادقة عند ذكر كل أصل من أصول التصوف التى ظاهرها مشرق وباطنها محرق والتى ما زال المضللون والمخدوعون والمغرورون يعرضون الوجه المشرق منها ويخفون الوجه المظلم المحرق .

لغيرك الجهل أيها المصنف ، إن هذا الإصرار منك على تكرير عبارة الوجه المظلم والذى لم تعلم به إلا ببركة علومك يدفعنا إلى أن نطرح السؤال التالى :

بما أنك تُقر أن للتصوف وجها مشرقا يظهره الصوفية ويخفون المظلم ، فكيف عرفت هذا الوجه المظلم وهم يخفونه باعترافك ، فإن كنت قد علمته فمن المؤكد أنه علمه غيرك بالإضافة لك مما لا يجعله مخفيا وإن كنت لا تعلمه فكيف تقر بوجوده ؟ ما هذه الغفلة أرشدك الله .

ولا أدرى ما يحملهم على ذلك ألم يكن فى هدى الله ورسوله من فنون التربية وأنوا ع العبادة ما يزكى النفوس ويطهر الأرواح ويهذب الأخلاق ويوصل العبد إلى حضرة القدس ويذيقه طعم الأنس بربه سبحانه وتعالى ؟ بلى إن فى ذلك لغنى كبيرا عن شطحات التصوف وخيالات المتصوفين ولكن أكثر الناس لا يعلمون

يبدو أنه لدى المصنف معلومات أخرى مؤكده تفيد أن الصوفية يتعبدون ربهم بغير هدى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وربما كانوا يؤمنون بآمون أو حورس أو رع كقدماء المصريين بدلا من الإيمان بالله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ،

---

1) نقله الشيخ عبد القادر عيسى فى كتاب حقائق عن التصوف ص 347 عن مجلة لواء الإسلام السنة التاسعة – العدد العاشر ص 645 .

أو يصلون بالوقوف وقت طلوع الشمس وغروبها كما يفعل اليزيدية عبدة الشيطان ، عوضا عن الصلاة المكتوبة ، أويصومون كالفرقة البهائية الكافرة في الشهر التاسع الذي يلي أيام الضيافة عندهم بدلا من صوم شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن . أو يحجون إلى الدار التي ولد بها البهاء كما يفعل البابية المارقين الكفرة عوضا عن الحج إلى بيت الله الحرام . فالعلم بهذا عند الله ثم عند المصنف .

ب) أصول التصوف . إن للتصوف أصولا تواضع عليها أهل هذه البدعة من نشأتها فلا تعرف حقيقة التصوف إلا بالنظر في تلك الأصول والوقوف على ما فيها من حق وباطل وخطأ وصواب وسنكتفي بذكر أصول منها وهي أهمها ومن خلال استعراضها تتبين ما جرته هذه البدعة على أمة الإسلام من أضرار وأخطار والغرض من هذا كله تنبيه أمة الإسلام وتحذيرها من الوقوع في حبائل هذه البدعة مرة أخرى حيث نشط اليوم دعاتها من أدعيائها والمغرورين ببهرجها وزخرف القول فيها ولا يبعد أن يكون المحرك لأدعياء التصوف في هذه الأيام أصابع الماسونية العالمية لما رأت من تحرك الشباب المسلم نحو الإسلام وإقباله على التدين الصحيح المستقى من الوحيين كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فخافت من عاقبة هذه الصحوة أن تنقلب نهضة إصلاحية شاملة فتنقذ العالم الإسلامي من سيطرتها وتخلصه من أنيابها وتنشله من أظفارها الناشبة فيه منذ أن أردته صريعا بسكين التصوف البغيض وها هي تلك الأصول نستعرضها أصلا بعد أصل لنرى ما تحمله من خراب ودمار لأمة الإسلام الخيرية الكريمة .

أصول التصوف

إن ماذكره المصنف عن أصول التصوف سنوافقه عليه على سبيل المجاراة فقط ، وأما أصول التصرف التي نص عليها القوم قد حددها الإمام النووي إمام أهل الحديث فقال : **أصول التصوف خمسة :**

1- تقوى الله في السر والعلانية

2- اتباع السنة في الأقوال والأفعال

3- الإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار .

4- الرضا عن الله في القليل والكثير .

5 - الرجوع إلى الله في السراء والضراء [1] .

وذكر سهل التستري رضي الله عنه نفس هذه الأصول بتفصيل أكثر فقال : أصولنا سبعة أشياء :

1 - التمسك بكتاب الله .

2 - الاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

3 - أكل الحلال .

4 - كف الأذى .

5 - اجتناب المعاصي .

6 - التوبة .

7- اداء الحقوق [2] .

وقال الشيخ سعيد المغربي (أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمات المشايخ وإقامة المعاذير للخلق والمداومة على الأوراد وترك الرخص والتأويلات وما ضل عن هذا الطريق إلا أنحط من مقام الرجال [3] .

فهذه إجمالا هي الأصول التي يقصدها الصوفية عند كلامهم عن أصول التصوف وهو أمر متداول ومعروف ومشروح بتوسع في كتبهم ، وأما التي ذكر المصنف فكما قلنا سنجاريه في تسميتها بالأصول نزولا على رأيه وأما باقي كلامه عن الأنياب والسكاكين والأظافر والماسونية فهي من باب السباب والشتائم وليس لهما عندنا رد .

الأصل الأول

الطريقة . ما تعني كلمة الطريقة أنها تعني أتصال المريد - المراد بالمريد من يريد الوصول إلى الله تعالى بطريق الأذكار والمحافظة عليها .

---

1) رسالة المقاصد - الإمام النووي ص 20 .

2) الطبقات الكبرى - الإمام عبد الوهاب الشعراني ج 1 ص 66 .

3) تحفة السالكين الشيخ محمود بشير القادري - ص 9 .

المريد

إكمالا لمعلومات المصنف عن المريد نقول : إن كلمة مريد تصدق على كل من أراد الوصول إلى الله والوصول إلى الله هو الوصول إلى المعرفة به ، وللمريد صفات وآداب معروفة عند القوم منها : الانشغال بالله والإعراض عما سواه وحب كل ما أحب الله وبغض كل ما أبغضه وغض الطرف عن المحارم وترك فضول الحلال وإدامة الطهارة فإنها نور وعدم الطمع في ما في أيدى الناس ومداومة الذكر سرا وجهرا وفكرا والأجتهاد في تحصيل وأكل الحلال إذ أنه من أهم الأصول والكف عن الحرام والتواضع والنظافة الظاهرة والباطنة والصبر والشكر وتجديد التوبة عند كل هفوة أو زلة .

والشيخ وارتباطه به حيا وميتا إذ مات الشاذلى مثلا وأتباعه باقون إلى اليوم وكذلك سائر الطرق .

الإمام الشاذلي ودوره الإصلاحي

نعم هذا صحيح ولا بأس من إلقاء الضوء على بعض من جوانب الدور الإصلاحي للإمام الشاذلي رضى الله عنه ولاتباعه من بعده فى أمة الإسلام وإن كان هذا الدور غنى عن التعريف ولكن ما باليد حيلة فنقول : إن الهبوط والانحلال والفساد كان هو السمة السائدة للفترة التي سبقت مجئ الإمام الشاذلي إلى مصر ومن مظاهره :

1 – على صعيد الحكم تولى حكم مصر « العادل أبو بكر الكامل » وقد استمر حكمه الى 638 هـ – 1240 م واشتهر عهده بالفوضى والاضطراب والتأخر والانحلال وكان شابا مستهترا يخالط الشبان ويقتل معهم وقته فى اللهو واللعب فخلت خزانة الدولة من المال وعم الفقر البلاد .

2 – ولا ننسى الدولة العبيدية وكانت فى الفترة التى سبقت مجئ الشاذلى إلى مصر والتى سقطت فى 567 هـ – 1171 م قد زعزعت بحكم العقيدة التى قامت عليها الكثير من القيم والمبادئ الإسلامية وانحرفت عن أركان وأسس الإسلام السمحة لتدخل فى عقول الناس قيما وأفكاراً تتلائم مع طبيعة تكوينها ومبادئها التي قامت على اعتقاد حلول الله سبحانه وتعالى فى السلطان العبيدى واعتقاد ألوهيته ، وجملة من مثل هذه العقائد الباطلة المشوشة ، وقد كان الحكام العبيديون يشجعونها ويجيزون من اعتقد أو

ساعد على نشر هذه الأباطيل ، قال محمد البديل يمدح عبيد الله بن المهدى لما قدم رقادة :

حــــل برقــادة المســـــيح حـــــل بهـــا ادم ونـــــــوح

حـــل بها أحمـد المصطفي حـل بها الكبـــش والذبيـــح

حـــل بها اللـــه ذو المعالـى وكـــل شـــئ سواه ريــــــح [1]

وبلغ الأمر أن جعل بعض أتباعهم صيغة الإيمان والقسم عندهم (وحق عالم الغيب والشهادة مولانا المهدى الذى برقادة) [2] ، وجعل البعض من السلطان العبيدى قبلة يصلون إليها [3] ، والآخر يتصدى لعبيد الله بن المهدى قائلا : (ارق إلى السماء كم تقيم فى الأرض وتمشى فى الأسواق) [4] .

ومدح ابن هانئ الأندلسى المعز العبيدى بقوله :

ما شئت لا ماشاءت الاقدار فاحكم فانت الواحد القهار

فكان ان نتج عن هذا الانحراف عن مبادئ الإسلام أن تأثر الكثير من عامة الشعب وخاصتهم بهذه الأفكار وكثر انتشارها فى أوساط الأمة ، ومن هنا نرى ما يعنيه كون الإمام الشاذلى مسلما علي مذهب أهل السنة والجماعة وعلى مذهب الإمام مالك فى الفقه وعلى العقيدة الإسلامية السليمة ومن هنا نعرف لماذا كان اهتمامه بتدريس كتب الحديث والفقه والتفسير ، ونفهم ما يعنيه بقوله : (من دعا إلى الله تعالى بغير ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو بدعى) [5] ، بل وإن كل أحزابه ما هى إلا دعوة لكل قارئ لها إلى معرفة الله سبحانه المعرفة الإسلامية الصحيحة النابعة من الكتاب والسنة وعبادته تعالى كما أمر .

---

1) البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب – ابن عذارى المركشى ج 1 ص 160 .

2) المصدر السابق – ج 1 ص 160

3) المصدر السابق ج 1 ص 186.

4) المصدر السابق ج 1 ص186.

5) الانوار القدسية – الشيخ محمد ظافر المدنى – ص 131 .

بل إن مشائخ التصوف دأبوا على تأليف وترتيب الأحزاب لأتباعهم إذ أنها تخاطبهم ببساطة وتدلهم على بارئهم بسهولة خاصة إذا علمنا أنهم كانوا دائما يخاطبون تلك الفئة كثيرة العدد عامية الثقافة وهم أفراد الأمة البسطاء من صانع وتاجر وفلاح وغيرهم ، هذا فضلا عما أودعه الله تعالى في أحزابهم وأورادهم من بركة يعرفها ذوو البصائر .

3 – انتشار الفقر والفتن والمعارك في تلك الأحيان بين المسلمين من حكام وهم الأيوبيون وخليط المماليك والرعية كما حدث في الثورة المشهورة التي قادها الشريف حصن الدين ضد أولئك الحكام .

4 – وأدت كل هذه العوامل مجتمعة إلى هبوط المستوى الأخلاقي والوازع الديني واتسمت أخلاق المجتمع بالتحلل والمجون والخلاعة والاستهزاء بمبادئ الدين الحنيف ويعطينا ابن إياس صورة مظلمة ومخيفة عن تلك الفترة فيقول في تاريخه : ودخلت سنة 665 فيها أبطل السلطان ضمان الحشيشة وأمر بإحراقها وخرب بيوت المسكرات ، وكسر ما فيها من الخمور وأراقها ، ومنع الحانات والخواطي واستتاب العلوق واللواطي وعم هذه الأمر سائر الجهات المصرية ، وبرزت المراسيم الشريفة بمنع ذلك في سائر الجهات الشامية [1] .

وينقل أيضا عن ابن دانيال قوله : وهزم أمر السلطان جيش الشيطان وتولى الخوان والى القاهرة إراقة الخمور ، وإحراق الحشيش وتبديد المزور واستتاب العلوق والنواطي وحجر البغاة والخواطي وشاعت بذلك الأخبار ووضع الإنكار ، وصلب ابن الكازروني [2] وفي رقبته نبيذية فدعاني بعض أصدقائي إلى محله وأنزلني من عياله وأهله واعتذر إلي عن تقصيره في الإكرام إذ لم يأتني بمدام وقال : قد غلب على ظني أن أبا مرة [3] قد مات وعد في الرفات فقم بنا نبكيه ونصف الحال ونرثيه فابتدأت وقلت في معني هذه الواقعة التي وقعت :

---

1) بدائع الزهور – ابن اياس ج 1 ص 104 .

2) صلب الظاهر بيبرس ابن الكازروني بعد أن أتى به إليه في حالة سكر بعد القرار المشار إليه وعلق برقبته جرة الخمر والقدح وتركه في العراء مصلوبا مما كان له أثره في ردع الناس .

3) أبو مرة كنية الشيطان لعنه الله .

مـات يا قوم شيخـنا إبليس وخـلا منه ربعـه المأنـوس [1]

وبالجملة فقد بلغ السيل الزبى وجاوز الربى وانحطت أخلاق المجتمع وأصبح عمل أصحاب المجون والفجور وارتكاب الموبقات وشرب الخمور هو السمة الغالبة على ذلك العصر وشمل هذا الانحطاط حتى العلماء ومن يقرأ كتاب وفيات الاعيان ويتيمة الدهر وطبقات السبكي يجد الكثير مما ذكرنا وتعدي الأمر الممارسة الشخصية إلى استهانة من لا يخشى الله من أدعياء العلم بالإسلام والاستهتار بتعاليمه الغراء ، وفضح الإمام السبكي مشكورا مثابا إن شاء الله تعالى الكثير من حيلهم وفتاويهم ورخصهم التى قالوا بها للأمراء دون غيرهم حتى قال قائلهم :

الـشافعي من الأئـمة قائل اللـعب بالشـطرنج غـيرحرام
وأبو حنيـفة قال وهو مصـدق فـي كل ما يـروى من الأحكـام
شـرب المثلث والمربـع جـائز فاشـرب علـى أمـن من الاثام

وقال الأخر :

إذا سألوا عن مذهبي لم أبـح به وأكتـمه كتـمانه لي أسلم
فإن حنـفيا قلت قالوا : بأنني أبيـح الطلا وهو الشراب المحرم
وإن مالكـيا قلت قالوا : بأنني أبيـح لهم أكل الكلاب وهم هم
وإن شافعيـا قلت قالوا : بأنني أبيـح نكاح البنت والبنت تحرم
وإن حنـبليا قلت قالوا : بأنني ثقيـل حلولي بغيـض مجسم
وإن قلت : من أهل الحديث وحـزبه يقـولون : تيس ليس يدرى ويفهم [2]

وفي وسط هذه الظلمات المتراكم بعضها فوق بعض وحالك الدلجة ومطلق العتمة وفساد الواقع والحال ظهر ذلك النور الإيماني العظيم والمجدد والمصلح الكريم الداعي إلى الله على بصيرة وهدى من الكتاب المنير الإمام أبو الحسن الشاذلي ، فدعا الناس

---

1) بدائع الزهور – ابن أياس ج 1 ص 106.

2) أنظر الكشاف للزمخشري ج 3 ص301 .

إلى الإلتزام بتعاليم دينهم والاقتداء بنبيهم آمرا لهم بالمعروف ناهيا عن المنكر بأسلوب يخالف ما اعتادوه من جهل واستهتار به الكثير من الإيمان والشفافية النقية والروحانية الملائكية ، وتحدث معهم عن الرضا والتوكل واليقين وقرع أسماعهم بعبارات التوحيد والصدق والنقاء والإخلاص والتمكين فأفاقت القلوب من غفلتها وكفت الجوارح عن التمادى فى معصيتها وأقلعت النفوس عن عادتها وانقادت لهذا الإمام الكريم تستمع إلى وعظه وتهتدى وتتوب على يديه وتتلمذ على علومه ، فانتقلت من الضعف إلى القوة ومن التشتت إلى الوحدة ومن الجهل والاستهتار إلى الالتزام والعلم والإيمان ، فانتصرت فى أقسى المعارك وأعنفها على اعداء الدين والتسان فى حروب صليبية آثمة واستمرت هذه الصحوة فى الزيادة والسمو فأصبحت تلك البقعة خاصة بفضلها الأندلس بعد سقوط الأندلس وبغداد بعد سقوط بغداد وانبث ورثة هذا الشيخ فى مجتمعات المسلمين يأخذون بأيديهم وقلوبهم إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة .

وهذا فى الحقيقة مختصر متواضع ومتواضع جدا لجليل علم هذا الإمام الكريم ولكننا أردنا فقط أن نعرف من لا يعرف ونسمع من لم يسمع بالإمام الشاذلى * .

> *وذلك بواسطة ورد من الأذكار يقوم به المريد بإذن من الشيخ أول النهار وآخره ، ويلتزم به بموجب عقد بينه وبين الشيخ وهذا العقد يعرف بالعهد وصورته أن يتعهد الطرف الأول وهو الشيخ بأن يخلص المريد من كل شدة ويخرجه من كل محنة متى ناداه مستغيثا به كما يشفع له يوم القيامة فى دخول الجنة ويتعهد الطرف الثانى وهو المريد بأن يلتزم بالورد وآدابه ولا يتركه مدى الحياة كما يلتزم بلزوم الطريقة وعدم استبدالها بغيرها من سائر الطرق .*

أوردها سـعد وسعد مشتمل وما هكذا تورد يا سـعد الإبل

وما هكذا أيها المصنف – ساعدك الله – تورد الإبل

قد سبرت كل ما وقع فى يدى من كتب التصوف فما وجدت لهذا التعريف ذكرا أو

---

* تناول العديد من الكتاب والباحثين قديما وحديثا الإمام الشاذلى ولمن أراد التوسع ننصح بكتاب لطائف المنن لابن عطاء الله السكندرى وكتاب أبو الحسن الشاذلى لشيخ الأزهر عبد الحليم محمود .

أثرا ، وقد جرت العادة بأن يذكر الناقل المصدر الذي نقل عنه ولكن المصنف لم يلتزم في معظم كتابه الذي بين أيدينا بهذا الأسلوب العلمي الموثوق به وآثر أسلوب الهذرمة والضوضاء ، والغالب أنه وصل إلي هذا التعريف عن طريق ما فهمه من قراءته للتصوف وفهمه إن جاز تسمية الوهم فهماً لايجوز أن يتعداه إلي من سواه .

التعريف الصحيح للطريقة

الطريق والصراط والمنهج ألفاظ مترادفة يراد بها ما يوصل إلى المقصد آمنا سالكه علي نفسه ، وإن السالك يفارق ذميم الحال ليصل إلى حميد المآل ولا يتسنى له ذلك ما دام واقفا عند كل خلق ذميم ووصف لئيم ولهذا فهو يسير في الطريق المؤدية للكمال ، ومن هنا جاء لفظ طريق أو طريقة ، ومنه قوله سبحانه وتعالى : (**وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا**) [1] أي لو استقام القاسطون على طريق الحق والاستقامة لأسقيناهم بالاستقامة ماء غدقا .

ويقول ابن عجيبة رضي الله عنه : (طريقة الصوفية وهي الموضوعة لكيفية تهذيب القلوب وتصفيتها من الرذائل وتحليتها بالفضائل لتتهيأ بذلك لمعرفة الحق تعالى المعرفة الحقيقية) [2] .

ويتكلم الشيخ عبد الواحد يحيى عن الطريقة بوضوح أكثر فيقول : (إن الطريقة هي الخط الذاهب من محيط الدائرة إلى المركز وكل نقطة علي محيط الدائرة هي مبدأ الخط ، وهذه الخطوط التي لا تحصى تنتهي كلها إلى المركز إنها الطرق وهي طرق تختلف تبعاً لاختلاف الطبائع البشرية ولهذا يقال : إن الطرق إلى الله كنفوس بني آدم ومهما اختلفت فالهدف واحد لأنه لا يوجد إلا مركز واحد وإلا حقيقة واحدة [3] .

ويقول الشيخ محمد ظافر المدني متحدثا عن سبب تعدد الطرق وأساليبها : (لكل طريقة اصطلاح وقتي يوضع لمناسبة الزمان والمكان والإخوان) [4] .

---

1) الجن – 16 .

2) الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية – احمد بن عجيبة – ص 36 .

3) قضية التصوف ، المنقذ من الضلال – شيخ الأزهر عبد الحليم محمود – ص 110 .

4) الأنوار القدسية – محمد ظافر المدني – ص 5 .

ثم إن هذا السلوك على الطريق لا يتأتى بالتصنع والتكسب بل هو موهبة من عند الله ، فكما إنك لا تستطيع أن تجعل من إنسان شاعرا وإن علمته علم العروض وديوان المتنبي وشرحت له مختارات البليسى ، أو أديبا وإن حفظ عن ظهر قلب كل مؤلفات الجاحظ وعبرات المنفلوطي ونظراته وعبد الرازق البصير وأدبياته ، كذلك لا تستطيع ان تجعل منه صوفيا ولو قرأ كل ما كتب عن التصوف .

ويشير الشيخ محمد بن عيسى إلى هذه الحقيقة فيقول :

(طريقتنا هذه لا تدخل في قلب قاس ولا في جسم عاص ولا في عقل جاهل ولا تدرك بالقياس ولا هي خارجة عن الكتاب والسنة بل هي حكمة علمية وموهبة لدنيه على السنة والنية مساقة على أثر الأنبياء والأولياء ، مع دوام ظاهر صاحبها على الاستقامة فمن عمل علي هذا فهو من حزبنا ومحسوب علينا ومنسوب إلينا . ومن لم يكن مشهور ظاهر أمره علي هذا فنحن براء منه وهو برئ منا) [1] .

هذه هي *الطريقة* عند *المتصوفة* وهي *أحد أصول التصوف* عند *أصحابه* وهذا *بيان ما فيها من الباطل والشر والفساد* .

وإن تعجب فعجب أن يخترع المصنف – عفي الله عنه – تعريفه المذكور ليصل منه إلى هذه النتيجة ، مما جعله في جهة والحق في جهة ، ولا زلنا نجل المصنف عن أن يصدق فيه قول شوقي :

وإذا أتى الإرشاد من سبب الهوى ومن الغرور فسمه التضليلا

1) تقسيم *أمة المسلمين* بين مشائخ *ضلال جهال* يستغلونهم ويتحكمون فيهم ويحرمونهم من نعمة *الوحدة الإيمانية والأخوة الإسلامية إذ المعروف أن العداوة* متأصلة بين طوائف *الطرق إلى حد أن بعضهم لا يجالس البعض ولا يؤاكله ولا* يشاربه بل ولا يزوجه ولا يتعاون معه ، ويقول *هذا ليس بأخي من الشيخ* وكفى بهذه *التفرقة بين المسلمين باطلا* وشر وفسادا .

---

1) شرح وظيفة محمد بن عيسى – الشيخ أحمد المسعودي الصيد – ص ل بترتيب حروف الهجاء في المقدمة .

أولا: إن كان المقصود بالمشائخ الضلال هم كبار العارفين كالإمام الشاذلي وابي العباس المرسي وابن عطاء الله السكندري والجزولي وأحمد زروق ومحمد بن عيسي وعبد السلام الأسمر وحسن رضوان وغيرهم من الذين اشتهر عند القاصي والداني فضلهم وعلمهم وقرأ كل من يقرأ مؤلفات من كتب منهم ، أو وقف علي كلامهم ولطيف إشاراتهم ودقيق عباراتهم فهذا اكتشاف جديد ، وقول فريد لم يسبق المصنف إليه سابق ولن يلحقه عليه لاحق إذ ما من مؤيد أو معارض إلا واعترف بغزير علمهم وسعة اطلاعهم .

وأما إن كان المقصود هم المشائخ الذين أتوا بعد هؤلاء الكُمل العارفين فإننا ننبه إلى أنه ليس كل من تصدر أو تقدم للطريق هو من مشائخها ولا حتى من أهلها .

والشيوخ ثلاثة : شيخ التلقين ، وشيخ الخرقة ، وشيخ الصحبة والاقتداء وهو الذي عليه الاعتماد في تحقيق الوصول لله لاسيما عند السادة الشاذلية عموما والتي تكاد تكون هي الطريقة الأكثر انتشارا في العالم قاطبة وينقسم شيخ الصحبة والاقتداء إلي مرب ومرق وسنتحدث عن الشيخ وعلاقته بالمريد في حينه إن شاء الله تعالى .

والخلاصة أن للشيخ المتصدر للإرشاد شروطا دقيقة وصفات حق وحقيقة فإن توفرت فيه فهو المقصود بلفظ الشيخ عند الحديث وإلا ما هو إلا دعي كذاب ، قال أحد أهل الطريق :

وللشـــــــيخ آيات إذا لم تكن له ... فمـــا هو إلا في ليالي الهوى يسري

إذا لم يكن علم لديه بظـــــاهر ... ولا باطـــــــن فاضرب به لجة البحر

وإن كان إلا أنه غير جامـــــــع ... لوصفــــــيهما جمعا على أكمل الأمر

فأقرب أحوال العليل إلى الردى ... إذا لم يكن منها الطـــــبيب على خبر

وآيتــــــه أن لا يميل إلى هوى ... فدنيـــــــــاه في طي وأخراه في نشر [1]

---

1) كتاب منهل الوراد – الشيخ جابر أحمد معمر – ص 346.

وعلى هذا فلا يصدق لفظ الشيخ إلا على كل عالم عامل ، ولكن المصنف الذى لا تحصى غفلاته يحاول جهده إلصاق كل عيب تصل إليه يده بالصوفيه فيا أيها المصنف لا يفوتنك الخير ويتركنك العدل .

فمـــا كل النيران كنار موسـى ولا كل القواطـــــم كالبتـــــول

وماكل من تصدر شيخ أو تقدم إمام ولا تثريب على من لا يستطيع التفرقة بين البحر واليابس .

وأما ما قاله عن عدم مؤاكلة ومشاربة وتعاون بعض أبناء الطرق فهذا يستحيل وجوده بداهة إذ لوجاع الإنسان قد ياكل حتي مع قاتل أبيه ، وأما ما قاله عن عدم المزا وجة فلنا عنده توضيح نرى أنه لابد منه : وهو أن التصوف حقائق معروفة وسمات معينة وحدود محددة فمن سار عليها فهو سالك فى الطريق الصوفى سائر على منهجه ، أما من تركها فإن كان متعمداً فهذا أمر معروف ومألوف وموجود فى كل الميادين العلمية بأنواعها والمهنية بأصنافها ، وكما لا يضر العلم أن ينتسب إليه هؤلاء الأدعياء فكذلك لا يضر التصوف أن ينتسب إليه هؤلاء ونكل أمرهم إلى العليم بذات الصدور ، ولكن الغالب أن يكون الخروج عن المسار نتيجة إما لطبع إنسانى غالب ، ويجب أن نكون واقعيين ولا نطالب بصوفى مثالى نموذجى لا ينطق عن الهوى ، وإما نتيجة لجهل وعدم معرفة وكل من ينتسب للطرق الصوفية اليوم هم نتاج للمجتمع الذى يحوى الفاضل والعالم والجاهل والبسيط والأمى فبعض هؤلاء من أهل العلم سار على المنهج الصوفى فى اتباع العلم بالعمل وبعضهم كان محدود المؤهلات والقدرات فبقى على ما هو عليه .

نعم أذكر أنى سمعت عن بعض من أتباع أحد الطرق أنهم يمنعون الزواج من غير طريقتهم وبالتحديد فى منطقة غرب أفريقيا وهذا أمر لا دخل للطريقة فيه بل يرجع للأسباب الآتية :

1 – انتشار الجهل بأحكام الدين وتعاليمه بين الغالبية العظمى فى تلك المنطقة ، وأذكر أننى رأيت فى مكة المكرمة عند ذهابى لأداء فريضة الحج عام 1983 م وكان معى حبيبنا فى الله السيد منصف العوكلى بعضا من الأفارقة المسلمين يغتسلون عراة فى أحد الأماكن العامة .

2 – أن الإسلام وقد انتشر في أفريقيا الغربية في القرنين الخامس والسادس الهجري على أيدي الصوفية واعتنقته الطبقات الحاكمة في عدد من الدول « كالماندينكا » في مالي وولايات الهوسا في شمال نيجيريا وكذلك في المناطق المحاذية للساحل الغربي ونهر السنغال وبقي محصورا في الغالب حتى القرن التاسع عشر الميلادي في الطبقات الحاكمة ثم انتشر ليشمل باقي الفئات عقب ثورة الفولاتي .

3 – وفي شرق أفريقيا منعت المملكة المسيحية في بلاد النوبة انتشار الإسلام وحدت من نشاط دعاته وبالتالي لم يدخلها الإسلام إلا بصورة متدرجة على أيدي الصوفية والتجار المسلمين ، وتستثنى الصومال في تلك المنطقة إذ أنتشر بها الإسلام منذ وقت مبكر .

4 – وعليه فإن الإسلام وقد انتشر في أفريقيا على أيدي الصوفية ممن كانوا في الغالب من أبناء الطرق الصوفية المعاصرة وكونه انحصر في مدن وقبائل بعينها جعل المزاوجة محصورة بين أفراد هذه القبائل أو المدن ممن كانوا يتبعون هذه الطريقة إذ لا تجوز مناكحة غير المسلم فانتج هذا منع المزا وجة مع غيرهم وإن كانوا مسلمين خوف الوقوع في المحظور .

وهذا الأمر كما قلنا محصور في جنوب غرب أفريقيا ولا وجود له في المناطق العريقة في الإسلام كالوطن العربي والدول الإسلامية عموما والغالب أنه في طريقه للزوال الآن .

ولقد قلنا سابقا أنه ليس كل من لبس معطفا أبيض طبيبا ولا كل من أمسك قلما أديبا كذلك ليس كل من انتسب لطريق القوم صار صوفيا وهذا هو وجه الخلاف بيننا وبين من يتخذون من هؤلاء ذرائعا وأسبابا للأنكار على التصوف وأهله فإن هذا يأباه الشرع لقوله (**ألا تزر وازرة وزر أخرى**) [1] وقوله تعالى (**كل نفس بما كسبت رهينة**) [2] ، ويأباه العقل لقبح أن يقاد عمرو بما فعل زيد ، ونختلف معهم أيضا في أسلوب العلاج فهم يتبعون أسلوب التشهير والإغلاظ في القول والرمي بتهمة الكفر والشرك والقسوة عموما ، ونتبع نحن الأسلوب الذي سار عليه الرسول صلى الله عليه

1) النجم – 38 .
2) المدثر – 38 .

وسلم وصحابته الكرام في الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والنصيحة لله ولرسوله والمؤمنين والرحمة بضعاف المسلمين وعامتهم والشفقة عليهم . قال صلى الله عليه وسلم : (**خاب عبد وخسر لم يجعل الله في قلبه رحمة للناس**) [1] . الأسلوب الذي أمر الله سبحانه رسله بأن يخاطبوا به حتى أقسى الجبابرة وأعتى الكافرين فقال لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام في حق فرعون (**فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى**) [2] .

وعلى هذا درج الصوفية الكرام وعلى هذا ربوا أتباعهم ، فيوصي الشيخ محمد بن عيسى أتباعه : (**بان يجعلوا المسلمين في حل ويكفوا ألسنتهم عن أذيتهم**) [3] ، ويمر أحدهم بمركب على ظهرها جماعة ماجنة تجاهر بالمعاصي يلهون ويصيحون فقال له من معه : يا سيدي ادع عليهم فيبسط يديه قائلا : اللهم كما أسعدتهم في الدنيا أسعدهم في الآخرة .

قال الأستاذ كمال أحمد عون : (شاهدت أثناء زيارة لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموسم الحج ثلاث سيدات يبدو أنهن سودانيات بملابسهن الفضفاضة البيضاء يسجدن مستدبرات القبلة مستقبلات للقبر الشريف ، فأشرت إليهن بطرف ثوبي قائلا: إن السجود لله وحده فقمن مسرعات مستقبلات للتوجه) [4] . فوالهفاه على من يعمل جهده لدعوة المسلمين إلى طريق الحق والرشاد صابرا محتسبا بحنو ورقة ورأفة وحنانه .

وواشوقاه إلى اولئك الصالحين الطيبين ذوى الصدور الحليمة والقلوب الرحيمة الذين يسهرون على إرشاد وتوجيه المسلمين كما تسهر الأم الحنون على ولدها والمرضع الرؤم على فطيمها بحسن سياسة وجميل حكمه وحيلة .

2) تفريق أمة الإسلام وتمزيق وحدتها إذ ما قامت الطرق إلا على أساس

---

1) رواه البغوي .

2) طه – 44 .

3) مختصر الشيخ الغزال في سيرة الشيخ محمد بن عيسى – تاليف أحمد الغزال – ص 14 .

4) أولياء الله بن الجافين والموالين – الأستاذ كمال أحمد عون – ص 70 .

تفرقة المسلمين وتجزئتهم وتفكيك عرى وحدتهم الروحية والسياسية وقهرهم والتسلط عليهم كما حصل لهم في عهود الاستعمار البائدة ، وها هي ذي آثار ذلك باقية إلى اليوم فأمة الإسلام أمم ودولتهم دول ولا حول ولا قوة إلا بالله .

لقد زادت غفلة المصنف عن الحد وخرجت عن المألوف ولو ابتلي بغيرنا لقال فيه الكثير مما يجب أن يقال في من يتهم المسلمين ويقذفهم ويشنع عليهم بدون دليل ولا بينة كما في الشرع الكريم ، ولكننا لا نزيد على قولنا سامحه الله وغفر له بمنه وكرمه فما عرفنا الصوفية إلا دعاة إلى وحدة المسلمين وجماعتهم .

ثم ما هذا الكلام الذى ما شم ريح الحق عن تفرقة أمة الإسلام إلى أمم ودولتهم إلى دول فإنه منذ صدر الإسلام وانتهاء الخلافة الراشدة كانت دائما هناك دول عدة وإن جمعها لفظ الإسلام والمسلمين ، فقد كان ابن الزبير في مكه يسلم عليه بالخلافة ويزيد بن معاوية ثم معاوية بن يزيد ثم مروان ابن الحكم ثم عبد الملك ابن مروان في الشام يسلم على المتولى منهم بالخلافة .

ثم الدولة العباسية ببغداد والأمويين ومن بعدهم ملوك الطوائف بالأندلس والأغالبة والأدارسة والعبيديين والموحدين والمرابطين وغيرهم في الشمال الأفريقي حتى قال الشاعر وقد ضاق ذرعا بهذا التشتت :

وتفرقـــــوا شيعا فكل جزيرة فيهـــــا أمير المؤمـــــنين ومنبر

والدولة الغزنوية والسلجوقيه والبويهية بآسيا ثم العثمانيين في تركيا والمماليك ومحمد علي في مصر والمعنيين بالشام والقرة مانليين بليبيا والباى بتونس والداى بالجزائر والأشراف بالمغرب ، هذا عدا العشرات من الدول التي قامت في جسم الدولة الإسلامية ولم تعمر وتشتهر كالسابقة مما لا يتسع المجال لذكرها جميعا ، فأرشدنا يا أيها المصنف – أرشدك الله وساعدك – إلى دور الصوفية في هذا من قريب أو بعيد وإنا لنرضى منك حتى برائحة الدليل ومقدار الذرة من البرهان ووزن النملة من التبيان ، فالشكوى إلى الله من هذا الباطل .

شكوت وما الشكـــوى لمثلي عادة ولكن تفيـــض الكاس عند امتلائها

ثم – وياللسذاجة التي لا تحد – إنه من المعروف حتى عند من لم يقرأ سوى عشر

كلام بعيد أحمر

صفحات من بقايا كتاب تاريخ وجده ملقى على قارعة الطريق أنه باستثناء أواخر عهد معاوية بن أبى سفيان لم يكن هناك أبدا اجتماع لكل المسلمين ولا حتى نصفهم تحت حكم خليفة واحد منذ استشهاد الخليفة عثمان بن عفان فكيف أفسد الصوفية أو غير الصوفية شيئا لم يكن أصلا .

ولكن غفلة المصنف تمادت حتى طفق يكتب ما لم يكن وينفرد بما لا يصح وإن باين الحق وخالف اليقين وعارض أبسط البديهيات فالمسلمون ما اتفقوا حتى هذه السنة على يوم واحد يبدؤن فيه صومهم فى شهر رمضان فضلا عن أن يتحدوا ، ولا زلنا بالرغم من وجود المراصد الضخمة القادرة على تحديد مكان وزمان الرؤية نسمع عن فتوى اختلاف المطالع المؤدى لا محالة لاختلاف القلوب ، فالأمر لله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

افتراء الشيخ على المريد بأن يخلصه من الشدائد وينقذه من المهالك متى استعان به وناداه كما يحضر له عند الموت فيلقنه الشهادتين ويخاصم عند قبره الملكين وأخيرا يشفع له يوم القيامة فيجوز على الصراط بمعية الشيخ ويدخل الجنة بشفاعته فهذا من الشيخ زيادة على أنه افتراء وكذب لا يحل مثله ولا يجوز بحال من الأحوال فإن فيه تضليل المسلم والتغرير به وحمله على اعتقاد الباطل والعمل بموجبه الأمر الذى قد يفضى به إلى الشرك والكفر والعياذ بالله تعالى وتضليل المسلم وغشه وخداعه من أعظم الذنوب وأكبر الآثام .

1- وأخيرا وصلنا إلى أن تضليل المسلم وغشه وخداعه من أعظم الذنوب وأكبر الآثام . وبما يسمى المصنف كل أقاويله وادعاءاته السابقه والاتيه ؟ أليست هى التضليل بعينه والغش بذاته المسلمين وإيهامهم بأن النور ظلمة والغش صدق .

2 - لا يجوز أن يتحدث عن السادة المشائخ الكمل بمثل كلمة افتراء أو تغرير أو كذب لأنهم أجل من ذلك وأكبر .

3 - إن تخليص الشيخ للمريد عند الشدائد وإنقاذه وتلقينه الشهادتين عند النزع وسؤال الملكين وما شابهها مسألة علمية بحته أعتقدها البعض بأدلة علمية وخالفها البعض الآخر ، ولا يجوز أن يقال فى المسائل الخلافية أنها تؤدى إلى الشرك أو أنها شرك

وإلا لكفر من يقبض يديه في الصلاة من يسدل ومن يأتي بالبسملة من لا يفعل ولذهب المسلمون واندثر الإسلام .

المقدرة بالله

ولو أننا سألنا أي مسلم سواء أكان من العامة أو المتعلمين أو كبار العلماء : هل يستطيع الرسول صلى الله عليه وسلم أو أحد صحابته أو التابعين أو صالح المومنين عموما أن يفعل أي فعل كان مستقلا عن قدرة الله تعالي ومنفردا به دونه سبحانه ؟ لأجاب بالنفي ، فما من مسلم يشك في اقتصار الألوهية بما تقتضيه وتستوجبه على الله تعالى وحده ، وهذا هو لب الأمر وجوهره .

إذ أن استعانة المريد بالشيخ والاستغاثه به في الشدائد ومقدرة الشيخ على الغوث ليست من جنس أن يفعل المستغاث به الأمر من ذاته ولكنه مفاض عليه من الله تعالى بإقداره وإيجاده وإمداده ، ولهذا لا تكاد تجد في دار من ديار الإسلام من لا يعتقد الاستغاثة بالأولياء ، وهم وإن كانوا لا يحسنون الكلام في مسائل التوحيد إلا أنهم لا يتصورون البتة ولا يخطر على بالهم أن يفعل الولى الغوث بدون إقدار الله تعالى وإمداده . والمريد عندما يستغيث بالشيخ فهذا لاعتقاده – وهو الحق – أن لهذا الشيخ وجاهة عند الله ومنزلة ومنه قوله تعالى في حق موسى عليه السلام : (وكان عند الله وجيها)[1] وقوله في حق عيسى بن مريم : (وجيها في الدنيا والآخرة)[2] فوجاهة المخلوق الصالح لا جدال فيها بل وفي صالح المؤمنين من لو أقسم على الله لأبره ، ولهذا تكون الاستغاثة بمن يعتقد صلاحه ولم نسمع أن أحدا استغاث بفاسق أو فاجر .

ثم أنه لا نزاع بين عاقلين في جواز الاستعانة والاستغاثة بالحي في ما يقدر عليه فانحصر النزاع والحال هكذا في المسائل الآتية :

1 – هل الميت أفضل من الحي .

---

1) الأحزاب – 69 .

2) آل عمران – 45 .

2 – ما الذى يستطيعه الحى ولا يستطيعه الميت .

3 – هل استطاع الحى الغوث بحوله وقدرته أم بحول الله تعالى وقدرته .

أما كون الميت أفضل من الحى أو العكس فهذا ساقط بداهة أن الميت لا يزداد شأنا بالموت غاية ما فى الأمر أنه باق على ما كان عليه قبل مماته ، فان كان حال حياته عبدا صالحا ذاكرا ظهرت عليه علامات الولاية والكرامة والصلاح فمن المنطقى أن يبقى كذلك بعد موته ولهذا تواترت الأدلة عقلا ونقلا على جواز زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته بعد موتهم وإرسال السلام إليهم وما شابه ذلك إذ أنه صلى الله عليه وسلم باق على شرفه وفضله قبل وبعد موته وكذلك صحابته .

وأما بالنسبة لاستطاعة الحى دون الميت ، فإننا نقول إنه إذا اعتقد مسلم أن الحى قد فعل الفعل وإن كان حقيرا مستقلا عن الله وبقوته وقدرته دون حول الله وقوته فقد أشرك حقيقة ، إذ لا حول ولا قوة لمخلوق إلا بالخالق ، ولا كلام لنا مع من اعتقد هذا ، إذ لا شك أنه لا يعتقده إلا مجنون فضلا عن كافر إذ أن الأخير قد يحل الطبيعة أو الغريزة محل الله تعالى .

وأما إن كان قد فعل الفعل بإفاضة الله تعالى وإمداده – وهو الصحيح – فتصبح إغاثة الشيخ الحى لمريده وتخليصه من الشدائد وإنقاذه من المهالك لا جدال فيها إذ لا حد لإقدار الله تعالى للعبد ولا مدى .

إذ بحول الله وقوته أحيا سيدنا عيسى عليه السلام الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص ، وسمع سارية ببلاد العجم صوت عمر بن الخطاب وهو بالمدينة المنورة ، وشفى الله تعالى العديد من الصحابة بإمرار الرسول صلى الله عليه وسلم يده الكريمة عليهم وبريقه الشريف أحيانا ، بل وبالله تعالى فإن أضعف مخلوق قادر على أن يسلب أعتى وأقوى الجبابرة ما يشاء . قال تعالى : (**وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب**) [1] .

وجاء آصف بن برخيا بعرش بلقيس ملكة سبأ من اليمن إلى فلسطين قبل أن يرتد

---

1) الحج – 73 .

طرف سيدنا سليمان إليه ، وألقى مدعي النبوة الكذاب الأسود العنسي الذي غلب على صنعاء أبا مسلم الخولاني رضي الله عنه في النار لتصديقه النبي صلى الله عليه وسلم فلم تضره [1] ، وشرب سيدنا خالد ابن الوليد السم فما أثر فيه ولا ضره [2] ومات فرس لصلة بن أشيم في الغزو فأحياه بدعائه حتى إذا رجع إلى بيته قال لابنه يابني خذ السرج فإنه عارية فأخذ سرجه فمات الفرس [3] ومات حمار لشبيان النخعي فأحياه الله تعالى له [4] .

وبالجملة لا حد تقف عنده قدرة الله تعالى وكل من ذكرنا فعلوا ما فعلوا بقدرته سبحانه فأصبح والحال هكذا لا داعي ولا سبب للطعن في مقدرة أولياء الله الصالحين بالله .

وإن كان النزاع في إقدار الله للحي دون الميت فهو نزاع في غير محله إذ لا حجة لمن قال إنه سبحانه يقدر الحي ويعجز عن إقدار الميت ، فما بالك ونحن نعتقد كمسلمين أن الموت لا يعني التلاشي وغاية أمره أنه حياة من نوع آخر **(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون)** [5] فأثبت سبحانه للشهداء خمس صفات وهي : الحياة وعند ربهم ويرزقون وفرحين ويستبشرون ، وبالطبع فإن هذه الحياة لا يختص بها الشهداء وحدهم بل كل صالح من المؤمنين إذ ليس من المعقول أن يحوزها الشهيد ويمنعها الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه مات على فراشه أو أبو بكر الصديق والذي يفهم أن طلب وزن شعرة من غيره سبحانه وتعالى على جهة الاستقلال سواء كان المطلوب منه حيا أو ميتا هو كفر لا جدال فيه ، وطلب وزن الجبال من الولي الصالح على أنه بإيجاد الله وإمداده وإبقائه لا غائلة فيه على أن يكون جنس المطلوب مما يعقل طلبه كالشفاء وتفريج الكربات والإنقاذ

---

1) الفرقان لابن تيمية – 145 .

2) المصدر السابق – 143 .

3) المصدر السابق – ص 164 .

4) الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني ج 2 ص 164 ترجمة رقم 3992 .

5) آل عمران – 170 .

من المهالك لا أن يطلب من الولى حيا أو ميتا خلق مخلوق ولو كان حبة رمل أو ذرة من تراب أو إدخال من مات على الكفر إلى الجنه فهذا لا يعقله أو يقول به ذو عقل أو حتى نصف أو ربع عقل .

فإن قال قائل إن الله تعالى يقدر الولى الحي دون الميت فيجاب عليه بأن من أقدر الحى لا يعجز عن إقدار الميت خاصة إذا علمنا أن الروح تزداد قوة بالموت بتحررها من أسر البدن وشهوات النفس .

يقول ابن القيم - ونحن لا نجهل ما يعنيه ابن القيم عند المصنف والوهابيين عموما - : (للروح المطلقة من أسر البدن وعلائقه وعوائقه في التصرف والقوة والنفاذ والهمة وسرعة الصعود إلى الله تعالى والتعلق بالله ما ليس للروح المهينة المحبوسة في علائق البدن وعوائقه ، فإذا كان هذا وهى محبوسة في بدنها فكيف إذا تجردت عنه وفارقته واجتمعت فيها قواها وكانت في أصل نشأتها روحا علية زكية كبيرة ذات همة عالية ، فهذه لها بعد مفارقة البدن شأن آخر وفعل آخر وقد تواردت الرؤى في أصناف بنى آدم على فعل الأرواح بعد موتها ما لا تقدر على مثله حال اتصالها بالبدن في هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد والاثنين والعدد القليل ونحو ذلك ، وكم قد رئى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر في النوم قد هزمت أرواحهم عساكر الكفر والظلم فإذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عددهم وعُددهم وضعف المؤمنين وقلتهم) [1] . وما قاله ابن القيم رحمه الله هو ما صح فى العقل والنقل .

فالصحابى الجليل سيدنا ثابت بن قيس (قاتل يوم اليمامة حتى قتل وكان عليه درع نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها فبينما رجل من المسلمين نائم أتاه ثابت بن قيس فى منامه فقال له : إنى أوصيك بوصية فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه إنى لما قتلت آخذ درعى فلان ومنزله فى أقصى الناس وعند خبائه فرس تستن وقد كفى على الدرع برمة وفوقها رحل فائت خالدا فمره فليأخذها وليقل لأبى بكر إن على من الدين كذا وكذا وفلان عتيق ، فاستيقظ الرجل فأتى خالدا فأخبره فبعث إلى الدرع فأتى بها

---

1) كتاب الروح - ابن القيم ص 102 - 103 .

وحدث أبا بكر برؤياه فأ. ز وصيته [1] ، وفي إجازة وصيته بعد موته من قبل الصديق رضي الله عنه ما فيها ' ذي عينين ولسان وشفتين .

وزيد بن خارجة رضي الله عنه تكلم بعد موته [2] قال البيهقي : (شهد بعد ما مات للرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة) [3] وآخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين عوف بن مالك والصعب بن جثامه فقال كل منهما للآخر : (إن مت قبلي فتراءلي فمات الصعب قبل عوف فترا ءى له) [4] .

وكانت إمراة اسمها الرباب قد تعاهدت هي وزوجها أيهما مات قبل الآخر لا يتزوج الذي يبقى حتى يموت فمات فأقامت مدة فزوجها أبوها فرأت في تلك الليلة زوجها وأنشدها أبياتا من الشعر فأصبحت مذعورة وقصت على النبي صلى الله عليه وسلم القصة فأمرها أن تستأنس بالوحدة حتي تموت وأمر زوجها بفراقها ففعلت ذلك [5] .

وأوصى أهبان بن صيفي الغفاري أن يكفن في ثوبين فكفنوه في ثلاثة فأصبحوا فوجدوا الثوب الثالث على السرير [6] .

وارتفع عامر بن فهيرة بجسده لما قتله المشركون بين الأرض والسماء كأنه معلق [7] .

وكل هذا كان بإقدار الله تعالى لهؤلاء بعد موتهم ، وما يصدر عن أولياء الله تعالى في هذا المجال كثير ولولا خوف الإطالة لذكرنا الكثير مما ثبت نقله عن الصالحين بل وحتى مما رأيناه بام اعيننا من كراماتهم أحياء وأمواتا ، والأمة الإسلامية قاطبة قد أجمعت

---

1) رواه البخاري مختصرا ورواه الطبرني والبغوى مطولا . قال ابن القيم في كتاب الروح : اتفق خالد وأبو بكر والصحابة على العمل بهذه الرؤيا .

2) رواه البخارى

3) كتاب الاعتقاد – للمحدث الحافظ البيهقي – ص 150 .

4) الإصابة في تمييز الصحابة – ابن حجرالعسقلاني ج 2 ص 178 ترجمة رقم 4065 .

5) المصدر السابق – ج 4 ص 293 ترجمة رقم 410 قسم النساء .

6) رواه الطبراني .

7) الإصابة في تمييز الصحابة – ابن حجر العسقلاني ج 2 ص 247 ، وابن تيمية في الفرقان ص 142 .

علي جواز كرامة الأولياء ، وما الكرامة في حقيقتها إلا إقدار الله تعالى للعبد على فعل أو أمر .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب : (فالواجب عليك اتباعهم والإقرار بكرامتهم ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال) [1] . نسأل الله أن لا يجعلنا من أهل البدع والضلال .

فإنقاذ المريد من المهلكات وتخليصه من الشدائد من ضمن الكرامات التي أجمعت الأمة علي جواز وقوعها والاستغاثة بالولي كما قلنا هي استغاثة به على ما أقدره الله عليه ولا شبهة في هذا . قال صلى الله عليه وسلم : (**إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد ياعباد الله أحبسوا ياعباد الله أحبسوا ياعباد الله أحبسوا – ثلاثا – فإن لله حاضرا سيحبسه**) [2] .

فهذا دليل صريح علي جواز الاستغاثة إذ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصح من ضاق به الحال إذا انفلتت دابته وهو أحوج ما يكون إليها بأن يستغيث بمن لا يري ولا يعلم أن يمسك له دابته فهل هذا المستغاث به هو الذي أمسك بقدرته أم بإقدار الله تعالى له .

وعلق النووي على هذا الحديث بقوله : (حكى لي بعض شيوخنا الكبار في العلم وناهيك بمن يقول عنه النووي أنه من شيوخنا الكبار في العلم – أنه افلتت له دابة أظنها بغلة وكان يعرف هذا الحديث فقاله فحبسها الله عليهم في الحال) [3] ، ويضيف متحدثا عن نفسه : (وكنت أنا مرة مع جماعة فانفلتت منا بهيمة وعجزوا عنها فقلته فوقفت في الحال بغير سبب سوى هذا الكلام [4] .

وروى ابن مفلح هذا الحديث في الآداب وعلق عليه بقوله : (قال عبد الله بن الإمام أحمد سمعت أبي يقول : حججت خمس حجج فضللت الطريق في حجة وكنت ماشيا

---

1) كشف الشبهات في التوحيد – محمد بن عبد الوهاب – ص 8 .

2) رواه الحاكم ورواه ابن عوانه ورواه البزار بسند صحيح والنووي في الاذكار وابن السني .

3 - 4) كتاب الاذكار – النووي – ص201 .

فجعلت أقول : ياعباد الله دلونا علي الطريق فلم أزل أقول ياعباد الله دلونا على الطريق فلم أزل اقول ذاك حتى وقعت على الطريق) [1] .

دل هذا الحديث على جواز الاستغاثة وأن هناك من أقدره الله تعالى على الإنقاذ من المهالك والشدائد بكيفيات عدة منها التحكم فى المستغيث وتوجيهه حتى يصل مأمنه .

وعزز أبو موسى النابغة الجعدى الصحابى الشاعر المعروف بسياط فأنشد :

فيـــــاقبر النبى وصاحبيه ألا ياغوثنا لو تســـــــــمعونا

ألا صلى إلهكم عليــــــــكم ولا صلى على الأمراء فـــــــينا [2]

والنابغة وأبو موسى الأشعرى من جلة الصحابة فلو كان فى الاستغاثة حتى شبة كراهة لما قال هذا وأقر ذاك .

وخطب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما إلى عائشة أم المؤمنين فأطمعته وقالت : أين المذهب عنك ياعمر ورفضت أم كلثوم وقالت : والله لئن فعلت لأخرجن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصيحن به فأرسلت السيدة عائشة مع عمرو بن العاص تعتذر [3] . وكان هذا بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم وبمرأى من عائشة وعمرو فهل تراهم سكتوا عن باطل أم إن أم كلثوم بنت الصديق وأخت عائشة وأسماء ذات النطاقين من المشركات والمصنف - ساعده الله - من كبار المؤمنين .

وفى البخارى من حديث الشفاعة قوله صلي الله عليه وسلم : « فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ، ثم بموسى ثم بمحمد » .

وفى صحيح البخارى أيضا ما ذكره الصادق الذى لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم في معرض حديثه عن السيدة هاجر أم سيدنا إسماعيل عليهما السلام : (أنها لما

---

1) كتاب الآداب لابن مفلح .

2) الاستيعاب .

3) انظر هذا الحديث وغيره فى الموضوع فى كتاب شهيد المحراب عمر بن الخطاب للاستاذ عمر التلمسانى رحمه الله إذ عقد فصلا خاصا فى اثبات جواز الاستغاثة ص 221 - 234 .

أدركها وولدها العطش ، جعلت تسعى فى طلب الماء فسمعت صوتا ولا ترى شخصا فقالت : أغث إن كان عندك غوث) ، وعليه فمن استغاث بالأنبياء في حديث الشفاعة ومعهم السيدة هاجر زوجة خليل الله وأم اسماعيل من المشركين وإلى مثل هذه النتائج تؤدى المقدمات الفاسده .

وخير ما نختم به موضوعنا ما جاء فى كتب السير والمغازى إذ ذكروا أن شعار الصحابة والتابعين فى قتالهم لمسيلمة كان « وامحمداه وامحمداه » وما جاء عن الصحابي بلال بن الحرث فى عام الرمادة إذ ذبح شاه فوجدها فى غاية الهزال والضعف فصاح « وامحمداه وامحمداه » .

الشفاعة

وأما قول المصنف إن شفاعة الشيخ فى مريده افتراء وكذب . . الخ فالجواب عليه إن شفاعة الشيخ لمريده التى وصفها بهذه الأوصاف مع شديد احترامنا له ولعلمه من الأمور التى تواترت الأدلة بثبوتها .

وقد تحدث القرآن الكريم عن الشفاعة وبين أنها لا تكون إلا بإذنه فقال : (**من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه**) [1] . ولا تكون إلا لمن ارتضى فقال : (**يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضي وهم من خشيته مشفقون**) [2] . وأنها لا تكون للمشركين فقال : (**فما تنفعهم شفاعة الشافعين**) [3] .

والمقصود بالشفاعة هو :

سؤال الله الخير للناس فى الآخرة فهى نوع من الدعاء المستجاب ، والشفاعة العظمى لا تكون إلا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهى المقام المحمود المعنى بقوله تعالى : (**عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا**) [4] ، وقال صلى الله عليه

---

1) البقرة – 255 .
2) الأنبياء – 28 .
3) المدثر – 48 .
4) الإسراء – 79 .

وسلم : (**إني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر**) [1] .

وهناك غير الشفاعة العظمى التي هي خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم وما يلزمها من كونه أول شافع ومقبول الشفاعة ، شفاعة الأخيار من المرسليين . قال شيخ الإسلام البيجوري : (يشفع وغيره صلى الله عليه وسلم ممن ارتضاه الله من الأخيار كالأنبياء والمرسلين والملائكة والصحابة والشهداء والعلماء العاملين والأولياء [2] ، قال اللقاني في جوهرة التوحيد :

واجب شفاعة المشفع محمد مقدما لا تمنع

وغيره من مرتضى الأخيار يشفع كما جاء في الأخبار

والشفاعة في حقيقتها مظهر من مظاهر رحمة الله عز وجل بمن شاء إلا المشركين فإنه وإن جاز عقلا إلا أنه منع سمعا والشفاعة تنقسم إلى :

1) شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل المحشر عامة وهي من أعظم الشفاعات .

2) وإدخاله بإذن الله طائفة من أمته الجنة بغير حساب .

3) شفاعته صلي الله عليه وسلم والأنبياء والملائكة والصالحين في إخراج الموحدين من النار .

4) شفاعته صلى الله عليه وسلم والأنبياء والصالحين في من استحق دخول النار أن لا يدخلها .

قال صلى الله عليه وسلم :

(**يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء**) [3] ، وقال

---

1) رواه البغوي وابن شاهين والطبراني في الأوسط .

2) تحفة المريد على جوهرة التوحيد - ابراهيم البيجوري - ص 117.

3) رواه البزار وابن ماجه .

عبد الرحمن بن يريد بن جابر (**بلغنا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يكون فى أمتى رجل يقال له صلة يدخل الجنة بشفاعته كذا وكذا**) [1] ، وقال صلى الله عليه وسلم : (**يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني غنم**) [2] .

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب : (وأيضا فإن الشفاعة أعطيها غير النبى صلى الله عليه وسلم فصح أن الملائكة يشفعون والأفراط يشفعون والأولياء يشفعون) [3] .

ومن غرائب الاتفاق أن كان بالإمكان تسمية الاضطراب اتفاقا أن المصنف قال فى كتابه عقيدة المؤمن الذى أشرنا إليه سابقا : (الشفاعة المثبته قسمان القسم الأول شفاعات النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، والقسم الثانى شفاعات غيره من الأنبياء والأولياء والصالحين من عباد الله تعالى) [4] .

فلا ينتهى الاستغراب إلا ليبدأ من جديد من غرابة هذا المسلك المحير ، فكيف نثبت الشفاعة للنبى أو الولى الصالح ثم نمنع طلبها منه ، وأى شفاعة هذه ؟ وقد صح فى الحديث أن الأولين والآخرين يأتون لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقولون له : (**يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه**) [5] فيشفع لهم .

نعم جاء عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن طلب الشفاعة من الصالحين عبادة لهم [6] ، والمصنف بالتطبع أو بالتطبيع يرى هذا الرأى ، وكما قلنا لكل أحد مطلق

---

1) حلية الأولياء – أبو نعيم – ج 2 ص 241 .

2) أنظر تخريجه فى الإصابة فى تميز الصحابة ابن حجر العسقلانى ج 4 ص 38 ترجمة رقم 225 فى الكنى .

3) كشف الشبهات فى التوحيد – محمد بن عبد الوهاب ص7 .

4) كتاب عقيدة المؤمن – للمصنف – ص 195 .

5) متفق عليه .

6) انظر كتاب كشف الشبهات عن التوحيد – محمد بن عبد الوهاب – ص 7 .

الحرية فى أن يتبع أى رأى يريد وأى اجتهاد يشاء ما دام لا يخرج عن أسس وقواعد الإسلام ولكننا نرفض هذا التعصب لمذهب بعينه وإن خالف الشرع واعتقاد أنه وحده على صواب وكل مخالف على خطأ ورميه بالشرك وما إليه ونراه فسادا ونقصا جوهريا فى فهم وتطبيق مبادئ الإسلام فالتفوق المذهبي والتعصب الأعمى لمذهب بعينه بدعة لا تقاس بها بدعة .

4) قطع المريد عن كل ما سوى شيخ الطريقة وذلك لاستغلاله والتحكم فيه حتى أنهم ليحظرون عليه أن يزور أى ولى حيا كان أو ميتا فقد جاء فى كتاب الطائفة التيجانية (الرماح) ما نصه : الثانى من شروط الطريقة عدم زيارة واحد من الأولياء الأحياء والأموات .

وجوب الانقياد للشيخ فى طاعة الله

قد عرفت كما مر بك أن العلم شرط من شروط الطريق للمريد وكيف يتأتى له العلم إن لم يذهب إلى مشائخ العلم ويتلقى عنهم وفى تراجم الصوفية ما يزيد عن الحاجة فى هذا المجال .

نعم إن كان المقصود بهذا القطع ما نص عليه القوم من وجوب التسليم للشيخ العارف بالله الذى زكت نفسه وانجلت مرآة قلبه فانعكس فيها نور الله تعالى فهذا إذا بايعه المريد وغيب بصره فى بصره وبصيرته فى بصيرته وتأدب بآدابه أخذت روحه من روح الشيخ قبس وانتقل حال الشيخ إليه بالصحبه واستماع المقال وسريان الحال .

قال ابن عطاء الله السكندرى :

(ليس شيخك من واجهتك عبارته وإنما شيخك من سرت فيك إشارته ، وليس شيخك من واجهك مقاله وإنما شيخك من نهض بك حاله) [1] ، فيكون المريد بين يدى الشيخ كالميت بين يدى الغاسل لا يأتى فعلاً إلا بإذنه ولا يقدم على أمر عظيم أو حقير إلا برأيه حتى تتآلف روح الشيخ بروحه تآلفا ربانيا قال صلى الله عليه وسلم : « **الأرواح جند مجنده فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**) [2] .

1) لطائف المنن – ابن عطاء الله السكندرى .

2) رواه البخارى ومسلم وأبو داود .

ويتخلق بأخلاق الشيخ وعباداته ومجاهداته فينتقل ميراثه إليه ، والشيخ لا يورث درهما ولا دينارا بل علما وعملا فيستنير قلب المريد بأنوار المشاهدة والمجاهدة بالمعرفة فتتحقق عبودية الرضا والمحبة ، وإلى هذا أشار أبو الدرداء رضي الله عنه حين مر به سبرة بن فاتك بقوله : (إن مع سبرة نورا من نور محمد صلى الله عليه وسلم) [1] .

وانشغال المريد بشيخه لا يعني انقطاعه عن أموره الخاصة والتزاماته ولكن كان من الضروري أن يبقى ملتزما بصحبة الأخيار قال محمد بن عيسى رضي الله عنه : (ما أفلح من أفلح إلا بمجالسة من أفلح ، ومخالطة الخواص تكسب ثلاث خصال : العلم ، وصفاء القلب وسلامة الصدر والعكس بالعكس والصدق مع الله نور والمعرفة برهان والالتفات إلى غيره بهتان وإضاعة حقوقه كفران والغفلة عن ذكره خسران) [2] .

ولا يخفى على عاقل أن المريض إذا ذهب كل يوم إلى طبيب وأخذ كل مرة علاجا مختلفا ربما زاد مرضه وساءت أحواله وأهلك نفسه وهذا هو المقصود بالقطع لا أن يقطع المريد عن العلم أو الانتفاع والتحصيل .

التيجانية وزيارة الأولياء

وأما ما نقله المصنف عن كتاب الرماح من عدم الزيارة للأحياء من الأولياء والأموات :

فأولا : إنه لا يمثل رأي كل أهل التصوف والجميع يعلم أن المشهورعنهم غير ذلك وجاهل هذا يعد في سرب القطا ومراتع الغزلان إن وجد .

ثانيا : إن هذا القول مما يتفق مع آراء المصنف فقد قال في كتابه المشار إليه سابقا : (إن مايفعله جهال المسلمين من شد الرحال إلى زيارة قبر فلان أو ضريح فلان من سيد أو صالح وإقامة الحفلات حولها والنزول بساحتها والعكوف والإقامة الليلة والليلتين عندها باسم التبرك ، كل هذا باطل منهي عنه ولم يشرع فعله للمسلمين وإنما هو

---

1) رواه الطبراني .

2) اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس للشريف مولاي عبد الرحمن بن زيدان ج 4 ص 11 .

من محدثات الأمور وضلال الابتداع وقد أدى إلى الشرك والعياذ بالله) [1] .

وعليه فهذا الشرط كما قلنا يتفق مع رأى المصنف فى عدم مشروعية زيارة الأولياء الأموات فتراه شاركهم فى الفعل وأفردهم بالتعجب .

وكان الأحرى به أن يبدى موافقته عليه بدلا من الإنكار ولكن رأس المشكلة أن المصنف لا يهمه إلا التشنيع والتهويل والقدح ظلما وافتياتا في التصوف وأهله فكل ما يأتونه باطل وإن كان هو نفسه يعتقده ، فسبحان من أعطاه القدرة على مدح الشئ وذمه فى نفس واحد وبالعجب المتبوع بعجب من إصدار الأحكام وفق الأهواء والأغراض .

ثالثا : إن هذا الشرط كما قلنا انفرد به بعض أتباع الشيخ التيجاني رضى الله عنه أخذاً بظاهر نص ورد في بعض المصادرعن الشيخ التيجانى وربما كان له ما يبرره مثل ما يحدث عند القبور من اجتماع الرجال بالنساء وتلطيخ مقابر المسلمين ببقايا الأطعمة والنفايات إلى غير هذا من المنكرات المعروفة التي تمنع وتحرم في ذاتها ولا تحرم الزيارة إن خلت منها ، وكذلك ظهور الكثيرين في تلك الفترة أثناء حياة الشيخ التيجانى رضى الله عنه ممن يدعون الولاية والصلاح كذبا وبهتانا ويشيعون الباطل والفساد حتى أن الشيخ التيجانى كان يقول عن بعضهم : (إنه شيطان هذه الأمة) [2] لما بلغه عنه من قبيح الأفعال ودنيئها .

ويؤكد هذا أن الشيخ التيجانى رضى الله عنه كان كثير الزيارة لقبر مولاى ادريس رضى الله عنه بفاس [3] ، وكان يذهب أيضا إلى صحراء توات على بعد المسافة بين محل إقامته بفاس وبينها لزيارة أهل الخير بها [4] ، ويزور قبر عبد السلام بن مشيش [5] ، بل وعندما تعرض مصحح كتاب كشف الحجاب وهو من الكتب التي حوت تراجم الكثير ممن عاصروا الشيخ التيجانى وأخذوا عنه – لهذا الشرط بالذات علق عليه

1) عقيدة المؤمن – للمصنف – ص 132 .
2) كشف الحجاب – للقاضي احمد العياشي – ص 221 .
3) المصدر السابق – ص451 .
4) المصدر السابق – ص 451 .
5) المصدر السابق – ص 295 .

بقوله : (ليس على سبيل المنع ولكنه كالاكتفاء بطبيب واحد) [1] ، وأرسل الشيخ التيجاني رضى الله عنه رسالة إلى بعض أصحابه جاء في آخرها : (أما الزيارة للاولياء ، أما الأموات فالقدوم إليهم أى إلى ضريح الولى فهو مطلوب ، وأما الأحياء فبحسب أحوالهم وأحوال الزائرين فمنهم من القدوم إلي محله أولى . . الخ) [2] .

وبعث برسالة أخرى جاء فيها : (فعظموا حرمة الأولياء الأحياء والأموات فإن من عظم حرمتهم عظم الله حرمته ومن أهانهم أذله الله وغضب عليه ولا تستهينوا بحرمة الأولياء والسلام) [3] .

نعم أذكر أننى سمعت من بعض أتباع الطريقة التيجانية قولهم بعدم زيارة الأولياء أحياء وأمواتا ويبدو أنهم أخذوا ذلك من ظاهر النص الذى نقله المصنف عن الرماح أو غيره ، والأمر على كل حال ليس ذا شأن كبير وليس أكثر من خلاف في مسألة فرعية ولا تشكل خروجا عن حكم إسلامي أو تركا لأمر شرعي .

ولكن وقد علمت أن ما كان عليه الشيخ التيجاني رضى الله عنه هو غير ذلك وعلمت أيضا أنه لا يؤخذ مخلوق بجريرة غيره أصبح الاعتراض إن كان ثمة اعتراض علي من يرى هذا الرأى فقط .

الأصل الثاني

الشيخ المأذون له . . إن من أصول أصحاب الطريق من مشائخ المتصوفه ضرورة وجود شيخ مأذون له .

ضرورة أخذ التصوف عن شيخ

نعم قد أجمع أهل التصوف على وجوب أخذ التصوف عن شيخ عارف بالله بصير بعيوب النفس مطلع علي دقائق أمراضها عالم بالعقائد الإسلامية وعلم العبادات والمعاملات قد أخذ التصوف بدوره عن شيخ عارف مرب عرف الطريق وخبر مأمنها

1) المصدر السابق – ص 423 - 398 - 529 .

2) المصدر السابق – 534 .

3) المصدر السابق 467 .

ومهالكها أناب إلى الله ورجع إليه في كل أموره ففى اتباع مثل هذا الشيخ التزام بقول الله تعالى : **(واتبع سبيل من أناب إلى)** [1] ، وقوله تعالى : **(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدواة والعشى يريدون وجه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا)** [2] .

وقد أجمع أهل العلم بدون استثناء على وجوب الاقتداء بأهل الفضل والمعرفة قال الإمام الجنيد رضى الله عنه : سبق في علم الله القديم ألا يدخل لحضرته أحد إلا على يد أحد من عبيده .

مأذون فى إعطاء الورد للمريد أو من ينوب عنه من خليفة للشيخ ، أو مقدم فى الطريق .

سنتكلم عن الورد في حينه إن شاء الله تعالى ، ولكن الذى يفهم أن الشيخ مثله كمثل الطبيب قد عرف الطب أولا والمقدرة عل التطبيب ثانيا ، قادر على قطع حديث النفس واقتلاع أمراضها ومفاسدها عالم بكيفية إحلال الأوصاف الحميدة محلها على قدم النبى صلى الله عليه وسلم فى تربيته لصحابته وتأديبهم بالآداب الروحية السامية .

ولا علاقة مباشرة بين إعطاء الورد ووجوب اتخاذ الشيخ يقول بن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه : وينبغى لمن عزم على الاسترسال وسلوك طريق الرشاد أن يبحث عن شيخ من أهل التحقيق سالك للطريق تارك لهواه راسخ القدم فى خدمة مولاه ، فإذا وجده فليمتثل ما أمر ولينته عما نهى عنه وزجر [3] ، فدور الشيخ المربى هو النهوض بالحال والدلالة بالمقال .

والورد هو كل ما يواظب عليه من وظائف كالصلاة و الصوم والأذكار فمنها ما لا انفكاك لمسلم عنه كالصلاة المفروضه وصوم رمضان مثلا ، ومنها ما يكون كالدواء كما يقال حال الكرب ودفع الهم والحزن وما يذكر عند الخوف واستصعاب أمر أو لقضاء دين

---

1) لقمان – 15 .

2) الكهف – 28 .

3) مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح – ابن عطاء الله السكندرى – ص 30 .

وغيرها ، فلكل ذكر من الأذكار فائدة يعرفها أرباب القلوب والمعرفة ، فيأمر الشيخ مريده بما يراه مناسبا له من أوراد وآداب بعد أن يشخص أمراض قلبه ويعرف عيوب عمله ورعونات نفسه .

> *ولعمر الله إحدى الوسائل التي يستعملها مشائخ الطرق لصيد عوام المسلمين وجهالهم من أجل تسخيرهم واستغلال كل طاقاتهم المالية والبدنية لخدمة الشيخ ونائبه من مقدم أوغيره وبيان هذه الوسيلة أنها من باب كلمة حق أريد بها باطل فاتخاذ شيخ عارف بالله تعالى والطريق إلى الله تعالى من أجل التعلم عنه والاقتداء به في كمالاته الروحية والأخذ بتربيته الإسلامية أمر محمود ومأمور به ، إذ لا يمكن لأى أحد أن يعرف الله تعالى ويعرف محابه مساخطه ويعرف كيف يعبده ويتقرب إليه إلا إذا تتلمذ لمشائخ العلم وتعلم منهم وتربي تحت رعايتهم وكامل عنايتهم .*

وأخيرا آب المصنف إلى الحق وعرف ضرورة الأخذ عن شيخ عارف بالله ، وأنه لا يمكن لأحد أن يعرف الله تعالى إلا إذا تتلمذ لمشائخ العلم وتربىَّ تحت رعايتهم وكامل عنايتهم .

وقد كررنا حتي مللنا أن وجوب الأخذ عن شيخ من الأمور الضرورية عند أهل الطريق وبما أن المصنف قد رجع إلى ما قلنا فقد أصبح النزاع بغير منازع والحديث بدون محدث .

> *ولو كان أميا جاهلا وهذا هو الواقع إذ جل مشائخ الطرق أميون ومن علم منهم فعلمه محدود جدا لا يتجاوز معرفة بعض أركان الإسلام كالصلاة مثلا*

علم مشائخ الطرق

إن المصنف يحاول جادا إخفاء الشمس حال الصحو في فصل الصيف عن صحيح النظر ، ويبدوا وأنه قد أتخم نفسه بكثرة الأكل فنشأ عن ذلك صور وأوهام ظنها حقيقة فبادر إلى كتابتها .

فقوله – عفى الله عنه – إن جل مشائخ الطرق أميون ومن علم منهم فعلمه محدود جدا يوهم بأنه قد عرف جلهم ومن ثم أصدر هذا الحكم الشامل المعمم .

وليسمح لنا بسؤال واحد فقط وهو : هل عرف مقدار واحد في كل عشرة آلاف منهم حتى يصدر مثل هذا الحكم القطعي ؟ كلا ولا أظنه قد عرف حتى عشر معشار هذه النسبة ، بل ويقع في خاطري أنه حتي كتابته لكتابه هذا الذي بين أيدينا لم يعرف أحدا ممن يصدق عليه لفظ الشيخ .

ثم إن هؤلاء موجودون في طول بلاد العالم وعرضه فهل اجتمع بهم المصنف جميعا كل في بلده أو مدينته أو قريته أو باديته وتحدث معهم في أمور العلم ودارسهم في فروعه وأصوله حتي عرف أنهم أميون ومن علم منهم فبالكاد يعرف الصلاة مثلا .

عجيب أمر المصنف كم يعوم ولا يحسن السبح ويهوم ولا يدري المدح ألا ما أوسع نطاق اطلاعه وما أحكم تثبته في إصدار الأحكام .

ثم أن كل منصف يعرف أن مشائخ التصوف العارفين الحاملين للواء الإسلام عبر العصور هم أكثر علماء الأمة علما ، وأوضحهم نهجا وأعظمهم فضلا ، وأسراهم في الأمة روحا ، كم هدى الله بهم من ضال وأيد بهم من حق وحمى بهم عرين الإسلام ودفع بهم الأعداء قديما وحديثا ، هل حضر المصنف مجالس علمهم وحديثهم واستدلالاتهم وخوضهم في بحار المعرفة بسفن البصيرة والتقاطهم للآلي الحقائق ويواقيت المعاني ، وهل جلس إلى هؤلاء المشائخ في وقتنا هذا واحدا بعد واحد وكابرا بعد كابر واستمع إلى مقالاتهم في العقائد والعبادات والآداب والأصول والحديث والسير والأخلاق ومختلف العلوم حتى عرف غزارة علمهم أو جهلهم ؟

ولئن قورنت معارفهم النقية وعلومهم الربانية بغيرهم ممن لم يعرف من العلم إلا ظاهر أقوال ونصوص وردت في الشرع فعمد إلى ما جاء من أوصاف للمشركين في القرآن الكريم والحديث الشريف فوضعها في المسلمين فكفرهم وجعل دارهم دار حرب واستحل أموالهم ودماءهم ، وضح وضوح الضوء في النبراس العالم من المتعالم والمبصر من المتباصر .

وقد قلنا سابقا إن سخافة القول تكمن في الكلام بدون تريث واصدار الأحكام جزافا بلا تثبت .

ولكن الخطأ في اشتراط أن يكون الشيخ مأذونا له في إعطاء الورد وسلوك

الطريق ، إنهم لا يعنون بالإذن أكثر من أن يكون من نصب نفسه شيخا للطريقة قد خدم شيخا مثله في سلسلة مشائخ الطريقة خدمة طويلة فوهبه ذلك الشيخ الوارث لقب الشيخ وأعطاه الاذن بإعطاء الورد والمشيخه علي كل اتباع الطريقة .

تعريف الأذن

إن المقصود بكلمة الإذن هو الأهلية للإرشاد وحيازة الصفات المطلوبة له ، والإذن شرط في كل الفنون فمن المعروف أنه في كل اختصاص مختصون يجيزون من أخذ عنهم اختصاصهم ويشهدون بأهليته له . فلا يصح مثلا لمن لا يكون مجازا في الطب حاملا لشهادته حائزا لصفات الطبيب أن يزاول هذه المهنة أو من لم يكن مجازا في علم الأقتصاد مطلعا على علومه حاملا لمؤهله أن يزاول هذه المهنة وقس عليه سائر التخصصات كالهندسة والصيدلة والتعليم وإلا لكان الفساد أكثر من النفع والضرر أكثر من الإصلاح .

كذلك لا يتصدر الطريق من لم يأخذ أدبه عن المتأدبين المؤهلين فيأخذ عنهم علومهم وصفاتهم من صدق وعلم وذوق وهمة عالية وأنس بالله ويتحقق بعلومهم حتي يصبح مأذونا في تربية غيره وإرشاده فيريه المسالك ويقيه المهالك ويدله على الله ويأخذه إليه ويضعه بين يديه ويصحبه من الفرق إلى الجمع ومن الجمع إلى الفرق ، قال ابن عطاء الله السكندرى : سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ولم يوصل إليهم إلا من أراد الوصول إليه [1] .

وهذا هو المقصود بالأذن فسمه ان شئت شهادة أو إجازة أو موافقة أوغيرها ، فالاسم لا يغير من حقيقة المعنى .

ومن هنا أصبحوا يدعون أن طرائقهم الباطلة ذات سند مسلسل إلى الحضرة النبوية سبحانك هذا بهتان عظيم .

في المسلسل والسند

إن وجود السند المسلسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم هو شئ ثابت ومعروف عند

1) لطائف المنن – ابن عطاء الله السكندرى .

كل من له أدنى إلمام بالعلوم الإسلامية ، فبالإضافة إلى الأحاديث الصحيحة المعروفة والموجودة فى كتب الصحاح والسنن المتصلة من الراوى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، توجد أيضا الأحاديث المسلسلة .

والتسلسل نوع من أنواع السماع الظاهر الذى لا غبار عليه وهو إما أن يكون فى صفة التحديث أو فى صفة المحدث أو فى صفة مكان التحديث أو فى صفة وقت التحديث ، ومن فضيلة التسلسل اشتماله على مزيد من الضبط من الرواه وفى وقتنا هذا يوجد منه ما يقرب من المائتين حديثا منها على سبيل المثال حديث الرحمة المسلسل بالأولية إذ جرت العادة بتقديمه على غيره وحديث المصافحة وحديث المشابكة وغيرها وأصح حديث مسلسل يروى فى الدنيا فى وقتنا هذا هو الحديث المسلسل بقراءة سورة الصف .

فإن كان المصنف ينفى وجود التسلسل إلى الحضرة النبوية الشريفة ، فهذا قول باطل لا يقره العلم ولا حتى شبه العلم وإن كان الاعتراض على كون التصوف مسلسل إلى الجناب النبوى الكريم فهذا أبطل وأبطل ، فقد قلنا سابقا إن التصوف علم وعمل ، ومعنى هذا هو تعلم ما صح عن النبى صلى الله عليه وسلم وتحويل هذا العلم إلى واقع معاش يلتزم به الصوفى طوال حياته قدر ما مكنه الله وهذا العلم لابد وأن يؤخذ عن عالم أخذ بدوره عمن قبله بداهة أن العلم لا يكون إلا هكذا .

وأسانيد السادة الصوفية فى العلم والعمل المتسلسلة إلى المقام النبوى العالى لا يتسع المجال بالطبع لتحقيقها فى هذا الكتاب ولكنها موجودة فى كتب التراجم والتاريخ وغيرها من المصادر المعروفة ، والقدح فيها لا يكون بمثل هذا الأسلوب الساذج البسيط بل بطرق التثبت المعروفة مثل إمكانية اللقيا وتواريخ الميلاد والوفاة والرحلات وغيرها ، وكم كنا نتمنى أن المصنف ارتفع إلى هذا المستوى العلمى الصحيح السليم لتحقيق اتصال الأسانيد الصوفية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من عدمه ، خاصة وأنه قد أشار إلى اطلاعه على كتاب حقائق عن التصوف وبه سند الطريقة الشاذلية والقادرية من الشيخ عبد القادر عيسى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل المثال ، فبهذا يكون النقاش العلمى الصحيح والحديث النافع المفيد بعد التروى وإحكام البحث

والاستقصاء وإخلاص النية فى العمل لله تعالى والمجال ما زال مفتوحا أمامه وأمام غيره للبحث العلمى الصحيح .

ولكن المصنف – ساعده الله – يأبى إلا الحديث هكذا وبكل بساطة فيظن نفسه قد أتى بأم البراهين ودليل الأدلة فى عدم اتصال الأسانيد الصوفية إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقط بقوله إنها غير صحيحة مما لا يفعله حتى الأطفال ، وربما كان هذا راجعا إلى صعوبة التمكن من علم الرجال والجرح والتعديل ودراسة التاريخ والأسانيد .

> *ومنهم من يدعى عدم الحاجة إلى تسلسل السند فهو قد أخذ طريقته عن النبى صلى الله عليه وسلم مباشرة يقظة لا مناما كالشيخ أحمد بن محمد التيجانى إذ جاء فى كتابه جواهر المعانى صفحة 97 ما نصه ، وأما سند الطريقة المحمديه . (التيجانية) فإنه أخبرنى قال « إنا أخذنا عن مشائخ عدة فلم يقض الله منهم بتحصيل المقصود وإنما سيدنا وأستاذنا فى هذا الطريق عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فقد قضى الله بفتحنا ووصولنا على يديه صلى الله عليه وسلم ، فليس لغيره من الشيوخ فينا تصرف .*

التدليس

أولا نذكر المصنف بأنه قد أخبرنا فى الصفحات السابقة عن قبح التدليس والغش وخطورتهما ثم ها هو وبالعجب العجاب يدلس فى حديثه ، وتعريف التدليس فى عرف أهل الحديث هو الإيهام بأمر مع العلم بخلافه ومما لا ريب فيه أن المصنف وقد اطلع علي كتاب جواهر المعاني حتى استطاع تحديد رقم الصفحة التى بها الفقرة المذكورة وفقرات أخرى ستأتى فيما بعد فلا ريب أنه قد عرف أن مؤلفه هو « على حرازم » وليس الشيخ أحمد التجاني رضى الله عنه ، فقوله : كالشيخ أحمد التجانى إذ جاء في كتابه جواهر المعاني . . . الخ الذى أورده فى الفقرة السابقة هو تدليس قصد به الإيهام بأن الكتاب المذكور للشيخ أحمد التجاني حتى يحمله تبعة كل ما جاء فى الكتاب .

وما هكذا يا سعد تورد الإبل

وقد قال فريق من المحدثين : من عرف بارتكاب التدليس ولو مرة صار مجروحا مردودا فى الرواية [1] .

1) مصطلح الحديث – الشيخ عبد الغنى محمود – ص 25 .

الأخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم

وإن كان الاعتراض على أخذ الشيخ التيجاني عن النبي صلى الله عليه وسلم فليس في هذا ما يستغرب ، فهذا من الكرامات التي يختص بها الله تعالي من يشاء من أوليائه الصالحين وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (وعن سعيد بن العاص – وهو أحد السابقين للإسلام – أن سبب إسلامه كان رؤيا رآها أنه على شعب نار فأراد أبوه أن يرميه فيها فإذا النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذ بحجزته فأصبح فأتى أبا بكر فقال : اتبع محمدا فإنه رسول الله) (1) .

وحتى المشرك قد يكاشف يقظة بالملأ الأعلى فما بالك بالمسلم (فإن شجرة النصري شهد حنينا مع هوازن مشركا فلما انهزموا جاء فأسلم وقال للمسلمين اين الخيل البلق والرجال الذين عليهم الثياب البيض ما كنا نراكم فيهم إلا كالشامة قالوا : تلك الملائكة) (2) .

فهذه رؤيا للملائكة يقظة كانت السبب في إسلام هذا الرجل وأما عن مكاشفات صالح المؤمنين فحدث ولا حرج فقد دخل الصحابي شريك بن حناشة النميري الجنة يقظة وتناول ورقة من شجرة بها وأحضرها لسيدنا عمر بن الخطاب فقال : أشهد أن هذا هو الحق سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يدخله من هذه الأمة رجل – يقصد بئر – من أهل الجنة ، وأصبح شعار بني نمير خضرة بهذه الورقة) (3) .

وكان هذا يقظة لا مناما فالرجل كان يحمل ورقة من الجنة ولولا خوف الإطالة لذكرنا الكثير من هذه المكاشفات كتسليم الملائكة على عمران بن الحصين وسماعه ذلك منهم ورؤية أسيد بن حضير للملائكة وهو يقرأ سورة الكهف وغيرها الكثير ولكن فيما قلنا الكفاية وسنتناول الموضوع بتفصيل أكثر فيما يأتي إن شاء الله تعالى .

وإن كان الاعتراض علي الشيخ التجاني لقوله إن سيدنا وأستاذنا في هذا الطريق هو النبي صلى الله عليه وسلم فهذه حقيقة لا يختلف فيها اثنان إذ ما من شك أن كل

---

1) الإصابة في تمييز الصحابة – ابن حجر العسقلاني – ج 1 ص 406 .

2) المصدر السابق – ج 2 ص 137 ترجمة رقم 3842 .

3) رواه الطبراني .

مسلم صادق في إيمانه يتأسى ويقتدي بالرسول صلى الله عليه وسلم كأستاذ ومعلم يريه الحق من الضلال والرشاد من الفساد بل ما من مسلم إلا وهو مأمور بأن يصلى كما رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى لقوله صلى الله عليه وسلم :

(**صلوا كما رأيتموني أصلي**) [1] فمنهم من رآه رؤية علميه ومنهم من رآه رؤية حقيقية بأم عينيه وهو من باب الممكن .

وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم موسى فى قبره مصليا وفي حديث المعراج أنه صلى الله عليه وسلم رأى آدم وإبراهيم وغيرهم من الأنبياء بل ووصفهم لأصحابه بأجسادهم فهذا كفلان من الصحابة والآخر كأنه من أزد شنوءة والآخر أشبه الناس بالنبى صلى الله عليه وسلم وما إليه ما هو معلوم في بابه .

وقد اشتهر برؤية النبى صلى الله عليه وسلم الكثير من الصالحين (حتى إن الشيخ عبد الوهاب القيسى المدفون بأطرابلس كان لا يفعل فعلا إلا بإشارته صلى الله عليه وسلم) [2] .

وقد نص جماعة من أئمة الإسلام على أن من كرامة الولى أن يرى النبى صلى الله عليه وسلم في اليقظة ويأخذ عنه ما شاء الله له من معارف ومواهب منهم :

الغزالي والبارزى والتاج بن السبكى والعفيف اليافعى والجلال السيوطى والقرطبى المالكى وابن أبي جمرة وابن الحاج في المدخل والفقيه ابن العربى والعز بن عبد السلام وغيرهم الكثير مما يخرج عن الحصر .

وأما فضل اتباعه – يريد الشيخ التيجانى – فقد أخبرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن كل من أحبه فهو حبيب النبى صلى الله عليه وسلم ولا يموت حتى يكون وليًا قطعا فانظر أيها المسلم البصير كيف يفترى القوم الكذب على الله ورسوله والمؤمنين بدون حياء ولا خوف ولا وجل .

---

1) رواه البخاري والنسائي وأبو داود .

2) نفحات النسرين والريحان أحمد النائب الانصارى ص 82 وكتاب الإشارات عبد السلام الفيتورى ص 14 .

حقيقة الحب في الله

من المعلوم أن كل من أحب صالحا من المسلمين فإنه يحبه لصلاحه وتقواه لا لدنيا يصيبها أو مغنم يحصل عليه ، وهذه هي المحبة الموصوفة بحلاوة الإيمان حسب ما بين الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « **ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله كما يكره أن يقذف في النار** » [1] . وأوضح الرسول صلى الله عليه وسلم أهمية هذا الحب فقال : « **أوثق عرى الإيمان الحب في الله** » [2] .

دلت هذه الأحاديث والكثير غيرها مما هو معلوم في بابه أن الحب في الله عبادة من أهم وأكبر العبادات وأوثق عرى الإيمان ، ومن المعلوم كما قلنا سابقا أن من أحب الشيخ التيجاني فقد أحبه لله تعالى ، إذ ليس هناك بالطبع من مآرب أخر فلم يكن الشيخ التيجاني من أهل الدنيا ولا كان ذا مال ولا تجارة فأصبحت محبته محبة لله ورسوله وامتثالا لأمره وإحياء لسنته صلى الله عليه وسلم المشار إليها بقوله : « **قال الله عز وجل : المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء** » [3] ، وقوله : « **المرء مع من أحب** » [4] .

فكل من أحب أولياء الله أحب الرسول صلى الله عليه وسلم وأحب الله تعالى بالضرورة ، وهذا بالطبع يصدق على من أحب في الله حقيقة .

وأما قول الشيخ التيجاني رضي الله عنه : لا يموت حتى يكون وليا فإن كل مؤمن تقي هو من أولياء الله وهذا ثابت بقوله تعالى : (**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون**) [5] .

---

1) متفق عليه .

2) رواه الإمام أحمد بن حنبل في المسند ، ورواه الطبراني وهو حديث حسن .

3) رواه الترمذي وهو حديث حسن صحيح .

4) متفق عليه .

5) يونس - 63 .

فحقيقة الولاية هو الإيمان والتقوى ، فإن قصده أن من سار على ما أنا عليه من أحبتي واقتفى أثرى بجد واجتهاد سيصدق عليه لفظ الولاية أى الإيمان والتقوى فيحظى بمحبة النبى صلى الله عليه وسلم . وهذا كما قلنا لا يصدق إلا علي كل مجتهد جمع الإيمان والتقوى أما من انتسب للشيخ التيجانى رضي الله عنه ولم يسر على المنهج المتمثل فى الالتزام بالكتاب والسنة فأمره متروك إلى الله سبحانه إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ومن يغفر الذنوب إلا الله .

ومن العجيب ما رأينا من افتراءات المتصوفة أن شيخ الطريقة الشاذلية بالديار الشامية عبد القادر عيسى قد ذكر عن مورثه الطريقة الشاذلية وهو الشيخ محمد الهاشمى التلمسانى الجزائرى فى كتابه حقائق عن التصوف الذى ضلل فيه المسلمين حيث ذكر الوجه الجميل للتصوف وأغفل عن عمد الوجه القبيح – ذكر سلسلة مشائخ الطريقة منه إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهى سلسلة ضمت كثيرا من غلاة الباطنية ودجاجلة المتصوفه والعياذ بالله تعالى والسلسلة مشتركة بين أربع طرق القادرية والشاذلية والدرقاوية والعليوية .

عودة للشيخ عبد القادر عيسى

قلنا سابقا إنه لا يصح أن يقال عن الشيخ الفاضل السيد عبد القادر عيسى ألفاظ مثل ضلل وأغفل عن عمد وما إليها ، لأن الإغفال عن عمد لا يعلمه إلا علام القلوب ولأن الشيخ عبد القادر عيسى هو من علماء المسلمين الذين أدوا واجبهم فى الدعوة إلى الله تعالي فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، ويكفى للدلالة على عظيم مرتبته وعلو همته وسمو فضله كتاب حقائق عن التصوف الذى وفق فيه إلى إظهار الإسلام نقيا من شوائب الدس والتضليل التي يحاول البعض دسها بين سطوره فانفتحت لهذا الكتاب مغاليق القلوب وانشرحت صدور المسلمين بفضله لظلال الأنس بالله تعالى ونعيم مناجاته وسعادة قربه ، ولا أدرى ما الباعث للمصنف علي العودة المرة بعد المرة للنيل من هذا العالم العلم النبيل الجليل .

يا من يحاول أن تكون صفاته — كصفات عبد الله أنصت واسمع
فلأنصحنك في المشورة والذى — حج الحجيج إليه فاسمع أو دع

أصــــدق وعف وبر واصبر واحتمل   واصفـــــح وكاف ودار واحلم واشجع
والطـــــف ولن وتأن وارفق واتئد   واحزم وجد وحام واحمــــــــل وادفع
فلقد محضـــتك إن قبلت نصيحتي   وهديت للنـــــهج الأسد المهـــــيع

وأما عن شيخه السيد محمد الهاشمي فكفاه فضلا وشرفا أن ربى مثل السيد عبد القادر عيسى ، وبالإضافة إلى هذا هو من العلماء العاملين أهل الصلاح والتقوى والعلم والفتوى وله ما يقارب العشر مؤلفات تتلخص كلها في الدعوة إلى الله وارشاد العباد إلى بارئهم وتصويب عقائدهم [1] .

والغريب أن المصنف لم يكتف بالنيل من السيد عبد القادر عيسى المرة تلو المرة بل تعداه إلى نبز المشائخ الكرام بأنهم من غلاة الباطنية والدجاجلة ، ويبدو أن المصنف قد نسي أنه كتب على غلاف كتابه الذي بين أيدينا أنه مدرس بالجامعة الإسلامية وواعظا بالمسجد النبوي الشريف ، فأين الوعظ ؟ وأين التدريس ؟ .

قال صلى الله عليه وسلم : « **لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا** » [2] ، وعلى كل حال سامح الله المصنف وابدله بكل حرف قاله في صالح المؤمنين ألف حسنة وما ذلك على الله بعزيز .

ومن أفظع الكذب وشرها أن ترفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون الرسول فيها فداه أبي وأمي محابيا لثلاثة من أصحابه وهم أبو بكر الصديق وانس بن مالك وعلي بن أبي طالب دون سائر الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين اللهم إنا نبرأ إليك من الكذب على رسولك واتهامه بالمحاباة والتحيز في إبلاغ الهدى وبيان سبيل الرشاد ونشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد بلغ كل ما أوحيته إليه وأمرته بإبلاغه .

اختصاص بعض الصحابة بعلوم دون غيرهم

أربع على نفسك أيها المصنف فالحقائق لا تثبت بالدعاوى المجرده والعبارات الجوفاء

1) ترجم الشيخ عبد القادر عيسى للشيخ محمد الهاشمي رضي الله عنه في كتاب حقـــائق عن التصوف – ص 618 / 262 فانظره .

2) رواه البخاري .

والكلام البراق المخادع .

أولا : إن تعريف الصحابي هو كل من لقى النبى مؤمنا به ومات على الإسلام ، وقد توفى الرسول صلى الله عليه وسلم ومن رآه وسمع منه أكثر من مائة وقيل مائة واربعة عشر الفا من رجل وامراة كلهم قد روى عنه سماعا أو رؤية ، وهذا عدد الرواه فقط دون غيرهم ، وأما من اشتهر وجاء له ذكر في كتب الأحاديث والسنن والتراجم حتى بأضعف الروايات والأسانيد عن النبى صلى الله عليه وسلم فهم سبعة آلاف وخمسمائة وأربعون نفسا وقيل أكثر من ذلك على خلاف فى تعريف الصحابى ، فهل يعقل أن يستوى كل هذا العدد من الصحابة فى مقدار الأخذ عن النبى صلى الله عليه وسلم ؟ .

ولا يختلف اثنان على أن بعض كبار الصحابة كالخلفاء الراشدين مثلا لا يلحق بهم لاحق فى غزارة العلم وكثرة المعرفة دون غيرهم من الصحابة ، وهذا العلم الذى اختصوا به لا يرجع لمحاباة أو تحيز الرسول صلى الله عليه وسلم لفلان دون فلان تأدبا مع الرسول صلى الله عليه وسلم **أولا** ، ولمخالفته لأبسط البديهيات **ثانيا** ، فلا يعقل أن يستوى كل الناس فى درجة الإيمان والاهتمام وتلقى العلم والعناية به وقوة الحفظ والمعرفة وفقاهة النفس والعناية بنوع خاص من الدين كاختصاص زيد رضى الله عنه بعلم الفرائض مثلا ، فكان ما اختص به هؤلاء الصحابة الكرام دون غيرهم لهذه الأسباب البديهية ، لا لتحيز الرسول صلى الله عليه وسلم لفلان دون فلان وما إلى ذلك من العبارات الفارغة الجوفاء .

ثانيا : إن كلام المصنف – أرشده الله – بهذا الأسلوب ونفيه أن يختص بعض الصحابة ببعض العلوم – مع شديد احترامنا له – يدل على جهل تام بالدين وعدم معرفة شئ من طرق روايته ووصوله للمسلمين .

فإن كان أراد عدم اختصاص أحد من الصحابة بشئ يؤثر عنه ويروى من طريقه هو فقط دون غيره فهو باطل أيضا وفي الدرك الأسفل من البطلان ، إذ ليس أحد من الصحابة إلا وقد اختص بنقل ما لم ينقله غيره ولم يشترك الصحابة كلهم إلا فى نقل ما هو ضرورى العلم كأصول الإيمان والتوحيد وأركان الإسلام فقط دون ما اشتملت عليه من الأحكام والفروع ، إذ أنهم لو اشتركوا في ذلك لكانت الأمة متفقة على الأصول

والفروع ، فالجميع قد اشتركوا في الأخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم وكلهم جلس إليه وسمع منه واختلفوا مع هذا في الفروع والأحكام أشد الاختلاف .

ثم إننا نعرف أن بعض الصحابة قد اختص بعلم التفسير كابن عباس وابن مسعود وعلي بن أبي طالب ، وبعضهم بالحديث كأبي هريرة وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر ، وبعضهم بالقراءات كأبي بن كعب وابن مسعود ، وبعضهم بالفقة كالإمام علي وعمر بن الخطاب وابن مسعود ، وما إلى هذا مما هو معروف ، فهل نسمي النبي صلى الله عليه وسلم محابيا أو متحيزا ولم يبلغ كل ما أمر به واختص ابي بن كعب مثلا دون غيره بعلم القراءات وغيره أستغفر الله العظيم من هكذا ترهات .

وعن أبي هريرة قال : « **حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائين أما أحدهما فبثثته وأما الاخر فلو بثثته لقطع هذا الحلقوم** » [1] .

فمما لا شك فيه على رأي المصنف أن الرسول والحال هكذا قد بلغ نصف ما أوحي إليه لهذا الصحابي دون غيره محاباة له وتحيزا ، وأنه اختص حذيفة بن اليمان بعلم الفتن وكان من الواجب عليه – حاشا جنابه الرفيع – وفق منطق المصنف المعوج أصلا وفرعا أن يشرك معه الصحابة كلهم فعن حذيفة بن اليمان أنه قال : « والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة » [2] .

وسأل أبو الدرداء علقمة رضي الله عنهما: « **أليس فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره** » [3] يقصد حذيفه .

والخلاصة : أنه نعم قد اختص النبي صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة ببعض العلوم دون غيرهم ، ومن بين هذه العلوم علم معالجة القلوب وإصلاحها وعلى رأس هؤلاء ابن عمه ووزيره ومن هو منه بمنزلة هارون من موسى الإمام علي بن أبي طالب لأسباب عرفنا بعضها وعلمناه وبعضها الآخر لا يعلمه إلا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا

---

1) رواه البخاري .

2) رواه مسلم .

3) رواه البخاري ومسلم .

دخل لنا فيها من بعيد أو قريب ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليأبى وكل ميسر لما خلق له .

ومما يفضح هذه الفرية القبيحة أن البخارى روى فى سنده الصحيح إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : ما عندنا شئ إلا كتاب الله وهذه الصحيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم « المدينة حرم ما بين عائر إلى كذا » الحديث فنفى أن يكون رضى الله عنه قد خصه النبى صلى الله عليه وسلم بشئ لم يعلمه أمته وهذا مسلم أيضا روى في صحيحه عن طريق أبى الطفيل كنت عند على فأتاه رجل فقال : ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يسر إليك ؟ فغضب ثم قال : ما كان يسر إلينا شيئا كتمه عن الناس غير أنه حدثنى بكلمات أربع وفى رواية له ما خصنا بشئ لم يعلم به الناس كافة إلا ماكان فى قراب سيفى هذا فاخرج صحيفة مكتوب فيها لعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من سرق من الأرض ولعن الله من لعن والده ولعن الله من أوى محدثا ، وبإبطال هذه الفرية الباطلة سقط بنا التصوف وانهدم فلا يقام ولا يرفع أبدا ، أن بدعة التصوف قامت على أساس أن النبى صلى الله عليه وسلم أسر لعلى وأبى بكر وأنس بعلم الحقيقة فكانوا يعرفون الحقيقة والشريعة وعامة الصحابة لا يعرفون إلا الشريعة ، ومن هنا جاء علم الباطن والظاهر وضرب الإسلام على أيدى غلاة الروافض والباطنية والزنادقة من اليهود والمجوس المنتسبين إلى الإسلام لهدمه وتقويض أركانه وقد فعلوا مع الأسف ونجحوا ومن المحزن المؤسف أن يأتى بعد هذا رجال يلهثون اليوم وهم يحملون نفايات التصوف يبشرون به ويدعون إليه خيب الله سعيهم وأحبط أعمالهم .

باب مدينة العلم على بن أبى طالب

ياللسذاجة . . لقد استطاع المصنف أن يبطل التصوف ويسقط بناءه ويهدمه فلا يقوم كيف لا وهو خاتمة المحققين ورأس العارفين ؟

والحديث المذكور هو حديث صحيح جاء فى العديد من الصحاح وكتب السنن بعدة روايات اختلفت اختلافا يسيرا فى اللفظ واتفقت فى المعنى ، وأصح لفظ جاء فيه – والله أعلم – ما رواه البخارى عن أبى جحيفة قلت لعلى : (هل عندكم كتاب ؟ قال : لا

إلا كتاب الله أوفهم أعطيه لرجل مسلم أو ما في هذه الصحيفة ، قلت : وما في هذه الصحيفة ؟ قال : العقل – الدية – وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر) وقد رواه البخاري في جزء 1 ص 28 ورواه أيضا في جزء 9 ص 10 .

ورواه الدارمي في جزء 2 ص 110-111 وفيه عن أبي جحيفه قلت لعلي :

(يا أمير المؤمنين هل علمت شيئا من الوحي إلا ما في كتاب الله تعالى ؟ قال : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهما يعطيه الله لرجل في القرآن أو ما في هذه الصحيفة . . . الخ) .

ورواه الترمذي في جزء 2 ص 432 بلفظ قلت : يا أمير المؤمنين هل عندكم سوداء في بيضاء ليس في كتاب الله ؟

ورواه أحمد في جزء 6 ص 33وابن ماجة في جزء 8 ص 19 ورواه أبو داود جزء 4 ص 180 حديث رقم 4530 عن قيس بن عباد قال : (انطلقت أنا والأشتر إلى علي عليه السلام فقلنا : هل عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهده إلى الناس عامة ؟ فقال : لا إلا ما في كتابي هذا ، فإذا فيه المؤمنين تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم) .

ورواه النسائي بنفس رواية أبي داود تقريبا في جزء 8 ص19 .

وهو حديث صحيح كما قلنا ، ولكن الذي ليس بصحيح هو ما قاله المصنف عنه ومحاولته الاستدلال به في غير موضعه ، فإن السؤال كما رأيت في الحديث المذكور بكل رواياته عن كتاب مكتوب سوى ما بين أيدي المسلمين من كلام الله تعالى وذلك لما كان يشاع في ذلك الوقت على أيدي بعض غلاة الشيعة – المنقرضة – عن اختصاص الإمام علي رضي الله عنه بقرآن غير الموجود بين أيدي المسلمين وسموه مصحف فاطمة [1] وجعلوه مقابلا لما بأيدي المسلمين من الوحي ، فكان جواب الإمام علي بانه ليس عنده من مكتوب سوى هذه الصحيفة التي في قراب سيفه وعند قراءتها تبين أنها ليست بقرآن ، وهذا واضح أشد الوضوح من قول السائل : هل عندكم سوداء في بيضاء ، فالسواد هو

---

1) جاء في كتاب الكافي للكليني إن مصحف فاطمة فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد ص 57 .

المداد والبياض هو الورقة أو الصحيفة ، وكما يتضح من رواية البخاري هل عندكم من كتاب ؟ ويشتد الوضوح بما لا مزيد عليه في رواية الدارمي بقول السائل : يا أمير المؤمنين هل علمت شيئا من الوحي إلا ما في كتاب الله ؟ فإن السؤال كما يرى كل مبصر عما إذا اختص الإمام بكتاب فيه من وحي السماء دون ما عند المسلمين ، وبالطبع كان الجواب في جميع الروايات واحدا وهو نفي وجود سوى ما بين أيدي المسلمين الموجود بين الدفتين والذي يعلمه كل مسلم من كلام الله تعالى .

ولم يكن للحديث علاقة من قريب أو بعيد وبأي وجه كان باختصاص الإمام علي رضي الله تعالى عنه بالعلوم والحقائق العرفانية كما اختص غيره من الصحابة كما قدمنا ، فهذا من المسلم به بين المسلمين بل إنك لو سألت من لا يعرف من العلم إلا أقله عن علم الإمام وفضله وتميزه عن الصحابة بمميزات لم يحظ بها سواه لحدثك بالشيء الكثير .

فلا أحد من المسلمين يجهل اختصاص الإمام علي بحل الإشكالات وفك المعضلات حتي كان سيدنا أبو بكر الصديق والمسلمون يقولون لعلي : يامفرج الكروب بعد حادثة اليهودي المشهورة [1] ، وكان سيدنا عمر ابن الخطاب يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن واختصاصه بتفسير القرآن الكريم ببصيرة ثاقبة والتضلع في علومه والإخبار عن الأحداث الماضية والآتية والتكلم في الحقائق والمعارف (حتى شهد له الصحابة بأن عنده تسعة أعشار العلم) [2] .

وفي الحديث الصحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أنا مدينة العلم وعلي بابها** » [3] .

وعندما نزل قوله تعالى : (**وتعيها أذن واعية**) قال صلى الله عليه وسلم : « اللهم اجعلها اذن علي ، قال علي : فما نسيت بعد ذلك شيئا » [4] ، وعن حبر الأمة عبد الله

---

1) انظر كتاب المجتبى – لابن دريد .

2) رفعه أبو نعيم في الحلية إلى النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ : قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطى علي تسعة أجزاء والناس جزء واحد .

3) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد والطبراني والترمذي وابن جرير والسمرقندي في بحر الأسانيد وصححه ابن معين إمام أهل الجرح والتعديل .

4) رواه أبو نعيم وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والواحدي وابن النجار والثعلبي في التفسير .

ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « **كنا نتحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم عهد إلى علي رضي الله عنه سبعين عهدا لم يعهدها إلى غيره** » [1] ، نعم لم يختص الإمام بشئ من القرآن الكريم دون غيره ولكنه اختص بعلوم ومعارف لم تكن إلا عنده .

روى الإمام أحمد بسند صحيح عن ابن مسعود قال : (تمارينا في سورة من القرآن فقلنا : خمس وثلاثون آية ، وست وثلاثون آية فانطلقنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدنا عليا يناجيه فقلنا له : إنا اختلفنا في القرآن ، فاحمر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تقرؤا كما علمتم) [2] ، فانظر إلى مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم له وانظر بإمعان وتدبر إلى لفظ اجابته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمل تغنم .

ومحاولة المصنف إنكار أن يكون الإمام علي قد اختصه الرسول صلى الله عليه وسلم بعلوم دون غيره هي محاولة يائسة فاشلة والعجيب أن يدعى أنه باستدلاله بهذا الحديث الذي لا علاقة له بما استدل عليه أو حتى رائحة علاقة قد هدم التصوف فلا أدري من أيهما أنا اعجب من طريقة استدلاله بالأحاديث ام من بساطته اللا محدودة في فهم الأمور .

وماذا عسى أن ينقل الناقل من فضائل من هو أول الناس إسلاما في قول كثير من أهل العلم ومن ربي في حجر النبي صلى الله عليه وسلم أكمل تربية من أكمل مرب ، بل لم يفارقه وشهد معه المشاهد كلها إلا غزوة تبوك ولما آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه قال له : (أنت أخي) ، وروى البخاري ومسلم : « **أن الرسول صلى الله عليه وسلم يوم خيبر قال : لأدفعن الراية غدا إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فاعطاها في الصباح لعلي** » .

فانظر أيها المسلم الراشد إلى شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم له بمحبته لله ورسوله ومحبة الله ورسوله له .

---

1) رواه الطبراني في الصغير وأبو نعيم في الحلية وهو حديث حسن .

2) زوائد المسند للإمام عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل .

وبعثه صلى الله عليه وسلم يقرأ براءة على قريش وقال : « **لا يذهب إلا رجل مني وأنا منه** » ، وقال لبني عمه : « **أيكم يواليني في الدنيا والآخره ؟ فأبوا فقال علي أنا فقال : إنه وليي في الدنيا والآخرة** » وأخذ رداءه الشريف فوضعه علي علي وفاطمه وحسن وحسين وقال : (**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**) ، وقال في حقه : « **من كنت مولاه فعلي مولاه** » . وعندما سد صلى الله عليه وسلم الأبواب التي كانت تفتح داخل المسجد لم يترك إلا باب على فيدخل المسجد جنبا وهو في طريقه ليس له طريق غيره .

وأخرج الترمذي وأصله في مسلم عن علي قال : « **لقد عهد إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق** » .

ونحن نشهد الله تعالى أننا نحب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره ووزيره ونقر له بكل مكرمة ومنقبة وإن جحد الجاحدون وأنكر المنكرون .

والمقصود من وراء وضع هذا الأصل من أصول الطرق الصوفية هو احتكار الشيخ للطريقة بسد كل الطرق الموصلة إلى الإيمان بالله تعالي ومعرفته ومعرفة محابه ومكارهه وكيفية عبادته والتقرب إليه للفوز بمحبته ومرضاته وجناته بعد ولايته في حياته وبذلك يجد العبد نفسه مضطرا للأخذ بطريقة من الطرق الموضوعه في الظاهر للهداية والتربية الروحية والسلوكية وفي الباطن للتجهيل والتضليل معا .

إن كنت لا تدري فتلك مصيبة أو كنت تدري فالمصيبة أعظم

يغفل المصنف فيأتي بما لم تر عين أو تسمع أذن أو يخطر على قلب بشر .

إن الإيمان - أيها المصنف - كلمة تصدق علي كل من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره من الله تعالى ، فكل من آمن بهذه الأصول السته من المسلمين فهو مؤمن وإن كان مقيما في غيابات جب عميق لا يختلط بأحد من الخلق ، بل إن كل من أقر لله تعالي بالوحدانية والنبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم وإن لم ينطق بهما لمانع يصدق عليه مطلق لفظ مؤمن ، فكيف سد الصوفية الطرق الموصلة إلى الإيمان بالله تعالى ؟ بل وكيف يستطيع مخلوق أن يسد هذا الطريق ، وحتى كفار قريش لم يظفروا من بعض المسلمين بعد الاشتداد في تعذيبهم إلا بألفاظ لا تعني شيئا وبقيت

قلوبهم مطمئنة بالإيمان عامرة به ، ولو كان الإيمان شيئا يمسك باليد أو تقطع طريقة لما توانى أئمة الكفر عن اقتلاعه من جذوره وسد الطرق المؤدية إليه .

سبحان الله إن الإيمان بالله تعالى نور قد يتسلل حتى إلى أقسى القلوب وأشد الأفئدة كفرا فيحولها من الظلام إلى النور ومن الضلال إلى الرشاد ، ويتبع هذا الإيمان بالضرورة معرفة محاب الله ومكارهه ولا تعرف هذه المحاب والمكاره إلا بالاجتماع بالعلماء والأخذ عنهم وهذا ما يقوله كل عاقل أوحتي نصف عاقل .

أما الأخذ عن مشائخ التصوف فهو للتربية والتحقق بمقام الإحسان المشار إليه بالحديث الشريف : « **أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك** »[1] أي مقام المعرفة والمراقبة والخشية الناتجة عن المشاهدة ، قد بين الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الدرجات الثلاث من إسلام وإيمان وإحسان في الحديث المعروف ، نعم كل من أقر باللسان فهو مسلم وكل من أقر باللسان واعتقد بالجنان فهو مؤمن ، وكل من أقر باللسان واعتقد بالجنان وعمل بالأركان وراقب الرحمن فهو محسن وما على المحسنين من سبيل .

ولا تتأتى هذه المراقبة إلا لمن سلك الطريق الذي كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضوان الله عليهم وسار عليه من بعدهم السادة الصوفية .

> *ولو كانت طرق المتصوفة وافية ببيان سبيل الله تعالى كافية في تربية المسلم دينا وخلقا وعقلا وفكرا لهان الأمر ولكن المعروف عن مشائخ الطرق أنهم لا يعطون المريد أكثر من الورد وبعض التوجيهات الخاصة كالمحافظة على الصلوات الخمس والورد ومحبة إخوان الطريقة أو الشيخ كما يقولون مع توصيته وتحذيره من أن يأخذ عن شيخ آخر وينتمي إلى طريقة أخرى .*

السادة الصوفية ودورهم الإرشادي

إن المصنف على عادته يقطع في الأمور بطريقة أصبحت تدعو للسخرية بل وإلى الشفقة والرثاء .

1) رواه مسلم .

فقوله إن المشائخ لا يعطون المريد أكثر من الورد . . . الخ يجعلنا نتساءل كما تساءلنا سابقا هل أخذ الطريقة على يدى أحد هؤلاء المشائخ ؟ أم هل حدثه أحد هؤلاء بأنهم لا يعطون المريد أكثر مما قاله ؟ وهل عرفهم جميعا ؟ وعرف أيضا كل المريدين الذين أخذوا منهم حتى يتسنى له القطع والتعميم بدون استثناء واحد .

لا جرم أننا لا زلنا نحاشى المصنف عن قول غير الحق وننسب كلامه وقطعه للغفلة ليس إلا ، ولو أنه قبل أن يتلفظ بهذه الادعاءات جلس إلى هؤلاء لشاهد بأم عينيه كيف يحيى هؤلاء الأكارم الأماجد السنة النبوية المطهرة بالدعوة إلى الخير ومكارم الأخلاق والنهى عن الشر ومنكر الأعمال تأسيا بالمصطفى صلى الله عليه وسلم وسيرا على سنته .

كان الشيخ محمد بن عيسى رضى الله عنه يشترط على المريد قبل الدخول معه فى الطريق (امتثال المأمورات واجتناب المنهيات والمحافظة على الصلوات ومراقبة الله تعالى فى جميع الأوقات والصمت والمحبة والصبر والعزلة والحنان والرأفة) [1] . ولا زال أهل الطريق الصادقون ملتزمين بهذا الشرط قولا وعملا .

وكان الشيخ الجزولى يوصى بالاختلاط بالعلماء الصالحين وأهل الفضل وعدم الاختلاط بالفسقة وأهل اللهو والمجون حتى لا ينتقل حالهم إلى المريد لما للصحبة من أثر مشاهد معروف فى تقويم واعوجاج الأخلاق ، فيقول رحمه الله : (فليجتهد العاقل فى مخالطة الخصوص وفى مخالطة الخصوص ثلاث خصال اكتساب العلم وصفاء القلب وسلامة الصدر) [2] .

وكان أحمد الرفاعى رضى الله عنه يقول مبينا أهمية الالتزام الكامل بالكتاب والسنة : (إن الواحد منكم ما دام على الكتاب والسنة فهو على الطريق ومتى انحرف عنها ضل عن الطريق) [3] .

---

1) اتحاف اعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس للشريف مولاى عبد الرحمن بن زيدان ج 4 ص 11 .

2) هذه الوصية للشيخ الجزولى أصلا وإن كررها من بعده تلاميذه وأتباعه كالشيخ محمد بن عيسى كما مر بك .

3) التصوف وأقطابه – الشيخ محمد محمود السطوحى ص 33 .

والشيخ عبد السلام بن سليم الأسمر كتاب يسمى بالوصية الكبرى أوصى فيه كل من انتسب للطرق بأمور الخير ونهاه عن كل ما يقرب للفساد والشر مستمدا من الكتاب وسنة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، والكتاب مطبوع وباستطاعة من أراد الاطلاع عليه وقد بين فيه رضي الله عنه طريقته المتمثلة في التطبيق العملي للكتاب والسنة .

هذا غيض من فيض وقليل من كثير مما لا يعلمه المصنف عن وصايا المشائخ لأتباعهم ومريديهم ولولا خوف الإطالة لنقلت من هذا الكثير بل ولنقلت حتى بعضا مما سمعناه من وصايا المشائخ الكرام في عصرنا هذا .

> *بهذا مضت فترة غير قصيرة على أمة الإسلام وهي جماعات متباينة لا يعطف بعضها على بعض هذا قادري وهذا نقشبندي وهذا رفاعي وهذا درقاوي وذاك مبري وذا عليوي وتمسك كل فريق بشيخ وورد وطريقة وجماعة .*

الطرق الصوفية كروافد لتطور الفكر الإسلامي

اللهم أنطقنا بما فيه مرضاتك

لا أدري من أين يأتي المصنف – عفى الله عنه – بهذه الألفاظ عن تباين أمة الإسلام وعدم عطفهم على بعضهم البعض ، بل ويقطع على عادته في إصدار الأحكام بأنه قد أتت على أمة الإسلام فترة وهي كما قال ، وهذا ما لم يحدث قطعا فما كانت أمة الإسلام كذلك فترة قصيرة ولا طويلة حاشاها من ذلك حاشاها وهي خير أمة أخرجت للناس كتابها القرآن الكريم ونبيها محمد العظيم صلى الله عليه وسلم فهذا الهراء لا وجود له إلا في الأذهان السقيمة التي تظن أن العالم يقف عندها ولا يتعداها وأن الكل على خطأ ما عداها فإن من يفعل هذه الأمور التي ذكرها المصنف يصدق عليه كل اسم إلا الإسلام **(فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)** [1] ، وقد دأب المسلمون الصالحون على العطف والمواساة ولين الجانب والمودة وحسن الخلق والبشاشة والرحمة وما إلى ذلك من صالح الأعمال .

أما أولئك الحاقدون الماكرون الخارجون عن تعاليم الإسلام فلا يمثلون المسلمين حتى

---

1) متفق عليه .

يصدر المصنف هذا الحكم ، ويا ليته استمر فى حديثه عن التصوف بدلا من توسيع دائرة الاتهامات لتشمل حتى موتى المسلمين ولا تستثنى أحدا ، وهو سامحه الله – ليس بقاصر عن إدراك هذا السقوط ولكنه أخذته الحدة العمياء . فطفق يكتب ما جرى به القلم مما يراه قدحا في التصوف ونسى أن القدح هو في الخروج عن القياس ، والأحكام المعتدلة شرعا وعقلا وعرفا .

وما كان تعدد الطرق مما يفرق بين المسلمين فها هى أمة الإسلام تتعبد ربها بمذاهب مختلفة من شافعى إلي حنفى إلي حنبلى إلى مالكى إلي زيدى إلى إمامى منذ صدر الإسلام الأول وحتى يومنا هذا فهل كان هذا فى يوم من الأيام مدعاة للتفرقة أو مشتتا لجماعة المسلمين ، وقس عليه المذاهب العلمية المختلفة فى اللغة والتاريخ والأصول وغيرها بل والجماعات المجتهدة حتى داخل المذهب أو المدرسة الواحدة .

إنه من السذاجة أن نظن أن تعدد الطرق مدعاة للفرقة بل الصحيح الذى يعرفه ويشاهده ، كل ذى عقل ونظر أنها إثراء للحركة الفكرية الإسلامية ، وروافد تغذى نهر الحضارة والعلم ، بداهة أنه من المستحيل أن يكون كل الناس نسخة مكررة من بعضهم البعض إذ لا بد أن يتمايزوا ، وهكذا أخذ كل منهم بما رآه يناسبه مذهبا أو طريقة أو اجتهادا .

ولهذا لما عزم المنصور العباسى على أن ينسخ من الموطأ نسخا ويبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين بنسخة ويأمرهم أن يعملوا بما فيها ولا يتعدوها إلى غيرها قال له الإمام مالك : (دع الناس على ما هم عليه) [1] ولهذا أيضا أثنى علماء الإسلام على المذاهب ولم يروا فيها إلا سببا لوحدة المسلمين وجمعهم ، إذ أن الاختلاف المذموم هو الاختلاف فى العقائد والأساسيات أما فى الفروع فهو صلاح ورشاد ومن البساطة اللامتناهية رؤية غير هذا .

وتمسك كل فريق بشيخ وورد وطريقة وجماعة ومن هنا سهل على أعداء الإسلام على ديار الإسلام فوضعها المسلمين قاطبة تحت حكمهم واستعمروهم واستغلوهم

1) مالك بن انس – عبد الحليم الجندى – ص 197 . والحادثة مشهورة ولا يكاد يخلوا منها كتاب تاريخ أو سيرة بل وحتى بعض كتب الفقه .

لقد مل اليراع وكل الذراع من تكرار كتابة أن الحقائق لا تثبت بالدعاوى الفارغة والاتهامات الباطلة الجوفاء بل بالأدلة والبراهين .

وتذكر المصنف بأنه حدثنا في الصفحات السابقة عن جريمة من غش المسلمين وحدثهم بغير الحق ، وقد تحدثنا في ما سبق عن كيفية دخول الاستعمار إلى ديار المسلمين وأصبح لا لزوم للتكرار الممل ، ولو أن المصنف بدلا من ترديد هذه الخرافات والخزعبلات اشتغل بذكر الأدلة لكان أجدى وأنفع .

ولكن كل ما ليس له أرجل لا يقف والتراب لا يكون دقيقا ولو أقسمت والحصى لا يكون عقيقا ولو أوهمت .

وهم الذين وضعوا للمسلمين الطرق والتصوف لتفرقتهم وإذهاب ريحهم وليسهل أخذهم والتحكم فيهم واستعمار ديارهم واستغلال ديارهم واستغلال خيراتهم إذ هم القائلون (فرق تسد) وقريب من معناها وأذكر في بروتوكولات حكماء صهيون ، وأقم عداوة بين الشعب والدولة ليقع الاثنين في حوزتنا .

لله در أبي المصنف ألا ما أكثر تخبطه وأقل تثبته .

قال في الصفحات السابقة إن التصوف وجد في القرن الرابع الهجرى وقد بينا في حينه خطأ هذه الافتراءات التى لا تستند إلى حقيقة علمية واحدة ، ولكننا نجدنا مضطرين للعودة إلى تلك الفقرة من جديد لا لنعاود الحديث فيها فقد ذكرنا في حينه مايزيد عن الحاجة ، ولكن فقط لتذكير المصنف إن نفعت الذكرى بأنه قال إن التصوف قد وجد في القرن الرابع الهجرى ، وهو هنا يقول وبكل جراءة إن الاستعمار هو الذى وضعه ووجه الغرابة أنه حتي القرن الرابع لم يكن هناك شئ اسمه استعمار أو مستعمر ولم تظهر الأفكار الاستعمارية إلا بعد ذلك بمئات السنين ، وكذلك لم تكن هناك بروتوكولات ولا غيرها إلا بعد تلك الحقبة كما هو معروف عند من له أقل القليل من علم التاريخ ، فكيف يضع المستعمرون شيئا وجد قبلهم باعتراف المصنف .

حقا لقد خرق المصنف – أدامه الله – العادة في دقة وجودة الفهم واتفاق الأقوال والتثبت وسعة الاطلاع ؟

وكلمة أخيرة أن من غريب التناقض في الطرق الصوفية أو أصحابها

ويشترطون في الشيخ المربي ذي الإذن الخاص أن يكون متحليا بصفات الكمال التي لا يمكن أن توجد حتى في بعض الأنبياء ومع هذا تراهم ينصبون مشائخ ويضعونهم على رأس طرق يعطون الورد ويربون وليس لهم من تلك الصفات عشر معشارها . :

ليس كذلك فالتناقض عند غيرهم .

إن شيخ العناية العارف بالله تعالى الذي مكنه الله في مقام الولاية وأفاض عليه من الكمالات ما أهله لأن يكون وارثا للرسول صلى الله عليه وسلم وعلى قدمه في الدعوة إلى الله تعالى مسلكا للخلق مرشدا لهم بحاله ومقاله إلى ما ينفعهم متمكنا من علوم الشريعة معقولها ومنقولها راسخا في علوم الشريعة والحقيقة الشريفة والمقامات السامية المنيفة مثل الشاذلي والمرسي وابن عطاء الله والجزولي ومحمد بن عيسى وأحمد البدوي وإبراهيم الدسوقي وعبد السلام الأسمر وأحمد العلوي والرفاعي والجيلاني والنقشبندي وغيرهم من أهل المعرفة والعمل هو المعني بوجوب تحليه بصفات الكمال المذكوره وقد كان هؤلاء المذكورون حائزين حقيقة لكل وصف حميد وآثارهم تشهد بعلو شأنهم ورفعة شأوهم وسمو مكانتهم .

وتبقى طرق هؤلاء السادة الأجلة المتمثلة في تطبيق الشريعة الإسلامية والعمل بالأحكام الدينية يحملها الأمثل فالأمثل ممن سار على طريقتهم وتحقق بحقيقتهم ، أخذ الطريق عمن سبقه من رجاله وورث ميراث الصالحين من علم وعمل وسار على نهج الصادقين بدون خلل في الدعوة إلى الله على بصيرة وترك الاختيار مع الله ورسوله والخيرة ، وهم الذين تصدروا للمشيخة بعد أولئك الكمل .

فإن كان المصنف - ساعده الله - كما قلنا ولا زلنا نقول اختلط بهؤلاء وجلس إليهم وحادثهم جميعا في طول العالم وعرضه فإننا نقبل منه قوله بأنهم لا يملكون من صفات الكمال حتى عشر معشارها وإلا فلا داعي لتعميم الأحكام وإرسال القطوع الواحد بعد الآخر بدون تأكد وتثبت فكل عاقل يعرف قبح وسماجة هذا المسلك .

الأنبياء وصفات الكمال

ثم إن المصنف - هداه الله - تجاوز الحد فترك القدح في الصوفية وانتقل إلى

القدح فى الأنبياء بحديثه عن صفات الكمال التى لا يمكن أن توجد حتى فى بعض الأنبياء على حد زعمه وزعم الوهابيين عموما أخذا بظاهر النصوص وعملا برأى تجويز المعاصى للأنبياء ، وما أدرى ما دخل الأنبياء وصفات كمالهم في ما نحن فيه من قريب أو بعيد .

وعلى كل حال نحن نخالفه في هذا الشأن إذ أننا نرى أن النبوة لا تنفك عن ذوات الأنبياء منذ بدء الخليقة ، وإلى ما لا يعلمه إلا الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم :

« **كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد** » [1] . وكيف لا يتحلى من هذا وصفه بكل كمال بداهة أنه لا يصبح هناك مبرر لاتباعه وتصديقة إن لم يكن كامل الصدق مثلا ولهذا وجب وصف الأنبياء بكل كامل من الفضائل ، فالنبى كامل الأخلاق من صدق وعفة وحياء وكرم لا يكذب ولا يفحش أبدا وما إلى هذا من شريف الأوصاف والصفات وكريمها .

ولا يتسع المجال لمناقشة عقيم دعوى وباطل فتوى من يجوز نسبة المعاصى للأنبياء وتفسيره لقتل سيدنا موسى للرجل وهم يوسف الصديق بتفاسير لا تتفق مع جلال قدر الأنبياء الكرام بل وحتى ذوى المروءة من عامة المسلمين . نسأل الله له ولنا ولكافة المسلمين المغفرة والهداية .

ولنستمع إلى قراءة ما جاء في جواهر المعانى للتجانى الجزء الثانى من الصفحة الخامسة والثمانون بعد المائة ، أما ما هى حقيقة الشيخ الواصل فهو الذى رفعت له جميع الحجب عن كمال النظر إلى الحضرة الإلهية نظر عينا وتحقيقا ويقينا ، فإن الأمر أوله محاضرة وهو مطالعة الحقائق من وراء ستر كثيف ثم مكاشفه وهو مطالعة الحقائق من وراء ستر رقيق ثم مشاهدة وهو تجلى الحقائق بلا حجاب ولكن مع خصوصية ولابقاء للغير والغيرية عينا وأثرا وهو مقام السحق والمحق والدك والفناء ، فليس فى هذا الا معاينة الحق فى الحق بالحق فلم يبق إلا الله لا شئ غيره فما ثم موصول ولا ثم واصل .

1) وفى رواية كنت نبياً وآدم بين الماء والطين ، ورواية أخري كنت نبيا وآدم مجندل فى طينته ، والرواية المذكورة أعلاه بلفظ الطبراني وصاحب الحلية .

لقد سبق أن قلنا إن كتاب جواهر المعاني هو من تأليف علي حرازم المتوفى بالأراضي المقدسة وهو ليس بحجة على أحد إلا مؤلفه ، وكل ما جاء سواء صحت نسبته للشيخ التيجاني رضي الله عنه أو إلى غيره هو وصف لمقام الفناء وسنتحدث عنه في حينه إن شاء الله تعالى ، إذ افرد المصنف له بابا خاصا .

إلى أن يقول الشيخ التجاني في جواهره : فهذا هو الشيخ الذي يستحق أن يطلب ومتى عثر عليه المريد من هذه صفته فاللازم في حقه أن يلقى بنفسه بين يديه كالميت بين يدي غاسله لا اختيار له ولا إرادة ولا عطاء ولا إفادة ومتى أشار عليه بعمل أو أمر فليحذر من سؤال بلم ؟ وكيف ؟ وعلام ؟ ولأي شئ فانه باب المقت والطرد .

انتقال الحال من الشيخ إلى المريد

نعم إن كل ما ذكر عن وجوب التزام المريد عند أخذه عن شيخ يسلك به الطريق صحيح وقد سبق أن بينا طرفا منه .

وكما قلنا فإن الشيخ هو طبيب حاذق يشخص المرض ويعطي العلاج المناسب له ، وأكبر عدو للإنسان هو الشيطان قال تعالى : (**إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير**) [1] . فهو يزين للمرء المعاصي والوقوع في ما حرم الله ، مباشرة أو بوسيلة كالطاعة مثلا إذ رب مخمصة شر من التخم حيث يزين لعنه الله للمرء علمه أو عبادته مما يجعله يظن نفسه حيثما لا يجب وربما أوهمه أنه وصل إلى درجة من القرب فيؤثر البسط على القبض حيثما لا يكون فيسقط في مهاوي البعد فيقعد في مفاوز الندم ولات ساعة ندم ، فهي معركة حامية الوطيس بين المؤمن وعدوه .

وفي المعارك والحروب ينفذ الجندي الأوامر حالما يأمره قائده بدون تريث أو جدال فقد يداهم العدو أو تضيع فرصة مباغتته إذا ما دخل الاثنان في نزاع أو خلاف ، وكذلك الأمر في معركة الجندي فيها هو المريد الصادق والعدو هو الشيطان لعنه الله والقائد هو الشيخ المربي ، فتارة يأمر بالاستغفار وتارة بالصدقة وتارة بقطع عادة وتارة بخدمة

---

1) فاطر - 6 .

الفقراء والمساكين وما إليها من أسلحة يعرف القائد المحنك كيف يستعملها في وقتها ، فينتصر جند الخير على جند الشر ويكيد نور الحق لظلام الضلال .

وبالتزام المريد بنصح شيخه والامتثال لأمره يسري حال الشيخ وبركته إلى المريد فيكون سبباً في تعلقه بالله وإعراض قلبه عن الدنيا وشهواتها فينعم عليه سبحانه بنعم القرب الوهبية ، وانتقال الحال شئ يعرفه أهل القلوب والمعرفة ولا ينكره إلا محجوب معمى البصيرة ، وما هو حال يوسف انتقل إلى أبيه يعقوب عليهما السلام حتى بقميصه إذ إلقاه البشير على وجهه فارتد بصيرا .

ومن ينكر انتقال حال الصالح إلى أفسق الناس إذا جالسه أو تحدث إليه ، فمنه ما يكون بالحكمة والموعظة الحسنة ومنه ما يكون بأمور يعرفها أهل الأحوال وأرباب البصيرة .

قال الإمام علي عليه السلام : « **بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا فقلت يارسول الله إني شاب ولا علم لي بالقضاء ، فوضع يده على صدري وفي رواية فضرب بيده على صدري ، وقال : اللهم ثبت لسانه واهد قلبه فما شككت في قضاء بين اثنين حتى جلست مجلسي هذا** » [1] .

وفي الصحيح أن أبا هريرة قال : « **حضرت مع النبي صلى الله عليه وسلم مجلسا فقال : من يبسط رداءه حتى أقضي مقالتي ثم يقبضه إليه فلن ينسى شيئا سمعه مني فبسطت بردة علي حتى قضى حديثه ثم قبضتها فوالذي نفسي بيده ما نسيت شيئا سمعته بعد** » [2] .

نعم قد حوى الكتاب والسنة الأدوية النافعة التي من شأنها إصلاح القلوب وشفاء الصدور ولكن تبقى الحاجة دائما إلى الطبيب الذي يضع الدواء المناسب على العله بعينها ، فيصف لكل داء دواءه ولكل مرض علاجه ، وهو المرشد العارف الذي يزداد المرء بصحبته إيمانا وكمالا وبملازمته هدى ونورا قال أبي بن كعب رضي الله عنه :كنت في

1) رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط البخاري وأقره الذهبي ورواه ابن جرير وابن سعد في الطبقات .

2) رواه البخاري ومسلم والنسائي وأحمد وأبو نعيم والترمذي وأبو يعلى وابن عساكر .

المسجد فدخل رجل فصلى فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل رجل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه فدخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ ، فحسن النبى صلى الله عليه وسلم شأنهما فسقط فى نفسى من التكذيب ولا إذ كنت فى الجاهلية ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشينى ضرب فى صدرى ففضت عرقا وكأنى أنظر إلى الله عز وجل فرقا (1)

انظر إلى ما تضمنه هذا الحديث بعين البصيره وغص فى معانيه بشفافية الروح ودقة الفهم علك تدرك جزءا من معانيه واعلم أن للصحبه أثرا عظيما يشمل حتى الحيوان الأعجم وكفاك بكلب أهل الكهف مثلا ، وانتقال الحال لا يخفى على أولى الأبصار أما رأيت الفرس يرتبك بارتباك الفارس ويخاف بخوفه أما نظرت إلى الطفل يقلق بقلق أمه ويسعد بسعادتها ، وتمعن ترى وتفهّم تغنم .

هذا ولا ينكر القوم وجود هؤلاء العارفين بل يقرون بوجودهم ويحددون حتى أماكن وجودهم وتواجدهم واسمع صاحب الجواهر يقول : وأما الشيخ الذى هذه صفته وكيف يتصل به ؟ وبماذا يعرف ؟ فالجواب أن الشيوخ المتصفين بهذا الأمر كثيرون وأغلبهم فى المدن الكبار فإنها مقرهم وأما معرفتهم والاتصال بهم فإنه عسير أعز وجودا من الكبريت الأحمر لأنهم اختلطوا بصور العامة وأحوالهم ، وذلك لعلة اقتضت منهم ذلك ، وهى أن العامة لفساد نظام الوجود لا يريدون أن يتعلقوا بهم إلا من أجل ما يريدون من أغراضهم الدنيوية ، وشهواتهم المادية فلذا اختلط العارفون عليهم بوجوه من التخليط استتارا عنهم بإظهار أمور من الزنا والكذب الفاحش والخمر وقتل النفس وغير ذلك من النواهى التي تحكم على صاحبها أنه فى سخط الله وغضبه والأمور التى يقتحمها العارفون فى هذا الميدان إنما يظهرون صورا من الغيب لا وجود لها فى الخارج ، إنما هى تصورات خيالية يراها غيرهم حقيقة ، وما فعلوا ذلك إلا استتارا لهم عن العامة حفظا لمقاماتهم وتحريرا لآدابهم .

والآن أسألك أيها القارى البصير هل حقا يوجد هؤلاء العارفون بالصفات التى

1) رواه مسلم .

تقدمت نقلا عنه ؟ لماذا يقرون بوجودهم ويقرونه ثم ينفون لقيامهم والحصول عليهم ؟ هل مثل هذا الكذب والباطل يقره الإسلام ، أو يرضى به مسلم عاقل ؟ هل هناك فتنة أعظم وأعم من أن يرتكب أعظم الفواحش ويغشى أعظم الآثام من يكون وليا لله تعالى عارفا به ، يفعل ذلك كله من أجل ألا يعرف أنه ولي الله عارفا به حتى لا يتعلق به ويتطلب صحبته إن نظام الوجود ، قد فسد وما فسد وإنما هم الذين فسدوا وأن العوام لا يطلبون صحبة العالم العارف إلا للحصول على الدنيا .

سوء الفهم يوقع في هوة سحيقة

رويدا رويدا فإن في العجلة الندامة

فأولا : قد أوضحنا سابقا إن كتاب جواهر المعاني ليس من تأليف الشيخ التجاني رضي الله عنه كما يحاول المصنف جاهداً الإيهام به ، وقد نسبت في هذا الكتاب أقوال كثيرة للشيخ التجاني الله وحده يعلم الصحيح منها من الموضوع ، ولا يقتصر الأمر على هذا الكتاب وحده فإننا نجد أحيانا في مثل هذه الكتب التي كتبها المادحون أو القادحون ما لا يعقل فضلا عن أن يقال ولكننا نختلف عن المصنف في فهم ما نقرأ اختلافا كبيرا فحين يبحث هو عن ما يمس منزلة هؤلاء السادة الكمل ليقيم به حجته الواهية ، نقيم نحن هذه الأقوال على ضوء ما عرفنا من سيرتهمالمرضية ومآثرهم الزكية وبتتبع الرواه عنهم ومعرفة حالهم وضبطهم وعدالتهم وما إلى ذلك من طرق التثبت والتأكد

ثانيا : من الجلي الواضح وضوح النار على المنار على ضوء ما عرفنا عن الصالحين أنه لا يصدر عنهم إلا كل ما هو في مستوى معرفتهم وفضلهم وصدق سيرهم على منهج سيد العارفين صلى الله عليه وسلم ، ثم إن هذه الفقرات التي أوردها المصنف إن صدرت عن الشيخ التيجاني أو غيره من أمور الكشف وسنتحدث عن الكشف في حينه إن شاء الله وليس فيها ما يخرج عن دائرة الممكن إن هي إلا وصف لأحوال بعض الصالحين وأماكن تواجدهم وسبب عدم اختلاطهم بكل من درج ودب مثلهم في ذلك كمثل كل ما هو قيم ونادر إذا نظر إليه من لا يعرف قدره أنزله في غير محله فالاختلاف في الفهم والحكم هو الفارق .

وأما إن كان الاعتراض على إقدار الله تعالى لهؤلاء على إظهار صور من الغيب فإن

هذا من الكرامات التي يكرم بها الله تعالى من يشاء من عباده ، يقول ابن تيميه رضي الله عنه : (وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم) [1] ، والتخييل الذي هو إظهار ما لا وجود له أو إخفاء ماله وجود من الكرامات المشهورة المجمع على إمكان حدوثها ومنه ما نقله الشيخ ابن تيمية عن الحسن البصري رضي الله عنه (إذ تغيب عن الحجاج بن يوسف فأرسل إليه من يأتي به فدخلوا عليه ست مرات ولم يروه) [2] ، وهو لم يخرج من داره ولكن خيل لمن دخل عليه الدار أنه غير موجود ثم يعلمون أنه لم يخرج فيعاودون البحث عنه من جديد حتى بلغوا ست مرات كل ذلك لم يجدوه وهو لم يخرج .

وأما عن استنتاجات وتعليقات المصنف على الفقرات السابقة وشتائمه وسبابه فقد اعتدنا عليها وعلى أكثر منها وليس عندنا سوى الدعاء بالهداية والمغفرة ونختم حديثنا بنصيحة عمرية عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعلمنا فيها أن كلام أهل الكشف من أمثال الشيخ التيجاني لا يكون إلا حقا فيقول : (اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا منهم ما يقولون فإنه يتجلي لهم أمور صادقة) .

ويعلق الشيخ ابن تيمية رحمه الله على هذا الحديث بقوله : وهذه الأمور الصادقة التي أخبر بها عمر بن الخطاب رضي الله عنها تتجلى للمطيعين هي الأمور التي يكشفها الله عز وجل لهم فقد ثبت أن لأولياء الله مخاطبات ومكاشفات [3] .

آه ثم آه لقد عجزت عن ادراك هذه التخبطات وما يراد منها وإني لفي حيرة من معرفة السبب الحامل لرجال من أهل العلم ينصبون أنفسهم لهذا الظلام ليلقوا بالأبرياء والمساكين من عامة الأمة المسلمة في مثل هذا الباطل ولينشروا الفساد .

وأخيرا نطق المصنف بالحق والصواب وأعلن عجزه عن فهم ما يتحدث عنه ولله در القائل :

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

ولو أنه اطلع الإطلاع الكافي لفهم الفهم الصحيح ، وياليته بدلا من تأليف الكتب

1) الفرقان – الشيخ احمد بن تيمية – ص 139 .
2) المصدر السابق – ص 146.
3) النصيحه المذكورة والتعليق عليها جاءت في كتاب الفرقان لابن تيمية ص 58 .

وتصنيفها فى الطعن فى صالح المؤمنين والافتراء عليهم أهتم بأمر يعود على المسلمين بالخير كنشر أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كتب الفقه وما إليها من أمور الفلاح والرشاد ، ولكنه ظن نفسه قد حاز علم السابقين واللاحقين فطفق يتحدث عن ما يعجز عن إدراكه ويدعي ما لم يكن ويصول ويجول بلا حول ولا طول فأنطقه الله أخيرا بالحق من حيث لا يشعر .

وزيادة فى الحيرة والتخبط يتساءل عن السبب الحامل لرجال من أهل العلم فى الدعوة إلى التصوف كأنه لا علم إلا الذى يعلمه ، ثم وكيف يكونون علماء وهم يدعون إلى الظلام وينشرون الفساد على رأيه فإما أن يكونوا علماء ويدعون إلى الحق وهو شأن أهل التصوف وإما أن يكونوا ممن علم ليباهى العلماء ويمارى السفهاء ويستميل وجوه الناس أو ليأخذ به من السلطان شأن غيرهم ممن لا يسمى عالما إلا مجازا .

الأصل الثالث
العهد أو البيعة والمصافحة والتلقين . . . إن من أصول المتصوفه على اختلافهم وتباين أورادهم وأهدافهم أن يعاهد المريد شيخ الطريقة أو خليفته أو نائبه عنها على الالتزام بالورد والطاعة وملازمة الطريقة وعدم استبدالها بطريقة أخرى حتى الموت .

البيعة أو العهد

اللهم علمنا ما جهلنا وذكرنا ما نسينا .

نعم نص القوم على العهد وهم بذلك يحيون سنة النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده وإن كان البعض قد تركها فى وقتنا هذا أو جهلها فهذا لا يسقط مشروعيتها .

والبيعة أو العهد لغة هو التزام شئ ليؤتى به تقول تعاهد بنو فلان علي كذا وكذا ، وشرعا التزام قربة دينية كالتزام الأنصار رضوان الله عليهم أنهم يحمون النبى صلى الله عليه وسلم مما يحمون منه نساءهم وأولادهم ، والأصل فيه قوله تعالى :

(إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث

فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما } [1] .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يبايع أصحابه فرادى وجماعات ذكورا وإناثا كبارا وصغاراً ، فمما جاء عن بيعة الجماعة ما رواه عوف بن مالك رضي الله عنه قال : **« كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال : ألا تبايعون رسول الله ؟ وكنا حديث عهد ببيعة فقلنا قد بايعناك يارسول اله ثم قال : ألا تبايعون رسول الله ؟ فبسطنا أيدينا وقلنا قد بايعناك يارسول الله فعلام نبايعك ؟ قال : أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والصلوات الخمس وتطيعوا ، وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا ، فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله إياه »** [2] .

دل الحديث على أن من بايع كان مسلما أصلا وأن هذه البيعة ليست هي الأولى وعلى أهمية البيعة في الشرع الكريم ودل أيضا على التزام الصحابة رضوان الله عليهم بالعهد حتى أنهم لا يسألون مناولة السوط على تفاهته .

وأما بيعة الأفراد فهي تخرج عن الحصر فقد كان من يقطن من الصحابة بعيدا عن المدنية المنورة يأتونه صلى الله عليه وسلم ويسلمون على يديه ويقضون معه أياما يتعلمون فيها ما يسر الله من أمور دينهم ثم يبايعون ويرجعون إلى أهليهم ، وكان أحد الصحابة واسمه بشير بن الخصاصية جبانا وخاف إن حضر القتال أن يخشع بنفسه فيفر فيبوء بغضب من الله فامتنع عن مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم رجاء أن يعفيه من الجهاد والصدقة فقال له صلى الله عليه وسلم : **« يا بشير لا صدقة ولا جهاد فبم إذا تدخل الجنة ؟ فقال بشير رضي الله عنه قلت يارسول الله ابسط يدك أبايعك فبسط يده فبايعته عليهن »** [3] .

---

1) الفتح – 10

2) رواه مسلم .

3) رواه الإمام أحمد وقال الهيثمي رجاله موثوقون – انظر مجمع الزوائد ج 1 ص 42 .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « **كنا إذا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة يقول لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما استطعتم** » [1] .

واستمر الصحابة رضوان الله عليهم علي هذا المنهج في مبايعة المسلمين فعن أنس رضي الله عنه قال : (قدمت المدينة وقد مات أبو بكر رضي الله عنه واستخلف عمر رضي الله عنه فقلت لعمر : ارفع يدك أبايعك على ما بايعت عليه صاحبك قبلك على السمع والطاعة فيما استطعت) [2] .

ترى ألم يكن ابن عمر أو أنس أو غيرهم ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده من المسلمين الملتزمين بتعاليم دينهم والقيام بشريعته ، أم أنهم كانوا يرون في البيعة سنة من سنن الإسلام وركن هام من أركان الدين .

ومن بيعة النساء ما جاء عن عزة بنت خايل رضي الله عنها : « **إذ أتت النبي صلى الله عليه وسلم فبايعها أن لا تزنين ولا تسرقين ولا تئدين فتبدين أو تخفين فقالت : أما الوأد المبدي فقد عرفته وأما الوأد الخفي فلم أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يخبرني ، وقد وقع في نفسي أنه إفساد الولد فوالله لا أفسد لي ولدا أبدا** » [3] . والأدلة في هذا الباب كثيرة .

وتسن البيعة حتى للأطفال « **فعن عبد الله بن الزبير وعبد الله ابن جعفر رضي الله عنهم أنهما بايعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما ابنا سبع سنين ، فلما رآهما رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسم وبسط يده فبايعهما** » [4] .

والأدلة في الموضوع بكثرة في مظانها ونكتفي بأن نقول إن العهد أو البيعة هي من

---

1) رواه البخاري ومسلم .

2) حياة الصحابة – ج 1 ص 237 .

3) رواه الطبراني .

4) مجمع الزوائد – الهيثمي – ج 9 ص 285 .

السنن الإسلامية التي سار عليها السلف الصالح والصوفية من بعدهم ولا زالوا ، ومنكر هذه السنة هو منكر لأصل هام من أصول الدين ، بل ومنكر على فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام . قال تعالى : (**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**) [1] .

وأما ما جاء عن المصنف أن العهد يكون على الالتزام بالورد . . . الخ فهذا أيضا راجع إلى القطع الذي يتسنى له بدون تثبت وإلا فلا عهد عند السادة الصوفية إلا على العمل بالكتاب والسنة ، ولعلم المصنف وكل من لا يعلم يكون بلفظ : « السنة تجمعنا والبدعة تفرقنا » ويعني هذا أن العهد مستمر بين الشيخ والمريد ما داما على السنة وينقطع إذا تركاها للبدعة وعادة يلحق بلفظ « ما استطعت » ونحن بالطبع نتحدث عما نعرف عن البيعة وما هو موجود كواقع معاش عند السادة الصوفية في منهجهم العملي أو كتبهم المتحدثة عن فنهم واختصاصهم وهي موجودة وباستطاعة من أراد التوسع الرجوع إليها .

أما تعريفات المصنف التي دأب على الانفراد بها فإنها ناتجة عن غزير اطلاعه وشديد تثبته وكان الأجدر به أن يأخذ بالأسلوب العلمي الصحيح وهو ذكر التعريف الصحيح ثم مناقشة ما فيه من خطأ وصواب ، أما أن يضع تعريفا من بنات أفكاره ويصدر الحكم من خلاله فهذا ما لم يشم رائحة العلم أو المعرفة .

قال الشيخ عبد القادر عيسي متحدثا عن العهد : ينبغي لمريد الكمال أن يلتحق بمرشد يتعهده بالتوجيه ويرشده إلى الطريق الحق ويضيء له ما أظلم من جوانب نفسه حتي يعبد الله على بصيره وهدي ويقين يبايع المرشد ويعاهده على السير معه في طريق التخلي عن العيوب والتحلي بالصفات الحسنة والتحقق بركن الإحسان والترقي في مقاماته وأخذ العهد ثابت في القرآن والسنة وسيرة الصحابة [2] .

وذلك بأن يضع يده في يد الشيخ ويشبك أصابعه في أصابع الشيخ ويغمض عينيه ويقول له الشيخ : عاهدني على التزام الورد بشروطه ويلقنه الورد ومن هذه العملية التقليدية وضعوا كلمات العهدة والبيعة والتشبيك والتلقين . ويستدلون على

1) النور – 63 .

2) حقائق عن التصوف – الشيخ عبد القادر عيسى – ص 82 .

هذه العملية المصطنعة بما يتناقلونه حكاية عن علي رضى الله عنه إذ قالوا : أن عليا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله دلنى على أقرب الطرق إلى الله تعالى وأسهلها علي عبادة وأفضلها عند الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم : يا على عليك بمداومة ذكر الله تعالى في الخلوة فقال رضى الله عنه أهكذا أفضلية الذكر وكل الناس يذكرون ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا على لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله الله ، فقال علي كيف أذكر يارسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غمض عينيك واسمع منى ثلاث مرات ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا أسمع فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا إله الا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته وعلي يسمع ثم قال علي رضى الله عنه لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته والنبى صلى الله عليه وسلم يسمع

ذكر هذه الحكاية وهى لا شك كذب بحت علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى على بن أبى طالب رضى الله عنه وعلى سائر المؤمنين ذكرها صاحب الرماح بلفظ روى الشيخ يوسف الكورانى المشهور بالعجمى فى رسالة أن عليا رضي الله عنه . . . الخ

وعلى أساس هذه الفرية وضع القوم هذا الأصل من أصول الطريقة وهو العهد والبيعة والمصافحة والتشبيك والتلقين . فانظر أخى القارئ وقانى الله وإياك شر الكذب والابتداع كيف وضع الطرقيون أصولا بنوا عليها طرائقهم وهى أوهى من بيت العنكبوت ومثل هذه الحكاية السخيفة ينزه العاقل لسانه عن ذكرها فضلا عن نسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى على بن أبى طالب رضي الله عنه ولكن القوم لا يتورعون عن ذكر أفظع الكذب وأفحشه .

جريمة التحدث في الدين بدون علم

لا ريب أن احاطة المصنف بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما رآينا وما سنرى تضعه في مصاف يفوق كبار الأئمة كالبخارى ومسلم والحاكم والترمذى والنووى والسيوطى ومحمد الصديق الغمارى فهؤلاء كانوا يثبتون الحديث ، لنقص مستوي علمهم عن المصنف ، عن طريق دراسة رجاله وتتبع رواته ومعرفة ما إذا كان ناسخا أو منسوخا

وما إلى ذلك من طرق التثبت ثم يصدرون حكمهم بصحة أو حسن الحديث أو بانطباق أحد أوجه الطعن عليه .

ولكن المصنف اخترع طريقة جديدة ومفيدة وهي إصدار الأحكام جزافا فلا يرى الصواب ولو كان بحراً زاخرا أو طودا شامخا ، فحكم أن حديث مبايعة سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه ليس له من مصدر إلا رسالة الشيخ العجمى ثم خلص إلى أن هذا الحديث هو حكاية سخيفة والعاقل مثله ينزه لسانه عن ذكرها بدون أى احترام لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وختم حديثه بأن القوم يذكرون أفظع الكذب وأفحشه ، ولو تريث قليلا أو على الأقل قال إنه لا يعرف لهذا الحديث تخريجا لوفر علي نفسه عناء التوغل فى هوة عميقة أو بئر سحيقة حتى كأن التشريع تحت يده فما علمه كان وما لم يعلمه لم يكن مما ينافي العقل والنقل والإنصاف والمروة .

والخلاصة : أن الحديث المذكور لم يروه العجمى إلا على سبيل الاستدلال فقط فى رسالته ، وإلا فهو موجود فى كتب الحديث المعروفة عند أهل العلم وروايته الصحيحة هي : « **أن عليا كرم الله وجهه سأل النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : يارسول الله دلنى عل أقرب الطرق إلى الله وأسهلها على عباده وأفضلها عنده تعالى . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : عليك بمداومة ذكر الله سرا وجهرا فقال على : كل الناس ذاكرون فخصنى بشئ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله ، ولو أن السموات والأرضين فى كفه ولا إله إلا الله فى كفة لرجحت بهم ولا تقوم القيامة وعلى وجه الأرض من يقول لا إله إلا الله ثم قال علي: فكيف أذكر ؟ قال النبى صلى الله عليه وسلم : غمض عينيك واسمع منى لا إله إلا الله ثلاث مرات ثم قلها وأنا أسمع ، ثم فعل ذلك برفع الصوت** » .

وروى هذا الحديث الطبراني ورواه أيضا البزار في مسنده وأخرجه الحافظ جلال الدين السيوطي بعدة أسانيد ، وأما الإسناد فهو حسن .

وباستطاعة المصنف أن يرجع إلى هذه المصادر عله يحسن التحدث بأدب واحترام

عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتوب إلى الله تعالى من وصفه بالسخافة وليحمد ربه أننا لا نرى رأى الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى القول على الله بدون علم فإنه عده من مسائل الجاهلية فقال رحمه الله : المسألة الحادية عشر بعد المائة – من مسائل الجاهلية – قاعدة الضلال وهى القول على الله بغير علم [1] . فانظر إلى تسمية قاعدة الضلال ما أصدقها من تسمية .

وقد يستدلون على أصل البيعة وأخذ البيعة ببيعة الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه وأخذه العهد علي بعضهم في الجهاد والنصح لكل مسلم ولكن شتان ما بين ذا وذاك .

نعم يستدل السادة الصوفية على أصل البيعة بأخذ النبى صلى الله عليه وسلم العهد على بعض أصحابه كما قال المصنف ، وهذا هو المنهج الإسلامي وكل من خالفه نسأل الله لنا وله الهداية ، وإلا فما معنى اتباع السنة ؟ .

والسلفيون لا ينكرون أن يطلب المربى ممن يربيه أن يعاهده على فعل الطاعات وترك المنكرات والالتزام بآداب الطلب والطالب رجاء أن يواصل الطالب العمل بطاعة الله ورسوله فعلا وتركا حتى يكمل ويسعد ولكن ننكر أن يكون العهد أصلا وطريقة متبعة فى دين الله تعالى .

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا علي دينك

منذ قليل كان العهد كذبا بحتا وابتداعا وأصوله أوهى من بيت العنكبوت بل ومن أفظع الكذب وأفحشه وها هو فجأة ينقلب إلى فعل لا ينكره السلفيون رجاء أن يوصل الطالب إلى العمل بطاعة الله ورسوله حتي يكمل ويسعد .

حقا لقد عز العلاج وانقطع الرجاء وغاب الدواء .

إن بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم هى بيعة المسلمين لن يلون أمرهم من الخلفاء والأمراء والأئمة المسلمين هذه هى البيعة الشرعية لا المبايعة والمعاهده على طاعه الله ورسوله إن هذه فى عنق كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا

---

1) تسع رسائل – الشيخ محمد بن عبد الوهاب – الرسالة الأولى – مسائل الجاهلية – ص 9 .

رسول الله فبمجرد أن يشهد العبد بالوحدانية وللرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة فقد بايع والتزم .

عودة إلى التحدث في الدين بدون علم

لقد ذكرنا سابقا أن البيعة كانت لمسلمين أصلا لا كما يقول المصنف إن كل من نطق بالشهادتين فقد بايع والتزم ، وقد ذكرنا سابقا بعض الأحاديث في مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم لصحابته كحديث الإمام علي وعوف بن مالك وبشير بن الخصاصية وعبدالله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر وانس والسيدة عزة بنت خايل رضوان الله عليهم جميعا وكل هؤلاء مسلمون بل فيهم من لم يولد إلا مسلما كعبد الله بن الزبير [1] وعبد الله بن جعفر إذ الأول أول مولود من أبوين مسلمين مهاجرين والثاني ولد في الحبشة من أبوين مسلمين وابن عمر أسلم مع أبيه قبل أن يبلغ الحلم فالبيعة التي ذكرها رضي الله عنه كانت وهو مسلم قطعا ، وفيهم من لم يعرف الشرك كعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه لنشأته في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولإسلامه صبيا .

فدل كل ما سبق على أن البيعة كانت لمسلمين أقروا بالشهادتين لا كما قال المصنف بل إن هذا واضح من قوله تعالى : **(يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ألا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم)** [2] .

فالله يشهد للمبايعات لا بأنهن مسلمات فقط بل بأنهن مؤمنات ، ولو أننا أخذنا برأي المصنف – الذي لا تسل عن فساده – أن كل من نطق بالشهادتين فقد بايع والتزم للزم أن نخالف هذه الآية القرآنية الكريمة من كتاب الله تعالى ، والحكم الشرعي في المسأله معروف .

والنتيجة أن البيعة المقصودة بالحديث والتي دأب عليها الصوفية هي بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم لصحابته وهم مسلمون ، بل وفي الدرجة العليا من التحقق

---

1) قيل للمسلمين في المدينة إنكم قد سحرتم فلا يولد لكم فكان أول مولود هو عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ففرح المسلمون جميعا بمولده .

2) الممتحنة – 12 .

بالإسلام ، وتمسك الصوفية بها هو تمسك بسنة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم **(ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم)** [1] . ومن رأى غير هذا فهو على غير الصواب .

غير أن للمتصوفه الطرقيين غرضا هاما في وضع هذا الأصل من أصول الطريقة وهو الاستيلاء على أرواح المؤمنين والتأثير على نفوسهم ليبقوا سخرة لهم يتحكمون فيهم كما شاءوا ولا حول لهم ولا قوة معهم بل لا إرادة ولا اختيار .

حقيقة العهد أو المبايعة

وبناء على هذا المنطق معوج الرأس والجذر والساق فإن الرسول صلى ا له عليه وسلم قد بايع الصحابة ليسخرهم ويتحكم فيهم كيف شاء ، وليكونوا معه رضو ن الله عليهم بلا حول ولا قوة ، يأبى الله هذا ورسوله والمؤمنون .

إن العهد أو البيعة هي لله تعالى وقد حذر من نقضها أشد التحذير فقال : **(وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا)** [2] . فلا أرب لأي مخلوق فيها . إذ هي معاهده بين الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته وبين الشيخ والمريد على الانقياد التام لأمر الله فعلا وتركا .

وعن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفي فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلي الله ، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه فبايعناه على ذلك** » (3) .

فهذا الحديث الشريف وغيره مما قدمنا في أول البحث يدل بوضوح على أن العهد

---

1) النساء – 13 .

2) النحل – 91 .

3) رواه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي .

كان على الالتزام بأوامر الله ونواهيه ، وهذا بعينه هو العهد الذى يأخذه الشيخ على المريد .

وقد رأيت من يخرج من نصف ماله لشيخ الطريقة ورأيت من يحلف بالله كذبا ولا يحلف بالشيخ صادقا ورأيت من يخاف الشيخ ويرهبه أكثر مما يخاف الله تعالي ويرهبه وإنا لله وإنا إليه راجعون .

فضل الإنفاق فى سبيل الله تعالى

نعم يحدث أن يخرج المريد عن نصف ماله وأحيانا ماله كله لشيخ الطريقة فالإيمان ليس حديثا منمقا وانفعالات وهمية بل الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل ، وقلنا في ما سبق أن التطبيق الكلى لقواعد الإسلام هو المائز الذى امتاز به الصوفية عن غيرهم ، ومن المعلوم أن للمال مكانة خاصة فى النفس تجعله صعب الفراق والإنفاق ولكن هؤلاء وقد استوى عندهم التبر والتراب تراهم لا يقيمون له وزنا ولا يأخذون منه أكثر من الحاجة ، وعن أبى ذر رضي الله عنه قال : « **كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرة بالمدينة فاستقبلنا أحد فقال : يا أبا ذر قلت : لبيك يارسول الله قال : ما يسرنى أن عندى مثل أحد ذهبا تمضي على ثلاثة أيام وعندى منه دينار إلا شئ أرصده لدين الله إلا أن أقول به فى عباد الله هكذا وهكذا عن يمينه وشماله ومن خلفه** » [1] .

وقد خرج سيدنا أبو بكر الصديق عن ماله كله وترك لأهله الله ورسوله [2] وخرج سيدنا عمر بن الخطاب عن نصف ماله [3] .

نعم يحدث أن يخرج المريد عن جزء من ماله وأحيانا كله للشيخ لينفقه فى أوجه الخير وسبيل الفلاح من نفقة على أيتام أو قيام علي معوزين أو ايواء منقطعين ومواساة مكروبين ، وقد يستغرب من يعتقد أن المال هو مصدر الرزق لا الله سبحانه نو القوة المتين .

قال صلى الله عليه وسلم : « **ثلاثة أقسم عليهم وأحدثكم حديثا**

---

1) رواه البخارى .

2 - 3) رواه الترمذى وصححه « يلاحظ أنه حديث واحد » .

فاحفظوه ، ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزا ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر – أو كلمة نحوها » [1] .

وما درى المصنف أنه بانتقاده هذا قد شهد للصوفية بفضلهم الذي لا يجحده إلا مكابر ، ثم إن مثل هذه الأمور الروحانية السامية لا يقدرها إلا من كان في مستواها وأما من جعل المال مبلغ همه وعلمه فإنه لا يتصور أن يعطى منفق جل ماله أو كله في سبيل الله . قال تعالى : (**وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون**) [2] .

وأما ما قاله المصنف عمن يحلف بالله كاذبا ويرهب المخلوق أكثر مما يرهب الخالق ، فإن هذه الصفات تصدق على العوام عادة ولا تؤخذ قياس على كل المسلمين ومامنا إلا ورأى من يسرق أو يحتال ويغش ولا يخاف الله تعالى ويخاف رجل الشرطة ، ومن يكذب ويحلف الأيمان المغلظة لبيع سلعة فاسدة ولا يخشى الله ويخشى القضاء وما إلى هذا من المنكرات الناتجه عن الجهل وعمى البصيرة التي ليست بمقياس إلا عند من لا يعرف القياس ، فهؤلاء لا يمثلون الإسلام ولا المسلمين الصادقين وما أعظمها من كارثة لو أننا أخذنا من كل مجتمع أوجماعة أسوأ النماذج لنعمم الأحكام بعدها على الجميع مما يخالف كل ما خلق الله تعالى من بديهيات .

وخلاصة القول إن أخذ العهد وإن كان له أصل في الشرع وهو بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم وبيعة المسلمين للإمام فإنه بدعة محدثة وأحدثت لاستغلال العوام والبسطاء من المسلمين للتأثير على نفوسهم بغرض تسخيرهم والتحكم فيهم لصالح شيخ الطريقة وأتباعه المقربين منه هذه حقيقة البيعة عند الطرقيين والمتصوفه .

لا كلام لنا مع المصنف ، ولكن ربما يقع هذا الكتاب بين يدى من مارس العلوم الإسلامية فإن استطاع هذا أن يعرف كيف يكون الفعل له أصل في الشرع وبدعة محدثة في حكم واحد فليعلمنا . . . والسلام .

1) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .
2) البقرة – 272 .

وأما التلقين وتغميض العينين والتشبيك فهي بدعة أيضا الغرض منها ايجاد ناموس وطقوس خاصة يتم بها التأثير على نفسيه العوام لإيقاعهم في شبكة الصيد وهذه الطريقة لتسخيرهم والتسلط عليهم باسم الشيخ والعهد والطريقة .

بالسيل البدع الذي عم الأخضر واليابس .

التلقين

إن التلقين هو تعليم الشيخ للمريد كيفية الذكر نطقا وبدءا والأصل فيه تلقين الرسول صلى الله عليه وسلم لصحابته كحديث يعلي بن شداد بن أوس قال : حدثني أبي شداد ابن أوس وعبادة بن الصامت حاضر يصدقه قال : « **كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هل فيكم غريب ؟ فقلنا لا يارسول الله فأمر بغلق الباب فقال : ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله ، فرفعنا أيدينا وقلنا لا إله إلا الله ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : الحمد لله اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة وإنك لا تخلف الميعاد ثم قال صلى الله عليه وسلم : أبشروا فإن الله قد غفر لكم** »[1] .

والآن أيها المصنف . ترى ألم يكن أولئك الصحابة الكرام يعرفون معني كلمة لا إله إلا الله ، أم أنهم قدموا من الأرجنتين فلا يستطيعون النطق بهما فاحتاجوا لمن يعلمهم ، أم أنك ستعمد إلى طريقتك السابقة في تصحيح الأحاديث وتخريجها .

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال : « **لقنني رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الكلمات وأمرني إن نزل بي كرب أو شدة أن أقولها ، لا إله إلا الله الكريم العظيم سبحانه تبارك الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين** »[2] . وكان عبد الله يلقنها وينفث بها علي الموعوك ويعلمها

---

1) رواه الإمام أحمد بن حنبل في المسند وقال الهيثمي : رجاله موثوقون كما في مجمع الزوائد ج 1 ص 19 ورواه أيضا الطبراني والبزار والغريب يقصد به من أهل الكتاب .

2) رواه النسائي وابن السني والنووي في الأذكار ص 111 ، والمغتربه من النساء هي التي تزوج في غير أقاربها .

المغتربة من بناته والأحاديث في الباب كثيرة ولكن في ما قلنا الكفاية .

كما أن الورد الذى اشترطت له هذه الشروط من الشيخ المأذون له العارف بالله والعهد والتلقين وتغميض العين والتشبيك ما هو إلا بدعة فى شكله لم يرد عن الشارع كأكثر أوراد المتصوفه ، وما ورد لم يشترط له أي شروط وإنما يأتي به المؤمن عملا بهدى الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعا له فى أى وقت أمكنه ذلك

ترك المصنف موضوع البحث وهو العهد ودخل في الورد وحيث أنه قد أفرد له فصلا خاصاً فإننا سنؤجل الكلام عنه إلى حينه إن شاء الله تعالى .

ومما يدل على أن الأوراد ما هي إلا حبائل صيد صيد بها العوام نسبة الورد إلى الشيخ فيقال ورد فلان وورد فلان فتنسب الأوراد إلى المشائخ بقصد الحصول على الرئاسة والرفعة على العوام وبينهم إذ لو أرادوا وجه الله تعالى لعلموا المسلمين الأذكار والأدعية الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم .

سبحان الله أدى الأمر بالمصنف إلى المنازعة في الشئ الوفاقى

أولا : إن هذه المسميات كقولهم ورد عبد السلام الاسمر مثلا لم يقلها المشائخ إذ لا يصح أن يتحدث إنسان عن نفسه بضمير الغائب .

ثانيا : كما هو معروف أنه من عرفت وعلت مرتبته أصبح اسمه لا يحتاج إلى شرح مقامه فقول القائل ورد عبد السلام الأسمر يقصد به أن هذا هو مجموع الأذكار والمأثورات التي كان الشيخ عبد السلام الأسمر يرتبها لأتباعه ، ومن هنا صح أن يقال روى أبو بكر ، أو قال عمر ، فاختصرت الجملة لمعرفة كل أحد بمن هو عمر وأبو بكر فالمعنى أنه قال الصحابى فلان بن فلان كذا وكذا .

ومنه ما درج عليه العلماء من قولهم كان أبن ادهم وأخبر الشبلي وقال معروف وذهب الجنيد وحكي عن السقطي وقولهم إن الحديث الفلاني موجود في البخاري مثلا إذ المقصود أن الحديث قد رواه الحافظ ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الذى ولد ببخارى فغلب عليه لقب البخارى في صحيحه عن الثقات إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه أيضا قولنا إن فلانا مالكي المذهب أو شافعى أو زيدى وما إليها .

وعليه فعلى رأى المصنف أن كل هؤلاء الأعلام ممن أغنت أسماؤهم عن التعريف بمراتبهم ونسبت المذاهب إليهم يقصدون الحصول على الرئاسة والرفعة على العوام . فما أغربه من استدلال .

والخلاصة أن قول القائل ورد فلان هو اصطلاح معروف في اللغة والعرف والدين قال الحافظ العراقي في ألفية المصطلح :

وصححوا استغناء ذى الشهرة عن   تزكية كمالك نجم السنن

ومحاولة التهويل والتشنيع لا تكون بمخالفة الحقائق بل بالأدلة الصحيحة الثابته وإلا فهي صيحة في واد ورمية في طيف خيال .

ولم يأخذوا عليهم عهدا فيها ولا ميثاقا إذ هي من نوافل العبادات فلا يصح أن ترفع إلى مستوى الفرائض والواجبات .

الالتزام بالعهد

العهد يكون على الامتثال لأمر الله تعالى فعلا وتركا فإذا عاهد المريد الشيخ على الالتزام بنوع خاص من الطاعة يصبح ملزما بالوفاء والالتزام به وقد مر بنا حديث عوف بن مالك رضي الله عنه ورأينا كيف كان بعض الصحابة الذين عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسألون الناس شيئا حتى أنه يسقط من أحدهم السوط فلا يسأل أحدا أن يناوله له ولا حرمة في مناولة السوط ولا كراهة ، علما بأن ظاهر الحديث يفهم منه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم منعهم عن طلب المال وما شابهه مما يطلب عادة من الغير لا مثل هذه الأمور البسيطة التى قد يطلبها المرء من ابنه أو صاحبه ولكن القوم لا يتأولون ولا يخصصون معرفة منهم بما يعنيه العهد . قال تعالى : (**وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا**) [1] .

وعليه فإن عاهد المريد الشيخ على عدم الكذب أو قراءة جزء من القرآن كل يوم مثلا يصبح هذا التعهد ملزما للمعاهد بالوفاء من حيث أنه عهد لا من حيث حكمه الشرعي بالوجوب أو الحرمة فهذا يرجع إلى الفعل في حد ذاته ، فالكذب رذيلة وهو محرم علي

1) الإسراء - 34 .

كل مسلم ومن كذب يستغفر الله تعالى ويتوب إليه في الحال ويصلح ما أحدث كذبه من ضرر ، ولكن شتان بين من يعاهد الله على ألا يكذب وبين من يعرف أن الكذب حرام ويوجب التوبة .

ولا أظن أن أحدا من المسلمين يجهل حرمة الخمر والميسر والسرقة والزنى وأكل الحرام وما إلى هذا مما هو معلوم بالضرورة ، ومع هذا فما أكثر ما يأتونها من المسلمين عامتهم وحتي خاصتهم نسأل الله لنا ولهم الهداية والمغفرة .

بل وياللأسف فإن بعض المسلمين بحجة التمدن والتطور ولغياب التربية الإسلامية القويمة والتنشئة الدينية المستقيمة يترك الصلاة والصوم ويرتكب أفحش الفواحش كتعاطي الخمر والمخدرات والزنا ومثيله ، وغابت النخوة الإيمانية عندهم والرجولة أو ماتت بمعنى أصح فتركوا بناتهم وزوجاتهم وأخواتهم للتهتك ولارتياد المسابح المغلقة والمفتوحة صحبة الرجال الأجانب عاريات من الأخلاق قبل اللباس أو شبه عاريات وتطور الأمر عندهم إلى انتقاد الأحكام الشرعية والاستهزاء والتندر بالله ورسوله وصحابته ، والكثير الكثير مما ابتلينا بمعاصرته . نسأل الله العفو والهداية إنه على ما يشاء قدير .

ويا ليت القوم اكتفوا بتلقين وتعليم ما ورد عن الشارع بل إنهم يحدثون أورادا من الأذكار والأدعية لا تخلو من ألفاظ الشرك ومقاصده وحسبك بورد « الياقوته » عند الطائفة التيجانية إذ هذا الورد عندهم من أفضل الأوراد وأقدسها حتي انهم يمنعون قراءته على غير المتطهر ويشترطون أن تكون الطهارة مائية بمعنى أن يكون التالي للورد متوضئا لا متيمما فانظر كيف اجاز الشارع قراءة كتاب الله بغير وضوء وهم لا يجيزون قراءة ورد الياقوته بدون وضوء ؟ أليس هذا تفضيلا لكلام المخلوق عن كلام الخالق ؟ ألم يكن تفضيل كلام المخلوق على كلام الخالق كفرا ، بلى إنه لكفر لو كانوا يعلمون .

سبحان الله كم يحاول المصنف جاهدا التشبث بتكفير المسلمين ورميهم بالشرك ، فألفاظ الأوراد لا تخلو من الشرك ويا ليته ذكر لنا مثلا من مصدر موثوق ، والطائفه التيجانية يفضلون الياقوته - بزعمه - على القرآن الكريم وهو كفر أي أنهم كفار لانهم يفعلون ذلك ، وعليه فلا موحدا مسلما إلا المصنف والباقي كفرة مشركون .

قال صلى الله عليه وسلم : « من دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه » [1] .

التيجانية وجوهرة الكمال

وقد قلنا سابقا إن المشكلة الكبيرة ولا نقول قاعدة الضلال كما أسماها غيرنا تكمن فى التعرض للمسائل العلمية بدون اطلاع كاف ممايوقع في مهاو مهلكة .

فأولا : إن كل من فضل كلام أي مخلوق وإن كان نبيا علي كلام الخالق سبحانه وتعالى هو كافر لا خلاف فى كفره إلا إن كان غير مكلف لصغر سن أو مرض عقلى أو عارض يحجب العقل .

ثانيا : الياقوته عند الطائفة التيجانية هي مجموعة صلوات على النبى صلى الله عليه وسلم مرتبة علي حروف الهجاء باستثناء حرف الألف إذ تبتدئ من حرف الباء ، ومؤلفها هو محمد بن العربى التازى الدمراوى وبها الكثير من الأخطاء اللغوية والكلمات العامية والعبارات الركيكية ، إذ أن مؤلفها علي ما هو مشهور عنه لم يكن من أهل العلم وإن كان قد وضعها مشكورا بدافع المحبة للنبى صلى الله عليه وسلم ، وهى ليست بالمنزلة التى ذكرها المصنف بل قلما تجد من يعرفها حتى من التيجانية أنفسهم .

وعندهم صلاة الفاتح وهي مشهورة بهذا الاسم وتسمي أيضا بالبكرية وأذكر أن بعضهم سماها بالياقوته ولكنه خلاف المشهور . والغالب أن المصنف يقصد الصلاة المسماة بجوهرة الكمال ، وهى من أهم أورادهم وسميت بهذا الاسم لأنها تبتدئ بـ اللهم صلِ وسلم على عين الرحمة الربانية والياقوته المتحققة بمركز الفهوم والمعانى . . . الخ

شرط الطهارة فى الذكر

ويجوز الذكر بالقلب واللسان للمحدث والجنب والحائض والنفساء وكذلك الدعاء وغير ذلك باستثناء القرآن الكريم إذ يجوز لهم إجراؤه على القلب من غير لفظ ويجوز لهم أن يقولوا عند المصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون وعند الدعاء ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أو بسم الله والحمد لله إلا إذا قصد به القرآن فإنهم

---

1) متفق عليه - « وحار بمعنى رجع » .

حينئذ يأثمون فلا تجوز قراءة القرآن الكريم إلا للمتطهر من الحدثين الأكبر والأصغر طهارة مائية أو ترابية في حالة وجود مانع .

وصلاة جوهرة الكمال من أنواع الذكر ويصدق عليها مايصدق على الذكر عموما فينبغي أن يكون الذكرعلى كل الأوقات وأكمل الصفات متطهرا من الحدثين بطهارة مائية ما لم يكن صاحب عذر طاهر الثوب والمكان نظيف الفم طيب الرائحة مستقبلا للقبلة متذللاً خاشعا مطرقا برأسه حاضر القلب متدبرا فيما يذكر عاقلا لمعناه ، وللذكر آداب قبله وأثناءه وبعده معروفة فى كتب التصوف .

نعم يجوز أن يذكر الذاكر علي غير هذه الصفات ولكن الأفضل أن يكون علي ما ذكرنا ، ولهذا يشدد السادة المشائخ رضوان الله عليهم علي المريدين فى الالتزام بالشروط السابقة وترك الرخص والتأويلات . أما من فقد القدرة على الإتيان بالكيفية المطلوبة لوجود مانع عن استقبال القبلة أو استعمال الماء مثلا فله أن يتحول إلى الدرجة الإدنى وهى التيمم واستقبال أي جهة بل إنه فى استطاعه الحائض والنفساء والجنب الذكر حتى بدون تيمم كما قدمنا .

وعليه فالمقصود باشتراط الطهارة المائية قبل ذكر صلاة جوهرة الكمال هو شرط كمال لا شرط صحة مع ملاحظة أن الوضوء عبادة مستقلة عن غيرها عند الصوفية ، أى أنه ليس شرطا فى الصلاة والطواف بالبيت الحرام ومس المصحف وكتابته وحمله فقط ، بل هو بالإضافة إلى ذلك هو عبادة منفردة مثله فى ذلك كمثل أنواع العبادات الأخرى .

والخلاصة كما قلنا أن هناك طريقتين للذكر والاثنان حكمهما الشرعى هو الجواز بدون كراهة على المشهور ولكن واحدة أكمل من الأخرى وطريق السادة الصوفية هو الأخذ بالأحوط والأكمل ومن هنا اشترطت الطهارة المائية على الذاكر كشرط كمال ، وهذا من ناحية فقهية بحته ، وإلا فقبول الأعمال ليس من شأن العباد بل من شأن رب العباد وقد يقبل الله تعالى ذكر الجنب والمحدث وهو مقيم فى بيته ولا يقبل ذكر الطاهر من الحدثين في المسجد أو الزاوية وواجب العباد هو التسليم الكامل لله تعالى وتقديم العمل على أحسن ما يستطاع والدعاء بقبوله والثبات على الإيمان وحسن الظن بالرحمن

وما فوق ذلك متروك لله إن شاء قبله وإن شاء رده . قال تعالى : **(لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون)** [1] .

وكورد الياقوته ورد الجزولي وهو ما يعرف بدلائل الخيرات فهذا الورد قدم له بأحاديث موضوعه ترغيبا للعامة فى قراءته حتى أصبح يناهض القرآن الكريم فتدخل المسجد في بعض البلاد فتجد قراء دلائل الخيرات أكثر من قراء القرآن الكريم وما أكثر الأوراد البدعية والشركيه عند القوم ، إذ هي بضاعتهم وسلم وصولهم إلى أغراضهم المادية وسنعرض لها ببعض البيان فى الأصل الرابع الآتى بعد .

دلائل الخيرات

أولا : لو أن المقام يسمح بالتوسع لذكرنا ترجمة للإمام الجزولي رضي الله عنه تعرف بقدره وفضله .

ثانيا : لقد كررنا حتى ذاب القلم وتكسرت سنه مرارا من الألم أن التكلم فى الأحاديث النبوية الشريفة لا يكون بإصادر الأحكام جزافا بل بتعقب الأحاديث فى مظانها سندا ومتنا ومعرفة صحيحها من موضوعها واحدا بعد واحد ، فلا يجوز أن يحكم المصنف ولا غيره على كتاب دلائل الخيرات بمثل هذه البساطة والسذاجة . ولعلم المصنف هناك العديد من العلماء الذين حققوا أحاديث كتاب دلائل الخيرات وكانوا من المختصين فى علم الحديث ورجاله بما تعنيه هذه الكلمة من توافر علم الدراية والرواية عندهم ، ولعلم المصنف أن أكثر الأحاديث المذكورة فى كتاب دلائل الخيرام مخرجة معروفة الأسانيد ما عدا الحديث السابع عشر وهو : « **ما من عبد صلى علي إلا خرجت الصلاة مسرعة من فيه . . .** » [2] .

وكل الأحاديث التى قدم بها لدلائل الخيرات هى سته وعشرون حديثا معظمها موجود فى كتب الصحاح وباستطاعة المصنف عرضها علي أهل الشأن والاختصاص إن أراد التأكد .

---

1) الانبياء – 23

2) هذا مبلغ علمنا فإن علم غيرى له سندا فإننى أتوب وأرجع إلى الله تعالى عما قلت .

وقد خرَّج العلامة محمد المهدى الفاسى فى كتابه (مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات) منها عشرين حديثا وقال الأحاديث الباقية فى هذا الفصل – وعددها سته فقط – كلها لا أعرفها ولم أجدها .

وخرج الشيخ حسن العدوى الحمزاوى المصرى فى كتابه (بلوغ المسرات على دلائل الخيرات) عشرين حديثا منها ، وكان آخر من خرج أحاديث كتاب دلائل الخيرات فيما نعلم هو الشيخ محمد بن أحمد الجليلى الملقب بأبى رأس من منطقة معسكر بالجزائر وولد فى1150هـ وتوفى بمعسكر فى 1239 هـ وهو مؤرخ ومن كبار علماء الحديث ورجاله وله ما يقارب من خمسين كتابا فى التاريخ والحديث وله تفسير للقرآن الكريم لم يطبع بعد وقد خرج الأحاديث فى كتاب اسمه (تخريج أحاديث دلائل الخيرات) .

نعم بعض الأحاديث ضعيف لا يرقى لمرتبة الصحيح ولكن يعمل به فى فضائل الأعمال وهو المشهور عند أهل العلم ، إذ الضعف لا يعنى الوضع ، ثم إن كل الأحاديث المذكورة لا تخرج عن تبيان فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا ثابت بالكتاب والسنة أصلا كما أنها ليست فى العقائد والأحكام أو فى أساسيات التشريع وهى التى يتشدد فى قبولها عادة ولم تأت بغير ما هو معلوم من الدين بالضرورة .

ثم إن دراسة الأحاديث فى المدارس والمساجد والزوايا فى ذلك الوقت بل وحتى وقت قريب كانت تقوم على العنعنة من المحدث إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فمنها ما يكون فى كتب الحديث المعروفة ومنها ما يكون من حفظ الشيخ المحدث ، ولا زلنا حتى اليوم نجد فى كتب العلم أحاديثا لا توجد فى الصحاح ناهيك عما يوجد فى الفهارس والإجازات ، ثم إن الإمام الجزولى قد طلب العلم لمدة طويلة فى مدرسة الصفارين بمدينة فاس ويعد من كبار العلماء فى عصره وله أقوال شتى فى العلوم والعديد من المؤلفات وإن كان أشهرها كتاب دلائل الخيرات ، وكان يحفظ فرعى ابن الحاجب ولا يصح ممن هذه صفته أن يكتب ما لم يتحقق من صحته .

ثم إنه كان له أعداء من بينهم سلطان مدينة أسفى الذى أخرجه إلى أفوغال ، بل

إنهم تمكنوا من قتله بالسم فمات وهو يصلي صلاة الصبح ساجدا [1] في 16 ربيع الأول 870 هـ ، 1465 م فهل كانوا لا ينكرون عليه لو وجدوا إلى ذلك سبيلا ، وأيضا فقد اجتمع بين يديه 12665 اثنا عشر الفا وستمائه وخمسة وستون من المريدين ألم يكن في هؤلاء من يمارس علوم الحديث خاصة وأنه كان فيهم عبد العزيز التباع الذي خرق العادة في غزارة العلم والمعرفة وأحمد بن عمر الحارثي ومحمد الصغير السهلي وعبد الكريم المنذاري .

ويكفي للدلالة على فضل هذا الكتاب ومؤلفه أنه منذ القرن التاسع الهجري وحتى اليوم بشهادة المصنف لا زالت الأمة تتلقاه بالقبول والمحبة فما بعد هذه الكرامة كرامة ، بل وحسب ما نعلم لا يخلو قطر إسلامي ممن يواظب على قراءة هذا الكتاب المبارك ، وقد ترجم إلى عدة لغات حرصا من المسلمين على التقرب إلي الله تعالى بالصلاة على نبيه .

قال الشيخ أحمد الكمشخانوي رحمه الله :

وإذا رايت النفس منك تحكمت	وغدت تقودك في لظى الشهوات
فاصرف هواها بالصلاة مواظبا	لاسيما بدلائل الخيرات

وقول المصنف إن قراءة كتاب دلائل الخيرات أصبحت تناهض قراءة القرآن الكريم يضاف إلى أستنتاجاته الغريبة ، فإننا أمرنا بقراءة القرآن الكريم ولكن لم يرد عن الشارع وجوب قراءته طوال الليل والنهار بل أقل ما يقراء فيه هو الثلاثة أيام وعلى هذا درج السلف الصالح فهناك متسع للمسلم ليكسب رزقه ويقضي حوائجه ويطلب العلم وما إليها من أمور الخير ، ثم إنه من المعلوم أن كتب الحديث والتفسير واللغة والسير وما إليها من العلوم يقرؤها المسلم بغرض القربى لله تعالى وامتثالا لأمر الشرع بطلب العلم وتعليمه وما سمعنا أن أحدا من المسلمين منع قراءتها لأنها تشغل عن القرآن الكريم ، وأعطف عليه قراءة كتاب دلائل الخيرات إذ جمع فيه الإمام الجزولي الصلوات التي وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم والسلف من صحابة وتابعين وتابع تابعين ، فلا يوجد به

1) انظر الكناش – الشيخ أحمد زروق – ص 26 .

من أوله إلى آخره إلا الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والدعاء وقراءته امتثالا لقوله تعالى : (**إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) (1) .

ويقرؤه المسلم بنية القربى لله تعالى كمثل ما يقرأ كل الكتب الإسلامية والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم من أعظم القربات ، قال صلى الله عليه وسلم : « **من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا** » (2) ، وهى من أعظم ما يتقرب به إلى حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث قال : « **أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة** » (3) ، وقال صلوات الله عليه : « **ما من عبد يصلى على إلا صلت عليه الملائكة ما صلى علي ، فليقل من ذلك أو ليكثر** » (4) .

ويا ليت أن المصنف بدلا من الاعتراض على قراءة دلائل الخيرات اعترض علي الكتب

1) الأحزاب – 56 .

2) رواه مسلم وجاء في دلائل الخيرات بلفظ « من صلي علي مرة واحدة صلى الله عليه عشر مرات » .

3) رواه الترمذى وقال حديث حسن وجاء في دلائل الخيرات بنفس اللفظ فقط بدون « يوم القيامة » .

4) رواه أحمد وابن ماجة وابن أبى شيبه وهو حسن فى المتابعات وجاء فى دلائل الخيرات بلفظ « من صلى على صلت عليه الملائكة ما دام يصلى على فليقلل عند ذلك أو ليكثر » وللحديث شواهد . وهذا بعض من الأحاديث التى وردت في كتاب دلائل الخيرات ويسميها المصنف سامحه الله بالموضوعات

بعض الطبعات القديمة لكتاب دلائل الخيرات :

القاهرة :

1256 - 1277- 1281 - 1287 - 1291 - 1294 - 1296 - 1304 - 1308 هـ –

استانبول : عدد 6 طبعات من 1264 إلى 1314 هـ

فاس : طبعة واحده قديمة بدون تاريخ .

الجزائر : طبعة واحدة سنة 1322 .

دهلى الهند : 1281 - 1302 - 1311 .

القاهرة أيضا مع شرح الفاسى :1289 - 1301 - 1309 - 1323 هـ .

ومع دخول المطابع وانتشارها فى العالم الإسلامي طبع الكتاب طبعات تخرج عن الحصر .

المفسدة للعقول والقيم والدين والأخلاق وهو لا يجهلها طبعا ولكن . . .

الأصل الرابع

الأوراد الصوفية وما فيها من حق وباطل . . الأوراد جمع ورد وهو في اللغة مكان الورود أو زمانه أو الماء المورود نفسه وفي عرف الشرع ما يأتيه المسلم من نوافل العبادات أو يتعاهده طوال حياته .

نعم هذا صحيح مع إضافة لغوية بسيطة ، فقد جاء في الرائد : أن الورد هو الجزء من القرآن يقرأه الإنسان كل ليلة ، وجاء في المصباح : أن الورد هو الوظيفة من قراءة ونحو ذلك ، وكذلك فإنه من ناحية شرعيه تسمي بعض الفرائض وردا لتوفر شرط التكرار فيها كالصلوات الخمس مثلا ، إذ الورد هو إقامة الطاعات في الأوقات .

وفي اصطلاح الصوفية وأصحاب الطرق هو أحد أصول الطريقة المهمة ذات الخطر والشأن في حياة المريد وهي عبارة عن أذكار وأدعيه يعطيها الشيخ العارف المأذون له أو نائبه عند تعذر لقياه والاتصال به لموته أو بعد داره يعطيها للمريد ليصفو عليها باطنه ويصل بها إلى مقام المكاشفة والمشاهدة والفناء في ذات الله تعالي حتى لا يبقى واصل ولا موصول كما قال قائلهم :

فلم يبق إلا اللـــــــه لا شيئ غيره ... فما ثم موصـــول ولا ثم واصـــل

أولا : لا نريد أن نأتي بكل الأدلة الدالة على مشروعية الأوراد في الشرع الكريم ونكتفي بما قاله المصنف في كتابه الذي بين أيدينا ص 49 :

إن الأوراد التعبدية مشروعة بالكتاب والسنة وأما الكتاب فقد قال تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا)** واما السنة فقد قال صلى الله عليه وسلم : « **مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت** » ..

وقال صلى الله عليه وسلم : « **سبق المفردون قالوا : وما المفردون يارسول الله ؟ قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات** » .

ثانيا : قلنا سابقا أن الأسلوب العلمي هو أن يذكر التعريف الصحيح ثم يبحث ما

فيه من خطأ أو صواب لا أن يخترع تعريف من الخيال ثم تؤخذ منه النتائج إذ يأبى هذا كل ذى عقل سليم .

ثالثا : إن السادة الصوفية عرفوا الورد عموما بانه عبارة عما يقع بكسب العبد من عبادة ظاهرة أو باطنة وعرفوه خصوصا بانه ما يأمر الشيخ تلميذه بذكره ، وإن شئت قلت هو الأعمال الصالحة التى تعمر بها الأوقات وتنكف بها الجوارح عن الوقوع فى المكروهات .

واستخراج الصفات الذميمة من النفس يكون بإدخال ضدها عليها فإن تعددت الصفات تعددت الأضداد ولهذا يؤمر المريد بالإكثار من الأوراد حتي تطرد من نفسه أضدادها ، ويحدد الشيخ أحمد زروق الأمر بتفصيل أكثر فيقول : طلب الشئ بوجه واحد مع الإلحاح أقرب لنواله وأدعى لدوام سببه المطلوب في نفسه لإفراد الحقيقة له ، فلزم التزام ورد لا تنتقل عنه حتي تحصل نتائجه ، وإلا فالمنتقل قبل الفتح كحافر بئر لا يدوم علي محل واحد وكالمقطر قطرة علي كل محل يريد تاثير المحل بالقطر أترى يظهر لعمله مع ذلك أثرا [1] .

ويأخذ المريد الورد من شيخ عارف بالله قد تحقق اتباعه للكتاب والسنة تمكن من المعرفة فيضبط نفس المريد بأصل يرجع إليه فى العلم والعمل ويمنعها من التشعب والتشعث .

قال الشيخ عبد القادر عيسى : وبما أن صيغ الأذكار كثيرة متنوعه ولكل صيغة تأثير قلبى خاص ومفعول نفسى معين فإن مرشدى السادة الصوفية – أطباء القلوب وورّاث الرسول الأعظم صلي الله عليه وسلم فى الدعوة والتوحيد والتربية – يأذنون لمريديهم بأذكار تتناسب مع أحوالهم وحاجاتهم وترقيهم فى السير إلي رضوان الله تعالي وذلك كما يعطي الطبيب الجسماني لمريض أنواعا من الأدوية والعلاجات تتلائم مع علله وأسقامه ثم يبدل الدواء حسب تقدمه نحو الشفاء .

ولهذا لابد للمريد السالك أن يكون علي صلة بالمرشد يستشيره ويذاكره ويعرض عليه

---

1) قواعد التصوف – الشيخ أحمد زروق – ص 55 قاعدة رقم 97 .

ما يجده في الذكر من فوائد روحية وأحوال قلبيه وحظوظ نفسيه وبذلك يترقى في السير ويتدرج في السمو الخلقي والمعارف الإلهية [1] .

نعم للورد دوره الفعال في صقل قلب المريد وجلوه حتى يصبح كالمرآة قابلا للتلقي والمعرفة . قال ابن قيم الجوزية رحمه الله : وصدأ القلوب بأمرين بالغفلة والذنب وجلاؤه بشيئين بالاستغفار والذكر فمن كانت الغفله أغلب أوقاته كان الصدأ متراكما على قلبه وصدؤه بحسب غفلته وإذا صدئ القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات كما هي [2] .

وكلام ابن القيم في غاية النفاسه لمن كان له في الفهم نصيب .

وأما الأدعية : فأكثرها ينظمونها في شكل أحزاب فيقال حزب الشاذلي وحزب الحداد وحزب كذا وكذا ولا تخلو بحال من كلمات الشرك والكفر والابتدا ع كالتوسل بالأموات والاستغاثة بهم ودعاء غير الله تعالى .

أحزاب السادة الصوفية

إن السعادة الحقة هي تقوى الله تعالى والعبادة بالإخلاص قال تعالى :

(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) [3] .

والدعاء هو ركن هام من أركان العبادة قال صلى الله عليه وسلم : **« الدعاء هو العبادة »** [4] .

والذكر من استغفار وتسبيح وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من أبواب النجاح والفلاح قال تعالى: **(واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)** [5] وهو مدعاة لذكر الله سبحانه للعبد ، قال صلى الله عليه وسلم : **« يقول تعالى أنا عند ظن عبدي بي**

---

1) حقائق عن التصوف – الشيخ عبد القادر عيسى – ص 179 .
2) الوابل الصيب – ابن القيم الجوزية – ص 52 .
3) الكهف – 115 .
4) رواه أبو داود ورواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .
5) النساء–23 .

وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم » [1] .

فلهذا حرص السادة الصوفية على ذكر الله تعالى آناء الليل وأطراف النهار ، وصاغوا ما فتح الله به عليهم من أدعية ومحامد وأذكار في شكل أدعية عرفت بالأحزاب .

قال الشيخ أحمد زروق : وبالجملة فأحزاب المشائخ صفة حالهم ونكتة مقالهم وميراث علومهم وأعمالهم ، وبذلك جروا في كل أمورهم لا بالهوى ، فلذلك قبل كلامهم ، وربما جاء بعد من أراد محاولة ذلك بنفسه لنفسه فعاد ما توجه له عليه بعكسه ، وما هو إلا كما يحكى عن النحلة أنها علمت الزنبور طريق النسج فنسج على منوالها ووضع بيتا علي مثالها ثم ادعى أن له من الفضيلة ما لها ، فقالت له هذا البيت وأين العسل ، وإنما السر في السكان لا في المنزل ، فأحوالهم مؤيدة بعلومهم مسددة بإلهاماتهم مصحوبة بكراماتهم[2] .

وقال العلامة الصاوي في حاشيته على الشرح الصغير : أوراد العارفين لا تخلو من كونها من الكتاب أو السنة أو الفتح الإلهي ولذلك تقدم علي غيرها .

وقد راعى السادة الصوفية في أحزابهم أن تكون سهلة الحفظ والفهم تشتمل على صحيح العقائد كحزب « سبحان الدائم » للجزولي ، إذ فيه ما يجب في حق الله تعالى والرسل وما يستحيل ويجوز حتى غلب عليه اسم حزب التوحيد ، ولسهولة حفظه انتشر حفاظه في كل بلاد المغرب العربي فكان سببا في نشر العقائد الإسلامية الصحيحة بين العامة ، ومنها ما اشتمل علي مناجاة الله تعالى برقة عبارة ولطيف إشارة من قلوب عرفت ففاضت بأعذب الألفاظ وأجملها كقول محمد بن عيسى رضي الله عنه في حزب الحصن والاستقامة :

(اللهم يا من لا يشغله سمع عن سمع يا من لا تغلطه المسائل يا من لا يبرمه إلحاح الملحين ، أذقنا برد عفوك وحلاوة معرفتك يا أرحم الراحمين اللهم إنك تعلم سرنا

---

1) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه .

2) شرح حزب البحر – أحمد زروق .

وعلانيتنا فاقبل معذرتنا وتعلم حاجتنا فأعطنا سؤلنا وتعلم ما في أنفسنا فاغفر لنا ذنوبنا) .

ومنها ما كان توبة وتذللا لله تعالى واستغفار كقول الشيخ محمد بن عيسى رضى الله عنه :

(اللهم إنا نستغفرك من كل ذنب تبنا إليك منه ثم عدنا فيه ونستغفرك مما وعدناك به من أنفسنا ثم لم نوف لك به ونستغفرك من كل عمل أردنا به وجهك فخالطه غيرك ونستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علينا فاستعنا بها علي معصيتك ونستغفرك يا علام الغيوب من كل ذنب أتيناه في ضياء النهار أو ظلام الليل في خلاء وملاء وسر وعلانية فاغفر لنا فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) .

وكل أحزاب هؤلاء الصالحين العارفين لا تخرج عن ذكرالله ومناجاته ، ولسهولتها ورقتها كانت نبراسا للقلوب الحائرة من أولئك البسطاء ممن لم يحفظ علما أو يمارس معرفة فتغلغلت بينهم تنشر في أفئدتهم النور الرباني وتعودهم مناجاة ربهم وتحضهم علي تعمير أوقاتهم بالطاعات فكانت حافزا لهم على طلب العلم لمعرفة كيفية العبادة وحفظ القرآن الكريم لإقامة الصلاة والأنس بكلامه سبحانه .

وألفاظ الشرك التى ذكرها المصنف لا وجود لها إلا في وهم من يرى أن التوسل أو الاستغاثة شرك ، نعم يوجد ببعض أحزاب هؤلاء العارفين أحيانا استغاثات برسول الله صلى الله عليه وسلم أو بالصالحين أو توسل لله تعالى بالأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وبكل ما يحب الله عموما وقد تكلمنا في الاستغاثة سابقا وبينا دليل جوازها في الشرع الكريم أما التوسل فإنه من الأمور المعتادة عند المسلمين الثابته بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما صار شركا وكفرا إلا بعد أن ارتفعت بعض الأصوات الشاذة المتعصبة لرأيها الرافضة لكل ما سواه .

التوسل

والتوسل لغة : من وسل يسل أى رغب وتقرب ، والتوسل شرعا هو التقرب إلى الله تعالى بما يحب ولقد اتفق العلماء جميعا بدون استثناء واحد علي جواز التوسل واختلفوا في ما يقبله لفظ التوسل أو يتحمله فمن هنا صار من السذاجة تسمية نوع منه

بالشرك ونوع بالإيمان إذ أنه توسل علي كل حال ، وغاية ما يمكن أن يقال فيه أنه مسألة خلافية والدليل علي جوازه أقوى من الدليل على عدم جوازه والعلم قيد الدليل .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون) [1] .

وروى البخارى عن ابن عمر أنه كان يتمثل بشعر أبى طالب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

قال ابن عمر ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلي وجه النبى صلى الله عليه وسلم يستسقى فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب [2] ، فهذا الحديث يدل على أن الصحابة كانوا يتوسلون بالنبى صلى الله عليه وسلم إذا أجدبوا ، وقد استمروا علي هذا حتى بعد وفاته صلي الله عليه وسلم إذ دأبوا على التوسل بمن يرون فيه الشرف والصلاح والقرب من الله تعالى .

فعن أنس : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال :

اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فيسقون [3] . دل هذا الحديث على أن الصحابة كانوا يتوسلون بالنبى صلى الله عليه وسلم لاعتقادهم – وهو الحق – أنه أقرب مخلوق لله تعالى فلما توفي توسلوا بعمه العباس لقرابته من النبى صلى الله عليه وسلم وإلا ففى الصحابة من هو أقدم إسلاما منه .

وبالإضافة إلى هذا فقد توسلوا بالنبى صلى الله عليه وسلم بعد موته : فقد أصاب الناس قحط فى زمن عمر بن الخطاب فجاء رجل [4] إلى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا ، فأتى الرجل فى المنام فقال له :

---

1) المائدة – 35 .

2) رواه البخارى وأحمد وابن ماجه .

3) رواه البخارى .

4) عن البيهقى وابن أبى شيبه أن الرجل هو الصحابى بلال بن الحرث .

أنت عمر فقل له إنكم مستسقون فعليك الكفين ، فبكى عمر وقال يارب ماآلوا إلا ما عجزت عنه) [1] .

بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعلم صحابته التوسل ، ففي الحديث الصحيح عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه : « أن رجلا كان يختلف إلي عثمان بن عفان في حاجة فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته فلقي عثمان بن حنيف فشكا ذلك إليه فقال له عثمان : ائت الميضأة ثم أئت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة يامحمد إني اتوجه بك إلي ربي فيقضي لي حاجتي وتذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ما قاله له ، ثم أتي عثمان فجاء البواب حتي أخذ بيده فأدخله علي عثمان بن عفان فأجلسه على الطنفسة وقال : ما حاجتك ؟ فذكر حاجته فقضاها له ثم قال له : ما ذكرت حاجتك حتي كانت الساعة وقال : ما كان لك من حاجة فائتنا .

ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال له : جزاك الله خيرا ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتي كلمته في . فقال عثمان بن حنيف والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه رجل ضرير فشكا إليه ذهاب بصره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أتصبر ؟ فقال يا رسول الله إنه ليس لي قائد وقد شق علي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أئت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ا...عو بهذه الكلمات :

« اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلي ربي في حاجتي هذه فتقضي اللهم شفعه في ، فقال عثمان بن حنيف : فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل عليه الرجل كأنه لم يكن به ضرٌّ قط » [2] .

---

1) فتح الباري لابن حجر ، والإصابة ج 3 ص 4 ، ودلائل النبوة للبيهقي ، وقد التزم البيهقي ألا يذكر في هذا الكتاب حديثا واحدا موضوعا . وفي رواية وقل له : الكيس الكيس .. الحديث .

2) رواه الطبراني وقال صحيح والحاكم وقال صحيح الإسناد وابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح

والحديث صحيح وانحرف به ابن تيمية عن معناه الواضح إلى التخصيص [1] مخالفا بذلك أمر الصحابي عثمان أبن حنيف للرجل بالعمل به .

ثم أتى المصنف وهو الواعظ والمدرس بالجامعة الإسلامية والذي حدثنا في كتابه الذي بين أيدينا عن التدليس وخطورته فذكر هذا الحديث في كتابه عقيدة المؤمن بعد أن حذف نصفه وابتدأ فيه بقوله « إن رجلا ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ادع الله أن يعافيني . . الخ » وحذف كل ما قبله ليخلص إلى أن التوسل كان بحياة النبي صلى الله عليه وسلم مما هو غير متيسر بعد وفاته [2] .

وكأن الصحابي عثمان بن حنيف عل خطأ في أمره للرجل بالتوسل به صلى الله عليه وسلم بعد موته وسيادته على صواب ، فياللمقدرة والجرأة على أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته .

ونحن اذ نحاشي المصنف عن قول غير الحق على الله ورسوله . نسأل الله أن يلهمه الصواب والسداد ويبعده عن التشبث بآراء الغير وإن كانت فاسدة ويهديه لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم بفضله وكرمه فإنه لا يخيب السائلين .

ونرجع إلى موضوع البحث فنقول : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من **خرج من بيته إلى الصلاة فقال اللهم إني أسالك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا إليك . . . إلى آخر الحديث** » [3] ، **وقال : « اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي »** [4] .

فتراه صلى الله عليه وسلم سن لنا التوسل بحق الأنبياء وإن كانوا في دار الآخرة .

---

1) أنظر كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة – الشيخ أحمد بن تيمة – ص 127 .

2) انظر كتاب عقيدة المؤمن – للمصنف – ص 115 -116 .

3) رواه أحمد وابن ماجه وابن السني وهو حديث ضعيف إذ في سنده الوازع عن نافع وهو منكر الحديث وله طريق آخر بها عطية العوفي وهو أيضا ضعيف فالحديث ضعيف عموما ما لم يكن له طريق آخر ولا أظنه والله ورسوله أعلم ، ولكنه يتقوى بالذي بعده ، وإن كان قد حسنه الحافظ العراقي والمنذري .

4) رواه الطبراني وصححه ابن حبان ورواه الحاكم وأبو نعيم وابن أبي شيبة وابن عبد البر والسيوطي في الجامع الكبير .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لما اقترف آدم الخطيئة قال : يارب أسألك بحق محمد إلا غفرت لى فقال الله تعالى : ياآدم كيف عرفت محمد ولم أخلقه قال : يارب إنك لما خلقتنى رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك ، فقال الله تعالى : صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلى ، وإذا سألتنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك » [1] .

وروى البخارى ومسلم حديث الثلاثة الذين أووا إلى الغار فسال السيل وألقى عليه صخرة سدت فمه فصاروا لا يستطيعون الخروج فقالوا : يا هؤلاء إنه لا ينجيكم مما أنتم فيه إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح ما عملتم ، ففعلوا فاستجاب الله تعالى لهم وفرج عنهم .

وعن الإمام على قال : قدم علينا أعرابى بعد ما دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحثا على رأسه من ترابه ثم قال : قلت يارسول الله فسمعنا قولك ووعيت عن الله عز وجل فوعينا عنك وكان فيما أنزل إليك **(ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما)** وقد ظلمت نفسى وجئتك تستغفر لى فنودى من القبر : قد غفر لك [2] .

وكان الإمام الشافعى رضى الله عنه ببغداد يتوسل بالإمام أبى حنيفة رضى الله عنه فيجئ إلى ضريحه فيسلم عليه ثم يتوسل إلى الله تعالى به فى قضاء حاجاته [3] .

ولنرجع إلى رأس الموضوع ، إذ احسب أننى خرجت عن الاختصار الذى أحاول جاهدا الالتزام به فأقول :

---

1) البيهقى في الدلائل والطبرانى والحاكم فى المستدرك .

2) ذكره القرطبى فى تفسيره والقاضى عياض فى الشفاء وهبة الله فى توثيق عرى الإيمان والحافظ بن حجر .

3) كتاب الخيرات الحسان في مناقب أبى حنيفة النعمان – العلامة ابن حجر .

نعم في أحزاب السادة الصوفية توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم والصالحين عموما وبالحق وبالعدل الصالح عملا بقوله تعالى : (**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه**) (1) .

وهذا كما رأينا هو ما درج عليه الصحابة والمسلمون كافة وإلى اليوم فما أجدر المصنف وأمثاله بالتروي واختيار الكلمات والألفاظ بعناية فإن اتهام المسلمين بالشرك والكفر لأتفه الأسباب حوب كبير .

> *وأما الأذكار فمنها ما حق مشروع كالهيللة أي لا إله إلا الله ويسمونه ذكر العامة ، ومنه ما هو غير مشروع كالذكر باللفظ المفرد نحو الله الله أو حي حي ويسمونه ذكر الخاصة .*

الأذكار

نعم يذكر السادة الصوفية بهذه الأذكار من هيللة وهي كلمة التوحيد وغيرها مما أتى على لسان الشارع الأمر بترديدها ، فأما الهيللة فقد قال صلى الله عليه وسلم : « **أفضل الذكر لا إله إلا الله** » (2) .

وأما الذكر بالاسم المفرد مثل قول الله الله ، فقال الله تعالى : (**واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا**) (3) ، واسم الرب هو الله ، وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **لا تقوم الساعة عل أحد يقول الله الله** » (4)وقال تعالى : (**قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون**) (5) ، وأما اسم حي وغيره من الأسماء المفردة فمثلها في ذلك مثل اسم الله إذ كلها من أسمائه سبحانه وتعالى ، وقال تعالى : (**قل ادعوا الله أو ادعو الرحمن أيا ما تدعو فله الأسماء الحسنى**) (6) . وقد صح أن سيدنا بلال رضي الله عنه كان يردد اسم « أحد أحد » والمشركون يعذبونه .

---

1) الإسراء – 57 .
2) رواه الترمذي وحسنه .
3) الدهر – 25 .
4) رواه مسلم والترمذي وحسنه والإمام أحمد بن حنبل في المسند .
5) الأنعام – 91 .
(6) الإسراء – 110

فلا ندري من أين أتى المصنف – هداه الله – بعدم مشروعية الذكر بالاسم المفرد .

ومنها ما هو باطل وضلال كالذكر بلفظ ضمير الغيبة نحو هو ويسمونه بذكر الخاصة .

الذكر بالاسم المضمر « هو »

نعم يذكر السادة الصوفية بهذا الاسم من أسماء الله تعالى ، وأقوالهم في الباب خارجة عن الحصر ولكنهم لم يختصوا بذلك وحدهم فقد رغب في الذكر بهذا الاسم العديد من العلماء بل كبار العلماء وخيارهم .

وأحسب أنني لست بحاجة لنقل كلام السادة الصوفية في هذا الأمر لاشتهاره عنهم واشتهارهم به ، أما بالنسبة لغيرهم فسنكتفي بنقل ما ذكره الإمام الفخر الرازي [1] في التفسير الكبير لإجماع الأمة على علمه وفضله وتقدمه في العلوم ، قال رحمه الله :

اعلم أن الأسماء المضمرة ثلاث : أنا ، وأنت ، وهو وأعرف الأقسام الثلاثة قولنا « أنا » لأن هذا اللفظ يشير به كل أحد إلى نفسه ، وأعرف المعارف عند كل أحد نفسه وأوسط هذه الأقسام قولنا « أنت » لأن هذا خطاب للغير بشرط كونه حاضرا ، فلأجل كونه خطاب لغير يكون دون قوله « أنا » ولأجل أن الشرط فيه كون ذلك المخاطب حاضرا يكون أعلى من قوله « هو » فثبت أن أعلى الأقسام « أنا » وأوسطها « أنت » وأدناها « هو » وكلمة التوحيد وردت بكل واحدة من هذه الألفاظ .

أما لفظ « أنا » فقال في أول سورة النحل (**أنْ أنذروا أنه لا إله إلا أنا**) وفي سورة طه (**أنني أنا الله لا إله إلا أنا**) ، وأما لفظ أنت فقد جاء في قوله (**فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت**) وأما لفظ هو فقد جاء كثيرا في القرآن أولها في سورة البقرة في قوله (**وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم**) وآخرها في سورة المزمل وهو قوله (**رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو**

---

1) ولد الإمام الرازي في الري عام 554 هـ وتوفي في 606 هـ وله سبعة وستون كتابا أتمها ، وثمانية كتب مات ولم يكملها ، وإذا قال علماء الأصول : قال الإمام بدون ذكر الاسم فالمقصود هو الإمام فخر الدين الرازي ، وذلك لعلو منزلته وفضله ونبوغه ، ومن أعظم مؤلفاته كتاب التفسير الكبير الذي فسر فيه القرآن الكريم بأسلوب لم يُسبق إليه .

فاتخذه وكيلا) ، وأما ورود هذه الكلمة مقرونا باسم آخر سوى هذه الأربعة فهو الذى حكاه الله تعالى عن فرعون أنه قال (**آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل**) ثم بين الله تعالى أن تلك الكلمة ما قبلت منه . إذا عرفت هذا فلنذكر أحكام هذه الأقسام فنقول :

أما قوله (**لا إله إلا أنا**) فهذا الكلام لا يجوز أن يتكلم به أحد إلا الله أو من يذكره على سبيل الحكاية عن الله ، لأن تلك الكلمة تقتضى إثبات الإلهية لذلك القائل ، وذلك لا يليق إلا بالله سبحانه ، واعلم أن معرفة هذه الكلمة مشروطه بمعرفة قوله (أنا) وتلك على سبيل التمام والكمال لا تحصل إلا للحق سبحانه وتعالى لأن علم كل أحد بذاته المخصوصه أكمل من علم غيره به ، لاسيما فى حق الحق تعالى ، فثبت أن قوله (**لا إله إلا أنا**) لم يحصل العلم به على سبيل الكمال إلا للحق تعالى .

وأما الدرجة الثانيه وهى قوله : (**لا إله إلا أنت**) فهذا يصح ذكره من العبد لكن بشرط أن يكون حاضرا لا غائبا لكن هذه الحالة إنما اتفق حصولها ليونس عليه السلام عند غيبته عن جميع حظوظ النفس ، وهذا تنبيه على أن الإنسان ما لم يصر غائبا عن كل الحظوظ لا يصل إلى مقام المشاهده .

وأمام الدرجة الثالثة وهى قوله (**لا إله إلا هو**) فهذا يصح من الغائبين .

واعلم أن درجات الحضور مختلفة بالقرب والبعد وكمال التجلى ونقصانه ، وكل درجة ناقصة من درجات الحضور فهى غيبة بالنسبة إلى الدرجة الكاملة ، ولما كانت درجات الحضور غير متناهية ، فكل من صدق عليه أنه حاضر فباعتبار آخر يصدق عليه أنه غائب وبالعكس . وعن هذا قال الشاعر :

أيا غائبا حاضرا فى الفؤاد سلام على الغائب الحـــــاضر

ويحكى أن الشبلى لما قربت وفاته قال بعض الحاضرين : قل لا إله إلا الله فقال :

كل بيـت أنـت حاضـــره غير محتاج إلى الســـــرج

وجـــهك المأمـــول حجتنا يوم تأتى النـــاس بالحـــجج

وأعلم أن لفظ (هو) فيه أسرار عجيبة وأحوال عالية ، فبعضها يمكن شرحه وتقريره

وبيانه وبعضها لا يمكن وأنا بتوفيق الله كتبت أسراراً لطيفة إلا أنى كلما أقابل تلك الكلمات المكتوبة بما أجده فى القلب من البهجة والسعادة عند ذكر كلمة (هو) أجد المكتوب بالنسبة إلى تلك الأحوال المشاهدة حقيرا ، فعند هذا عرفت أن لهذه الكلمة تأثيرا عجيبا فى القلب لا يصل البيان إليه ، ولا ينتهى الشرح إليه فلنكتب ما يمكن ذكره فنقول :

فيه أسرار ، الأول : أن الرجل إذا قال (ياهو) فكأنه يقول : من أنا حتى أعرفك ومن أنا حتى أكون مخاطبا لك ، وما للتراب ورب الأرباب ، وأى مناسبة بين المتولد عن النطفة والدم وبين الموصوف بالأزلية والقدم ؟ فأنت أعلى من جميع المناسبات وأنت مقدس عن علائق المعقول والخيالات ، فلهذا السبب خاطبه العبد بخطاب الغائبين فقال : ياهو . [1] .

وقد ذكر الفخر الرازى رحمه الله إحدى عشر فائدة فى الذكر بهذا الاسم العظيم فمن أراد التوسع فليراجع المصدر ، فإن مقصودنا هو الرد على المصنف فى ادعائه الباطل بعدم مشروعية الذكر بلفظ هو .

ولولا أننا نلتزم فى كتابنا هذا بأسلوب محدد لذكرنا ما نعرفه نحن عن الذكر بهذا الاسم وما فيه من أسرار وأنوار وإن كنا لا نحبذ أن يذكره المريد بدون إشراف من شيخ عارف متمكن فى مثل هذه الأمور ، وقد كان بعض أصحابنا يسمع أثناء ذكره بهذا الاسم الحجرة التي هو بها تردد معه نفس الذكر بل أن زوجات بعض أصحابنا كن يسمعن أيضا من يذكر مع أزواجهن بدون أن يكون فى الحجرة أحد قال تعالى (**ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون**) [2] .

> ***فانظر كيف يصنفون الذاكرين ثلاثة أصناف خيرهم يسمونهم العامة وشرهم يسمونهم الخاصة ، نعوذ بالله من هذا الضلال المبين ونبرأ إلى الله تعالى من هذا الكذب المشين .***

---

1) التفسير الكبير – للإمام الفخر الرازى – ص 145 - 146 - 147.

2) النور – 41 .

كل هذا الكلام من جنس الخطابة التي لا تصل بالسامع إلى نتيجة .

فالمقصود بذكر العامة هو ذكر الأجر والثواب مع بقاء الصفات المذمومة وعدم استيفاء شروط الذكر وآدابه وذكر الخاصة هو الحضور بطهارة النفس من كل خلق ذميم وتحليتها بكل خلق كريم مع استيفاء الشروط والالتزام بالآداب ومحال أن يستويا .

هذا ويأتي الخطأ في الأذكار الصوفية في صور منها :

1) تحديد الأوراد في كمياتها وكيفياتها وأوقاتها ، فإن كان الشارع قد أطلق الذكر ولم يحدده بكمية وعدد معين فلا يصح تحديده ولا تعيينه ومن حدد أو عين فقد ابتدع والبدعة ضلاله .

الذكر المطلق والذكر المقيد

ليس كذلك ، فقد جاء عن الشارع الذكر المطلق بدون عدد كقوله صلى الله عليه وسلم : « **لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله** » [1] ، وغيره من الأحاديث .

وجاء أيضا الذكر المقيد بزمان أو مكان خاص ، وعن السيدة أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : « **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الصبح قال : اللهم إني أسألك علما نافعا وعملا متقبلا ورزقا طيبا** » [2] ، وأعطف عليه الذكر بعد أداء الصلاة وبعد الاستيقاظ من النوم ودخول البيت ودخول الخلاء والتوجه إلى المسجد وعند الأذان وركوب الدابة أو السيارة وغيرها من الأذكار المحددة بزمان ومكان معينين .

والخلاصة أن الشارع قد أمر بتقييد الذكر وأمر بإطلاقه فمن أطلق كان متبعا لسنة النبي صلى الله عليه وسلم ومن قيد فهو الآخر متبع للسنة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة**

---

1) رواه الترمذي – وقال حديث حسن .

2) رواه الإمام أحمد بن حنبل في المسند ورواه ابن ماجه .

ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه » [1] .

قال القاضي عياض : ذكر هذا العدد من المائة وهذا الحصر لهذه الأذكار دليل على أنها غاية وحد لهذه الأجور ثم نبه صلى الله عليه وسلم بقوله : ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه ، إلى أنه يجوز أن يزاد على هذا العدد فيكون لقائله من الفضل بحسب ذلك لئلا يظن أنها من الحدود التي نهى عن اعتدائها وأنه لا فضل للزيادة عليها كالزيادة على ركعات السنة المحدودة وأعداد الطهارة ، وبالغ آخرون فقالوا : إن الثواب الموعود به موقوف على العدد المذكور ، قال ابن الجوزى وهذا غلط ظاهر وقول لا يلتفت إليه بل الصواب أنه كما قال الشاعر ومن زاد زاد الله في حسناته [2] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « **أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل** » [3] .

وبدون ضبط بأعداد لا تتم المداومة المطلوبة ، فإن لفظ المداومة لا يصدق إلا على الالتزام بكم أو كيف محدد .

1) وأعني بالكيفية أن يؤتى بالذكر في جماعة وبصوت واحد وهي كيفية مخالفة لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حال الذكر وكما أعني بالأوقات وقت معين لا يؤتى إلا فيه .

الذكر جهرا في حلق الذكر

ليس كذلك ، فإن الذكر في جماعة قد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس عن المكتوبة كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم قال : كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذ سمعته » [4] .

وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز شأنه : « **أنا عند ظن عبدي**

---

1) رواه البخاري ومسلم .

2) الفتوحات الربانية – ابن علان الصديقي – ج 1 ص 209 .

3) متفق عليه .

4) متفق عليه .

بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم » [1] والذكـــر في الملإ لا يكون إلا جهرا .

قال إمام أهل الحديث الإمام النووي : اعلم أنه كما يستحب الذكر يستحب الجلوس في حلق أهله ، وقد تظاهرت الأدلة على ذلك وستـرد في مواضعها إن شاء الله تعالى ، ويكفي في ذلك حديث ابن عمر رضـــي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة يارسول الله ؟ قال حلق الذكر ، فإن لله سيارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر فإن أتوا عليهم حفو بهم » [2] .

وقد بسط العلماء الحديث في الحض علي حضور مجالس الذكر والاجتماع على ذكر الله تقدست أسماؤه فليراجعه المصنف في الأذكار للنووى وعند ابن السني والسيوطي في رسالته المسماه (نتيجة الفكر في الجهر بالذكر) وغيرهم ويترك الملتزمين بسنة رسول الله صلي الله عليه وسلم في ذكر الله تعالى وشأنهم فإن القوم لا يقدمون على أمر حتى يعلموا حكم الله فيه .

عن أبي سعيد الخدرى وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما شهدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيما عنده » (3) .

2) وضع صيغ وألفاظ لم ترد عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن المعلوم في الشريعة بالضرورة أن أى ذكر لم يرد عن الشارع فهو باطل لأنه تشريع زائد .

---

1) متفق عليه .

2) الأذكار للنووى – ص 8 والحديث المذكور رواه الترمذى وحسنه .

3) رواه مسلم .

التشريع الزائد

ليس كذلك ، فإن المعلوم من الدين بالضرورة بأنه باطل هو التشريع ، أي في الأصول والأحكام وما حد بحد كالزكاة والصلاة والصوم والطهارة وغيرها ، فمن جعل الظهر ركعتين مثلا أو خمسا فقد أتى بتشريع زائد وحكمه البطلان وقس عليه سائر أحكام الدين .

ولكن ما ليس بتشريع زائد لا يصدق عليه هذا الحكم فلم يرد عن الشارع ما يمنع المسلم من أن يذكر ربه بما شاء ما دام لا يخرج عن تعظيمه وتبجيله وتسبيحه سبحانه والاستغفار والتوحيد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن رفاعة بن رافع الزرقي قال : « **كنا يوما نصلي وراء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه قال : سمع الله لمن حمده فقال رجل وراءه : ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، فلما انصرف قال : من المتكلم ؟ قال : أنا ، قال : رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أول** » [1] .

ولسوء حظ المصنف فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل لهذا الصحابي إنك قد أتيت بتشريع زائد ولا إنك ابتدعت في الدين ، بل لم يزد على رد فيه البشرى والتشجيع على هذا الصنيع .

وقال النووي : وأما الدعاء على أعضاء الوضوء لم يجئ فيه شئ عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال الفقهاء : يستحب فيه دعوات جاءت عن السلف [2] . أي أن السلف من الصحابة والتابعين وأكابر علماء الأمة وخيارها قد وضعوا من عند أنفسهم أذكار تقال على أعضاء الوضوء إذ لم يصح نسبة شئ في هذا الموضوع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فهم قد أتوا بتشريع زائد وهم علي خطأ قطعا والمصنف - زاده الله فطنة - على صواب .

وأعطف عليه الكثير من الأذكار التي صحت عن كبار الصحابة وليست من لفظه

---

1) رواه البخاري .

2) كتاب الأذكار - للإمام النووي - ص 30 .

الشريف صلى الله عليه وسلم كدعاء القنوت لسيدنا عمر بن الخطاب ، بل إن للعديد من الصحابة أذكارا وصيغا من الأدعية اختصوا بها لا نستطيع ذكرها جميعا طلبا للاختصار الذي يشد وثاق استرسالنا وإلا لأصبح هذا الكتاب في مجلدات ونترك للمصنف مراجعتها ودراستها .

3) الاجتماع عليه ورفع الأصوات به ، وإحداث حركات منكرة كالتمايل والقفز والرقص والتصفيق .

الحركة في الذكر

التمايل ليس شرطا في الذكر ولكنه جائز لأنه ينشط الجسم للذكر ويساعده على حضور القلب مع الله تعالى وقد صح عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم كانوا يتمايلون حال الذكر .

وعن الإمام علي أنه قال : والله لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فما أرى شيئا يشبههم ، لقد كانوا يصبحون صفرا شعثا غبرا بين أيديهم كأمثال ركب المعزى قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يتراوحون بين جباههم وأقدامهم فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في الريح (1) .

فهذا يدل على أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتحركون حال الذكر .

وأما القفز أحيانا ومااليه فهذا ناتج عما يعرض للذاكر من أحوال ومواجيد تغلبه على أمره ، والمنكر محروم ما ذاق لذة الوجد ولا صفا له المشروب ولو ذاق مذاقهم لعرف المعنى ، ولو ورد على قلبه ما يرد على قلوبهم لانتفض كعصفور بلله القطر أو كيد لا مست جمراً .

وعن الإمام علي رضي الله عنه أنه قال :

« أتيت النبي صلى الله عليه وسلم أنا وجعفر وزيد فقال النبي صلى الله عليه وسلم لزيد : أنت مولاي فحجل ، وقال لجعفر : أنت

---

1) رواه أبو نعيم وكذلك انظر ابن كثير ج 8 ص 6 ومادوا أي تحركوا .

أشبهت خلقي وخلقي فحجل ، وقال لي : أنت مني فحجلت » [1] . والحجل هو رفع رجل ومشى على الأخرى وهو من نتائج التواجد لعظيم فرح هؤلاء الصحابة الكرام بما صدر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم .

وقد سئل العلامة ابن حجر عن الوجد وأثره في المتواجد ومشروعيته فقال : نعم له أصل فقد روى في الحديث أن جعفر بن أبي طالب رقص بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم لما قال له : أشبهت خلقي وخلقي فحجل وذلك من لذة الخطاب ولم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم [2] .

ثم إن هذه الأحوال والمواجيد لا تؤتي اختيارا ، وقد تشدد السادة الصوفية في هذا الأمر ولم يسمحوا بإظهار هذه الأحوال ولا إبدائها إلا في أضيق نطاق وعند استحالة مقاومتها وإخفائها ، قال الشيخ عبد السلام ابن سليم الأسمررضي اللّه عنه : من رقص فيها – يقصد السماع أو الحضرة – من غير جذب فهو من قلائل الأدب ومن صفق فيها متعمدا أو ركض فلعهدنا قد نقض ومن اهتز فيها بغيرحالة كشف الله حاله [3] .

ولكنها حال شريفة تغلب على السامع فربما سيطر على نفسه وهو الأفضل في فقه الطريق ، وربما غلبته ومن ذاق عرف ومن حُرم انحرف **(الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدي الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد)** [4] .

4) *مصاحبة الذكر بالعزف والتصفيق وهو ما يسمى بالمدائح والقصائد وهذه لا تعذب لهم ولا تطيب إلا على انغام المرد وأصوات المعازف والدفوف .*

السماع

إن سماع القصائد بألحان موزونة مباح شرعا فقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم

---

1) رواه الإمام أحمد واللفظ له والبخاري تعليقا وأبو داود وقال حديث حسن .

2) أنظر الفتاوى الحديثية – لابن حجر الهيثمي .

3) الوصية الكبرى – للشيخ عبد السلام بن سليم الأسمر .

4) الزمر – 23 .

حداء عامر بن الأكوع وقوله :

اللهم لولا أنت ما اهتدينـــا   ولا تـــصدقنا ولا صليـــنا

فدعا له الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا : يرحمه الله . . . الحديث [1] .

وكان حسان بن ثابت ينشد شعره والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « **اللهم أيده بروح القدس** » [2] .

واستمع عمر بن الخطاب رضى اله عنه وهو ما هو غناء أحد المسلمين بشعر فيه وعظ وإرشاد فقال : على هذا فليغن من غنى [3] .

وكان عبد الرحمن بن عوف يتغنى :

وكيــف ثوائى بالمدينة بعد ما   قضـى منها وطرا جميل بن معمر [4]

فسمعه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : ما هذا يا أبا محمد ؟ قال إنا إذا خلونا قلنا ما يقول الناس .

وكذلك ليس فى الدف من حرج فقد استقبل نساء بنى النجار الرسول صلى الله عليه وسلم بالدف ولم ينكر عليهن ، وعن أم المؤمنين السيدة عائشة أن أبا بكر رضى الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى - أى عيد الأضحى - تغنيان وتضربان والنبى صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف النبى صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال دعها يا أبا بكر فإنها أيام عيد [5] .

نعم يتأسى السادة الصوفية فى الاستماع إلى القصائد التى تهيج إلى محبة الله

---

1) رواه البخارى ومسلم .

2) رواه البخارى ومسلم .

3) أنظر الاعتصام للشاطبى ج 1 ص 220 ، وأنظر يسألونك فى الدين والحياة للشيخ احـــمد الشرباصى ج 4 ص 262 .

4) الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى ج 1 ص 264 ترجمه رقم 1194وجميـل المذكور هو جميل بن معمر الجمحى ، وليس جميل بن معمر العذرى صاحب بثينة كما قد يفهم .

5) متفق عليه .

ورسوله صلى الله عليه وسلم وطاعة الله ورسوله ، وتدعو إلى مكارم الأخلاق ، المذكرة بوعد اله ووعيده وما عليهم في ذلك من حرج بل الحرج كل الحرج على من ينكر عليهم هذه الحالة الشريفة الربانية ويسكت عن عظائم المنكر كالسماع من النساء كاشفات الرؤس والنحور والمعاصم وترديد الأغاني الفاجرة من عربية وأجنبيه ، فسبحان من جعل الاعتراض عند هؤلاء على سماع الصوفية الطاهر الزكي فقيا والسكوت عن المعاصي على علم إيمانا ودينا .

وكذلك لم يكن هناك من سبب يدعو المصنف إلى الخروج عن أدب الإسلام وأخلاقه بإدخال الفاظ مثل لا تعذب لهم ولا تطيب إلا على أنغام المرد ، وكان الأحرى به أن ينزه نفسه عن مثل هذه العبارات ، وعلى كل حال فإن العلماء أجمعوا على إباحة سماع السادة الصوفية وحرموا السماع الحاوى لألفاظ المجون والخلاعة .

قال شيخ الأزهر محمود شلتوت موجها حديثه إلى الأصوات الشاذة القادحة في السماع :

فليعلموا أن الفقهاء اتفقوا على إباحة السماع في الشوق إلى الحج وفي تحريض الغزاة على القتال وفي مناسبات السرور المألوفة كالعيد والعرس وقدوم الغائب وما إليها ، إلى أن قال رحمه الله : وكان الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الأزهر في القرن الثالث عشر الهجرى ذا ولع شديد بالسماع وعلى معرفة تامة بأصوله ، ومن كلماته في بعض مؤلفاته : من لم يتأثر برقيق الأشعار تتلى بلسان الأوتار على شطوط الأنهار في ظلال الأشجار فذلك جلف الطبع حمار .

وأخيرا قال الشيخ محمود شلتوت رحمه الله : إن سماع الآلات ذات النغمات والأصوات الجميلة لا يمكن أن يحرم باعتباره صوت آله أو صوت إنسان أو صوت حيوان وإنما يحرم إذا استعنت به على محرم أو اتخذ وسيلة إلى محرم أو ألهى عن واجب . وهكذا يجب أن يعلم الناس حكم الله في مثل هذه الشئون ونرجو بعد ذلك أن لا نسمع القول يلقى جزافا فإن تحريم ما لم يحرمه الله أو تحليل ماحرمه كلاهما افتراء على الله بغير علم [1] .

---

1) الفتاوى – للشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر – ص358 - 359 .

ويقول السهروردي : لا ينبغي لصادق أن يتعمد الحضور في مجمع يكون فيه سماع إلا بعد أن يخلص النيه لله تعالى ويتوقع به مزيدا في إرادته وطلبه ويحذر من ميل النفس لشئ من هواها ثم يقدم الاستخارة للحضور ويسأل الله تعالى إذا عزم البركة فيه وإذا حضر يلزم الصدق والوقار بسكون الأطراف [1] .

فأنت ترى أن القوم بالرغم من إباحته قد جعلوا له ضوابطا وشروطا إذ مبنى التصوف على الصدق في سائر الأحوال ، ثم إن سماع السادة الصوفية يختلف اختلافا كبيرا عن سماع غيرهم فإنه لا يحرك فيهم إلا كريم الأحوال .

سئل ذو النون المصرى رضى الله عنه عن السماع فقال : وارد حق يزعج القلوب إلى الحق فمن أصغى إليه بحق تحقق ومن أصغى إليه بفسق تزندق [2] .

وقال الأستاذ الجنيد رضى الله عنه : يحتاج السماع إلى ثلاثة أشياء الزمان والمكان والإخوان[3] .

وسمع الإمام الشافعي من يقول :

خليلى ما بال المطايا كأنها ... نراها على الأعقاب بالقوم تنكص

فقال لابن عليه وكان معه كيف تسمع أيطربك ؟ فقال : لا فقال : مالك حس [4] .

وبالجملة فإن السماع لا يرجع إلى رقة المعنى وطيب النغمة وإنما هو مهيج لما في القلوب فمن كان قلبه ممتلئا بالأغيار صرف السماع إلى ما في باطنه ومثل هذا لا مصلحة له في السماع ولا فائدة ، ومن كان قلبه وكامن سره صافيا من كدر الشهوات محترقا بحب الله ليس فيه سواه فإن السماع في حقه مندوب إذ لا يحرك فيه إلا الشوق والوجد والهيمان إلى رضى الرحمن .

وحدث أن رجلا أعرفه سمع بيت ابن الفارض :

---

1) عوارف المعارف – الشيخ عبد القاهر السهروردى – ص 199 .
2) روض الرياحين – لليافعي – ص 181 .
3) المصدر السابق – ص 182 .
4) المصدر السابق – ص 186.

علي نفسه فليبك من ضـــاع عمره وليس له فيها نصـــــيب ولا سهم

فاشتغل منذ ذلك الحين بحفظ القرآن الكريم والاشتغال بالعلم عله يكون ذا نصيب من رضا الله تعالى أو يكون له سهم في مغفرته وعفوه ، وهو الآن قد أتم حفظ سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وابتدأ منذ ايام في حفظ سورة الأنعام ومنذ ذلك الحين دابت علي مناداته باسم الفالح (**فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين**) [1] .

فالمستمع ينبغي أن يستمع بقلب حي ونفس ميته ، ومن كان قلبه ميتاً ونفسه حيه لا يحل له السمـاع (**فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب**) [2] .

5) وضع أجور معينة ومحدده علي كل نوع من الذكر بأن يقال من قال كذا فله أجر كذا من غير أن يرد عن الشارع وعلي سبيل المثال قول الشيخ التيجاني في صلاة الفاتح أنها تعدل كذا ولقائلها من الأجر كذا ، ولنستمع إليه في كتاب الرماح ص 69 من ج 2 وهو يقول : وأما صلاة الفاتح لما أغلق فإني سألته صلي الله عليه وسلم فأخبرني أولا إنها بستمائه الف صلاة ، فقلت له هل في جميع تلك الصلوات أجر من صلى بستمائة الف صلاة مفردة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : نعم يحصل في كل منها أجر من صلى بستمائة الف صلاة مفردة ، وسألته صلى الله عليه وسلم : هل يقوم منها طائر واحد علي الحد المذكور في الحديث لكل صلاة ؟ وهو الطائر الذى له سبعون ألف جناح إلي آخر الحديث . . أم يقوم منها في كل صلاة ستمائة ألف طائر على تلك الصفة في كل مرة . وعدد ألسنة طائر واحد كما قال الشيخ رضي الله عنه ألف ألف ألف ألف ألف ألف لسان إلي أن تعد خمس مراتب فهذا مجموع عدد الألسن وكل لسان يسبح الله تعالي بسبعين لغة في كل لحظة وثوابها للمصلي على النبي صلى الله عليه وسلم في كل مرة هذا في غير الياقوته الفريدة أما فيها فإنه يخلق في كل مرة ستمائة الف طائر على الصفة المذكورة ، ثم قال رضي الله عنه وأرضاه وعنا به فسألته صلى الله عليه وسلم عن

1) القصص – 76 .
2) الزمر – 18 .

حديث : إن الصلاة على تعدل ثواب أربعمائة غزوة وكل غزوة تعدل أربعمائة حجة هل صحيح أم لا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم صحيح فسألته عن عدد هذه الغزوات هل يقوم من صلاة الفاتح لما أغلق مرة أربعمائة غزوة أم يقوم أربعمائة غزوة لكل صلاة من الستمائة ألف صلاة . وكل صلاة على انفرادها أربعمائة غزوة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم ما معناه : أن من صلى بها أى الفاتح لما أغلق . . الخ . . مرة واحده حصل له ثواب ما إذا صلى بكل صلاة وقعت فى العالم من جن وإنس وملك ستمائه الف صلاة من أول الدهر إلى وقت تلفظ المصلى بها .

والآن أخى القارئ المسلم البصير هل يسرك الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ هل الذى يفترى الكذب على الله ورسوله يعد من المؤمنين ؟

قيل قديما أسأت فيما فأسأت الجواب .

فأولا : إن كتاب الرماح هو الآخر ليس من تأليف الشيخ التيجانى بل هو من تأليف عمر الفوتى وهذا لم يكن معاصرا للشيخ التيجانى ، وقد ألف كتاب الرماح بعد وفاة الشيخ بوقت طويل .

ثانيا : للشيخ التيجانى عبارة جامعة مانعة تدل على بعد نظر وحكمة وصادق فراسة وهى : إذا سمعتم عنى شيئا فزنوه بميزان الشرع فإن وافق فاعملوا به وإن خالف اتركوه[1] .

ونحن نقول للمصنف أعمد إلى ما بين يديك من معلومات عن الشيخ التيجانى وزن بهذا الميزان الدقيق الحساس ثم تحدث بما شئت .

وقد دس على هذا الشيخ الجليل العديد من الأقوال من قبل جهال مادحيه ومحبيه والحاقدين من قادحيه حتى أن الشيخ العربى السائح عندما ألف كتابه (بغية المستفيد) عن الطريقة التيجانية أوضح أنه يشك فى أن كتاب (الافادة) وهو يكاد يكون من أهم الكتب التى تكلمت عن الطريقة التيجانية فى ذلك الوقت منقول عن الشيخ التيجانى [2] علما بأن الشيخ العربى السائح كان قريب

1) كشف الحجاب – القاضى احمد العياشى – ص 370 – 371 .
2) المصدر السابق – ص 176.

العهد بالشيخ إذ أنه توفي في 1309هـ وتوفي الشيخ التيجاني رحمه الله في1230هـ .

ثالثا : إن الشيخ التيجاني كان فقيها مالكيا عالما بالأصول والفروع وكان يحفظ صحيح البخاري وصحيح مسلم والموطأ ومختصر ابن الحاجب ومختصر الشيخ خليل وتهذيب البراذعي [1] . فلا يصح أن يصدر من رجل في مستوى علمه إلا ما يليق بفضله بل إن له من الأقوال ما يدل على شديد اطلاعه وغزير معرفته مثل قوله : ما أحوج الناس في هذا الزمان إلى عالم أو علماء ينقحون لهم كتب الفقه من الحشو الذي فيها [2] .

والذي درس الفقه وخصوصا المالكي وتعدد الأقوال في المسألة الواحدة وقاسى من أقوال الفقهاء وصعوبة الوصول إلى حكم جازم أحيانا يعرف قيمة هذه العبارة وفضل قائلها .

وأخيرا لنا وقفة عند ما يرد أحيانا عن بعض السادة الصوفية من فوائد أو تبيان فضل أو ثواب عمل لا لنرد على المصنف ما نقله عن كتاب الرماح ، فإن الأمر ليس بهذه الأهمية وكتاب الرماح ليس من الكتب الموثوق بكل ما جاء بها ولكن لأهمية الموضوع .

فأقول : إن ما يذكر أحيانا عن ثواب بعض الأعمال عن بعض السادة الصوفية كأن يقال من صلى بصلاة الفاتح مثلا له كذا من الثواب ، فهذا محمول عند أهله على أنه بشارات يعلمها الشيخ عن طريق الكشف أو الرؤيا أو الإلهام وما إليها ، وهذه عند القوم لا تقبل إلا إذا ثبتت موافقتها للكتاب والسنة وإن خالفتهما قيد أنملة لا يلتفت إليها ولا يعمل بها .

قال أبو سليمان الداراني: إنه ليقع في قلبي النكتة من كلام القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين الكتاب والسنة [3] .

---

1) المصدر السابق – ص 529 .

2) المصدر السابق – ص 182 .

3) في معظم كتب التصوف وفقه الطريق ، وكذلك انظر الفرقان لابن تيمية ص 65 .

وقال الإمام الشاذلي : كل علم تسبق إليك فيه الخواطر وتميل النفس وتلتذ به فارم به وخذ بالكتاب والسنة [1] .

وقال عبد السلام الأسمر : وإياكم والاستدراج واتباع نزغات الشيطان اللعين في اليقظة والنوم فإنه يغري المؤمن بالأحلام الكاذبة والصادقة والتأثيرات [2] ، أما إن كانت موافقة لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فيعمل بها .

وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول : « **اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا انت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، فقال : لقد سألت الله تعالى بالاسم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب » وفي رواية « لقد سألت الله بالاسم الأعظم »** [3] . فهل توقف فضل الله وكرمه علي مسلم دون غيره أو أن من ألهم ذلك الرجل اسمه الأعظم عاجز عن إلهام غيره .

وعادة يكون الحديث في عظم ثواب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفي الأمر سر لطيف أشار إليه الإمام الشاذلي بقوله : على من فاته كثرة الصيام والقيام أن يشغل نفسه بالصلاة على رسول الله صلي الله عليه وسلم .

فإنك إن فعلت في جميع عمرك كل طاعة ثم صلى الله عليك صلاة واحده رجحت تلك الصلاة الواحدة على كل ما عملته في عمرك كله من جميع الطاعات لأنك تصلي علي قدر وسعك وهو يصلي عليك على قدر ربوبيته ، هذا إذا كانت الصلاة واحدة فكيف إذا صلى الله عليك عشرا بكل صلاة كما جاء في الحديث الصحيح [4] .

وكذلك لا يستغرب أن يجازي الله تعالى على العمل القليل بما شاء فإنه أكرم الأكرمين

قال صلى الله عليه وسلم : « **من سبح الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كان**

---

1) شذارات الذهب – ابن العماد الحنبلي ج 5 ص 239 .

2) مواهب الرحيم – محمد بن مخلوف – ص 92 وأنظر في الوصية الكبرى للشيخ عبد السلام بن سليم الأسمر .

3) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والترمذي وقال – حديث حسن .

4) تاج العروس – ابن عطاء الله السكندري – ص 8 .

كمن حج ، ومن حمد الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن حج مائة حجة ، ومن حمد الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن حمل على مائة فرس في سبيل الله - أو قال غزا مائة غزوة - ومن هلل الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن أعتق مائة رقبة من ولد إسماعيل ومن كبر الله مائة بالغداة ومائة بالعشي لم يأت في ذلك اليوم أحد أكثر ممن أتى به إلا من قال مثل ما قال أو زاد على ما قال » [1] .

فأنت ترى أن هذه الأذكار لا تكاد تستغرق من المسلم أكثر من نصف الساعة وثوابها خرج عن الحصر ولنا أن نتصور ثواب المداوم عليها طول عمره كيف يكون ، وقال صلى الله عليه وسلم لأم هانئ : « **إذا أصبحت فسبحي الله مائة وهلليه مائة واحمدية مائة وكبريه مائة فإن مائة تسبيحة كمائة بدنة تهدينها ومائة تهليلة لا تبقى ذنبا قبلها ولا بعدها** » [2] .

والمعول على الإخلاص وحسن الظن بالله والله أعلم ورسوله .

هل حقا أن الشيخ أحمد التيجاني يخرج له الرسول صلى الله عليه وسلم يقظة ويشافهه ويسأله ويجيبه كما سبق وقرأت في هذا الفصل .

رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم حال اليقظة

إن التشرف برؤية طلعته البهية صلى الله عليه وسلم يقظة ومناما هو من الكرامات التي يتفضل الله سبحانه وتعالى بإكرام عبادة الصالحين بها ، وهو ما صح في العقل والنقل .

وقد تشرف العديد من هؤلاء بالاجتماع به صلى الله عليه وسلم حتى أن الشيخ محمد بن عيسى تشرفت يده بمصافحة يده الكريمة صلى الله عليه وسلم حتى تشبكت الأصابع وحادثه بما الله به أعلم وحادثة تقبيل الشيخ أحمد الرفاعي ليد الرسول صلى الله عليه وسلم مشهورة وموثقة .

قال صلى الله عليه وسلم : « **من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا**

1) رواه النسائي والترمذي وقال حديث حسن .
2) رواه الطبراني وغيره .

يتمثل الشيطان بي » [1] ، فإن قلت إن ذلك في يوم القيامة فاعلم أنه لا فائدة حينئذ من التخصيص الذي جاء في الحديث ومن قال به يلزمه الدليل لأن كل أمته يرونه يومها من رآه في المنام ومن لم يره كما لا يجهل أحد ، فأصبح المقصود هو رؤيته صلى الله عليه وسلم بعيني الرأس في دار الدنيا قبل الموت وفاء لوعده الشريف لمن رآه في نومه ولو مرة .

قال حجة الإسلام الإمام الغزالي متحدثا عن مكاشفات السادة الصوفية ومشاهداتهم :(حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد ، ثم يترقى الحال إلى مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق) [2] .

وسماع الأحياء من الأموات يقظة يحدث كثيرا ولا نريد أن نذكر كل ما نعرف في هذا الشأن ويكفي فيه ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : « **ضرب رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءة على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتي ختمها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هي المانعة هي المنجية من عذاب القبر** » [3] .

وكذلك شم الرائحة الطيبة ممن غير رؤية صاحبها فعن فضالة بن دينار قال : حضرت محمد بن واسع وقد سجي للموت فجعل يقول : مرحبا بملائكة ربي ولا حول ولا قوة إلا بالله وشممت رائحة طيب لم أشم قط أطيب منها ثم شخص ببصره فمات [4] .

وقد يرى الحي الميت بعيني رأسه فضلا عن سماع صوته أو شم الرائحة فعن عروة

والطبرني والدارمي .

2) المنقذ من الضلال – حجة الإسلام أبو حامد الغزالي – ص 55 .

3) رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب ، أنظر الاستدلال به في كتاب الروح لابن القيم ص 80 .

4) الروح لابن القيم – ص 5 ، ص 65 .

عن أبيه قال : بينما راكب يسير بين مكة والمدينة إذ مر بمقبرة فإذا برجل قد خرج من قبر يلتهب نارا مصفدا في الحديد فقال : ياعبد الله انضح يا عبد الله انضح قال : وخرج آخر يتلوه فقال : يا عبد الله لا تنضح يا عبد الله لا تنضح ، قال : وغشي على الراكب وعدلت به راحلته إلى العرج قال : وأصبح وقد أبيض شعره فأخبر عثمان بذلك فنهى أن يسافر الرجل وحده [1] .

والعمدة في هذا الأمر ما قاله الشيخ بن القيم رحمه الله : قال مالك وغيره من الأئمة إن الروح مرسلة تذهب حيث شاءت وما يراه الناس من أرواح الموتي ومجيئهم إليهم من المكان البعيد أمر يعلمه عامة الناس ولا يشكون فيه [2] .

وإذا كــــنت مزكوما فليس بلائق مقالك هذا المســـــك ليس بفائح

إن الله تعالى يقول : (إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون) والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » أرأيت أخي المسلم كيف يبني الطرقيون طرقهم على الكذب تغريرا بالمسلمين وتضليلا لهم إن الطريقة التيجانية تعتبر من أكبر الطرق الصوفية وأوسعها انتشارا فإن أتباعها يوجدون من نيجيريا غربا إلى تركيا شرقا .

وبالطبع كل هذا العدد الهائل - بشهادة المصنف - من المسلمين على ضلال وهو - أدامه الله - على صواب وفي كل هؤلاء لا يوجد عالم واحد يعرف الحق من الضلال والخير من الشر وهم بانتظار المصنف حتى يلتقط بعض الترهات من هنا وهناك لينشرها بين أيديهم مشكورا فيروا بطلان رأيهم وسلامة رأيه وجودة فهمه فما أعجب تصاريف الزمان .

قال الأمير شكيب أرسلان : إن الشيخ احمد التيجاني كان يتظاهر بالتسامح مع غير المسلمين قبل تكالب الآباء البيض [3] في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث

---

1) رواه ابن ابي الدنيا ، والطبراني في الأوسط وأنظره في كتاب الروح لابن القيم ص 67 .

2) الروح - ابن القيم الجوزية - ص 101 - 102 .

3) يقصد جماعة لافيجرى المبشر الشديد التعصب الذي حارب الإسلام بشدة في أفريقيا .

استعملت التيجانية القوة في نشر العقيدة الإسلامية . . ويفيض في التحدث عن دور الطريقة التيجانية في نشر الإسلام إلى أن قال : إن افريقيا كادت تكون كلها إسلامية لولا قضاء فرنسا على سلطنة التيجانية هذه ، كما أن أوروبا كادت أن تكون إسلامية لولا انتصار شارل مارتل على العرب في بواتي [1] .

قال جعفر الرازي رضي الله عنه : الولي ريحانة الله في الأرض يشمه الصديقون فتصل رائحته إلى قلوبهم فيشتاقون به إلى مولاهم ويزدادون برؤيته عبادة [2] .

ومع هذا فقد رأيت كيف قامت هذه الطريقة على الكذب الذي لا يصدق ، والباطل الذي لا يصح ولا يقبل وعلى مثلها فقس سائر الطرق الصوفية ومشائخ التصوف ، وابرأ إلى الله تعالى منهم واسأله أن يقيك والمسلمين شر فتنتهم ، وخلاصة القول في هذا الأصل أن أوراد الصوفية من أذكار وصلوات وأدعية ومدائح وقصائد شعرية لا تخلوا أبدا من الكذب وألفاظ الشرك ومعتقداته ولا يفارقها الابتداع في ألفاظها واعدادها واوقاتها وأكثرها ما وضع إلا لضرب أمة الإسلام بتمزيق شملها وتفتيت قوتها أو إدخال الزيغ والضلال في معتقداتها والبدع في عباداتها حتى لا تقوم لها قائمة ولا تزكو لها نفس ولا يستجاب لها دعوة – والعياذ بالله تعالى .

قد تقدم الحديث عن كل هذه الادعاءات والتكرار لا لزوم له .

الأصل الخامس

الخلوة . . . من أصول طرق الصوفية « الخلوة » وهي لغة مصدر خلا يخلو خلاء وخلوة إذا انفرد بنفسه عن غيره من سائر الناس .

تعريف الخلوة

عرف الشيخ عبد القادر عيسى الخلوة بقوله :

هي انقطاع عن البشر لفترة محدودة وترك للأعمال الدنيوية لمدة يسيرة كي يتفرغ القلب من هموم الحياة التي لا تنتهي ويستريح الفكر من المشاغل اليومية التي لا تنقطع

1) حاضر العالم الإسلامي – الامير شكيب ارسلان .
2) منهل الوراد وبهجة الإرشاد – الشيخ جابر احمد معمر ص392 .

ثم ذكر الله تعالى بقلب حاضر خاشع أو تفكر فى الائه تعالى آناء الليل وأطراف النهار [1] .

وقال ذو النون المصرى متحدثا عن فائدتها : لم أر شيئا أبعث على الإخلاص من الخلوة ومن أحب الخلوة فقد استمسك بعمود الإخلاص وظفر بركن من أركان التصوف [2] .

وفى اصطلاح الصوفية انفراد المريد بإذن الشيخ وتحت رقابته ورعايته .

ضرورة إشراف الشيخ على المختلى

نعم يقول الشيخ أحمد زروق : والقصد بها - الخلوة - تطهير القلب من أدناس الملابسه وإفراد القلب لذكر واحد وحقيقة واحدة ولكنها بلا شيخ مخطرة [3] .

وهذا كما لا يخفى لأن السادة الصوفية قد اختاروا الخلوة لسلامة الدين وتفقد أحوال النفس وإخلاص العمل لله تعالى ولا تتأتى هذه النتائج إلا إذا انتهج المنهج التعبدى الصحيح وهذا المنهج يختلف من مريد لآخر فما صلح لهذا قد لا يصلح لذاك .

قال السهروردى موضحا لهذا الأمر : إن المقصود من الخلوة التقرب إلى الله تعالى بعمارة الأوقات وكف الجوارح عن المكرهات فيصلح لقوم من أرباب الخلوة إدامة الأوراد وتوزيعها على الأوقات ويصلح لقوم ملازمة ذكر واحد ، ويصلح لقوم دوام المراقبة ويصلح لقوم الانتقال من الذكر إلى الأوراد ، ولقوم الانتقال من الأوراد إلى الذكر ومعرفة مقادير ذلك يعلمه المصحوب للشيخ المطلع على اختلاف الأوضاع وتنوعها [4] .

فى سرداب أو دهليز من الأرض

مكان الخلوة

ما سمعنا بهذا الشرط إلا من المصنف وإلا فالقوم اشترطوا العزلة ولم يحددوا المكان

---

1) حقائق عن التصوف - الشيخ عبـ ...ر عيسى ص 242 .

2) عوارف المعارف - للسهروردى ص 210 .

3) قواعد التصوف - الشيخ أحمد زروق ص 61 قاعدة رقم 112 .

4) عوارف المعارف - لسهروردى - ص 220 .

قال الإمام الغزالي : إن الشيخ يلزم المريد زاوية ينفرد بها ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فإن أصل الدين القوت الحلال [1] . فهذه الزاوية قد تكون في البيت – وهو الغالب في وقتنا هذا – أو في أي مكان لا يتشوش به باطن المريد بالناس والنظر إليهم والحديث معهم ثم إنها ثلاث أصناف :

الصنف الأول : خلوة القلب دون الجسد ، وهذا حال العارفين الواصلين فلا يضرهم الاختلاط بالغير بأجسامهم إذ قلوبهم دائمة التعلق بالله مواظبة على ذكره حتى أنه قيل لأحد هؤلاء اذكر الله فقال : ومتى نسيته حتى أذكره .

الصنف الثاني : الخلوة بالجسد دون القلب ، وهي التعرض لنفحات الله في مواضع رحمته .

الصنف الثالث : الخلوة بالجسد والقلب وهي حال المريد الصادق في بداية أمره إذ يحاول جاهدا دفع الوساوس والأفكار عن قلبه حتي يتحقق حاله بالمقام .

وكما قلنا لم يشترط السادة الصوفية مكانا بعينة للخلوة وهو أمر متروك لرأي الشيخ ومعرفته بظروف المريد ومقدرته علي جمع نفسه على الذكر فإنه إن خلا القلب من الذكر لحظة كان ذلك نقصانا .

مدة لا تزيد عن الأربعين ليلة ولا تقل عن عشر ليال مستدلين على مشروعيتها بتحنث النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة بغار حراء حيث كان صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حراء الليالي ذوات العدد كما جاء في الصحيح وعلى مدتها بمواعدة الله تعالي نبيه موسى أربعين ليلة إذ قال تعالى (وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة) وبحديث ***(من صلى في مسجد جماعة أربعين ليلة لا يفوته الركعة الأولى في صلاة العشاء كتب الله له عتقا من النار)*** *أو باعتكاف النبي صلى الله عليه وسلم عشر ليالي في رمضان التماسا لليلة القدر*

نعم كل هذا صحيح بشرط الإخلاص .

قال سفيان الثوري : كان يقال ما أخلص عبد الله أربعين صباحا إلا أنبت الله سبحانه الحكمة في قلبه وزهده الله في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره داء الدنيا

1) إحياء علوم الدين – حجة الإسلام الإمام الغزالي – ج 3 ص 66 .

ودواعها (1) .

فالإخلاص أمر ضروري وأصل من أهم أصول الدين قال تعالى: (**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين**) (2) .

ثم إن القوم في خلوة مع ربهم دائمة وإن الأربعين واستكمالها له أثر معلوم ومعروف ومشاهد وملموس في ظهور مبادئ بشائر الله تعالى وسنوح مواهبه السنية .

والخلوة عندهم شروط بلغوا بها ستة وعشرين شرطا ذكرها صاحب الرماح التيجاني نقلا عن الوصايا القدسية والخلاصة المرضية .

إن التيجاني رضي الله عنه ليس هو صاحب الرماح بل صاحبها هو عمر الفوتي وقد نبهنا علي هذا التدليس مرارا ، ثم إن كل ما نقله عمر الفوتي هو اجتهاد لصاحب الوصايا القدسية وقد درج العلماء علي الاجتهاد للتوفيق بين ضرورات الحياة والمجتمع المتجددة دائما وعقول الناس وفهمهم للشريعة الإسلامية الغراء ، وكل مجتهد مأجور إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد .

وإن تعجب فعجب أن يعترض على ما لا يعترض عليه .

والمقصود من وراء تلك الشروط إذا لم يف المريد بها ولم يأت بها على الوجه الأكمل لا يتم له مراده من الوصول إلى الله تعالي حتى يصبح من أهل الكشف والمعرفة اللدنية .

المراد من دخول الخلوة

من الجهل الذي ما بعده من الجهل شئ ربط رضوان الله تعالى وروحمته بشروط وقوانين ، فالمصلي مثلا وإن أتى بكل فرائض الصلاة وسننها ومندوباتها ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة في الصلاة إلا أتى بها لا يستطيع أن يجزم بقبولها أو ردها ولا يزيد على الدعاء بالقبول وحسن الظن ، وقس عليه الصائم والحاج والمعتمر والمتفكر في آيات الله والمتصدق وما إليها من أنواع العبادات ، وعليه فلا دخل للشروط في شئ إلا إحسان العمل والإتيان به على الوجه المطلوب والأكمل كأن يقال للمصلي : أحسن الركوع

1) عوارف المعارف – للسهروردي – ص221 .
2) البينة – 5 .

والسجود والقيام والقراءة لتأتي بالصلاة على أكمل ما طلب منك لا لتلزم الله سبحانه بقبولها . وكذلك ما اجتهد فيه صاحب الوصايا إذ هو من شروط صحة وكمال العمل لا من شروط قبوله كما أوهم المصنف .

ثم إنه ليس المراد من الخلوة أن يصبح المختلي من أهل الكشف والمعرفة أو غيرها بل المقصود هو تحقيق العبودية والمراقبة لله تعالى ، قال السهروردي : ليس مطلوب القوم من الأربعين شيئا مخصوصا لا يطلبونه في غيرها ، ولكن لما طرقتهم مخالفات حكم الأوقات أحبوا تقييد الوقت بأربعين رجاء أن ينسحب حكم الأربعين على جميع زمانهم فيكونوا في جميع أوقاتهم كهيئتهم في الإربعين [1] .

ففائدة الخلوة هي السلامة من آفات اللسان والنظر والقلب وصحبة الأشرار وصيانة النفس والدين والتفرغ للعبادة والذكر ووجدان حلاوة الطاعات والتمكن من المعرفة والارتقاء بهذه الأحوال لتصير مقاما ، وأما ما يحصل للمريد من معارف في الخلوة ومكاشفات فهذا من فضل الله تعالى و كما قلنا سابقا إن الوصول لله تعالى هو الوصول إلى العلم به .

والشروط المذكورة أكثرها صالح ومعقول وذلك كأن يقوى المريد نفسه على السهر والذكر وقلة الأكل والشرب والعزلة وكملازمة الطهارة والصلاة والصيام .

كان الأحرى بالمصنف وهو يعرف أن أكثر الشروط التي اجتهد في ترتيبها واستنباطها صاحب الوصايا القدسية صالح ومعقول أن لا يعترض على القليل غير الصالح إذ ربما – وهو الحق – ليس بهذه الصفة إلا في نظره ، والرجل غير معصوم بالضرورة ، ثم إننا لو سلمنا على سبيل المجاراة للمصنف بأن بعض الشروط غير صالحة ، أليس من الخطأ أن نتخذ من بعض الأخطاء غير المتعمدة ذريعة لحرق الأخضر واليابس .

ولكن هناك شروط فاسدة وباطلة وهي المقصودة بالذات من الخلوة عند واضعي هذا الأصل للإضلال والتغرير والتضليل ومن تلك الشروط الفاسدة ما يلي .

يبدوا أن المصنف – أسعده الله – قد أوتي علم الغيب والإطلاع على مكنون سرائر

1) عوارف المعارف – للسهروردي ص 207 .

الخلق وإلا لم يكن ليجزم بأن هذه الشروط هي المقصودة بالذات عند واضعيها ، قال تعالى : (**ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**) [1] .

أ) قولهم في الشرط الرابع أن يدخلها (الخلوة) كما يدخل المسجد مستعينا مستمدا من أرواح مشائخه بواسطة شيخه ووجه الباطل في هذا الشرط : أن الاستمداد سواء كان بركه أو عونا أو فتحا لا يكون إلا لله تعالى الذي بيده كل شئ وقدير علي كل شئ أما أرواح المشائخ أو روح شيخه فإنها لا تملك لنفسها ولا لغيرها شيئا فكيف يطلب منها مددا ليس في حوزتها ولا في استطاعتها ، ومن هنا كان هذا الشرط باطلا لأنه دعوة إلى الشرك وتقرير له بأسلوب المكر والخداع

عودة للمقدرة بالله

لقد قلنا سابقا إن استمداد المريد من شيخه أو مشائخه لا على جهة الاستقلال عنه سبحانه ولا يخطر على قلب مسلم مثل هذا ولكن على أنهم مستمدين من الله تعالى وقد بينا في حينه الأمر على أكمل وجه فليراجع .

قولهم في الشرط السادس وليشتغل بالذكر حتى يتجلى له مذكوره وهو الله تعالى في زعمهم قطعا . فإذا أفناه عن الذكر فتلك المشاهده . والضلال في هذا الشرط الفاسد هو اعتقادهم أن الله تبارك وتعالى يتجلى للذاكر حتى يفنيه فيه . وبذلك تحصل له المشاهدة لذات الرب أو أنواره جلا وعلا . *وهذا كذب وباطل إذ الرب تعالى لم يتجل لأحد من خلقه في الأرض . وقد تجلى تعالى للجبل فجعله دكا وخر موسى طالب الرؤية مغشيا عليه . فلما أفاق قال : (**سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين**) فانظر إلى الدجل والكذب الصوفي في هذه وفي غيرها وماقام طريق القوم إلا على مثل هذا الكذب والافتراء على الله وعباده والعياذ بالله .*

على غير ما يرى المنصف ما قام طريق القوم إلا على الحق والصواب والصدق والإخلاص وتحقيق العبودية لله تعالى . والباطل عند غيرهم كما سيتضح .

---

1) الاسراء – 36 .

رؤية الله تبارك وتعالى فى الآخرة

قد أجمع أهل السنة والجماعة على رؤية الله تعالى فى الآخرة لعدة أدلة جاءت فى الكتاب الكريم والسنة المطهرة كقوله تعالى : **(وجوه يومئذ ناضره إلى ربها ناظرة)** [1] ، وقوله تعالى في حق من سخط عليهم **(كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)** [2] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « **إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر لا تضامون فى رؤيته** » [3] . وأما كيفية هذه الرؤيا وهل هى بالعين أم بقدرة تضاف إلى العين العادية أم بغيرها فقد قيل فى هذا الكثير مما لا يتسع المجال لذكره فاتفق على الرؤية واختلف فى الكيفية .

وخالف المعتزلة أهل السنة والجماعة ونفوا الرؤية فى الآخرة تمشيا مع مذهبم ، وفى المسألة خلاف بينهم ونزاع . واعتقاد أحد الرأيين لا يستوجب الكفر أو الردة وغاية ما قيل فى المعتزلة من أهل السنة لمخالفتهم هو الفسق أى الخروج عن الصواب .

رؤية الله تبارك وتعالى فى دار الدنيا

وهذا أيضا أمر وقع فيه نزاع حتى بين الصحابة رضوان الله عليهم أنفسهم ولكل أدلته فقد جاء فى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم : « **واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا** » [4] .

وقال بامتناع الرؤية السيدة عائشة أم المؤمنين كما فى حديث مسروق المشهور واستدلالها بقوله تعالى : **(لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)** [5] .

وذهب الأكثرون بزعامة ابن عباس ومعه جمهور الصحابة إلى أن السمع قد دل على جواز رؤية الله تعالى فى دارالدنيا ومن أهم أدلتهم فى ذلك قوله تعالى : **(وما جعلنا**

---

1) القيامة – 22 -23 .
2) المطففين – 15 .
3) متفق عليه .
4) رواه مسلم .
5) الأنعام – 103 .

الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) [1] . وحديث الإسراء والمعراج .

ثم أجمع معظم من جاء من العلماء بعدهم والأئمة في القرون الخيرية الأولى على إمكان رؤية الله سبحانه وتعالى في دار الدنيا وقالوا بأن الرسول صلى الله عليه وسلم رآه في المعراج ، وأما الآية التي استدل بها المصنف على عدم إمكانية رؤية الله تعالى في الدنيا وهي : (**قال رب أرني أنظر إليك قال : لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا**) [2] فقد قال أهل السنة والجماعة : (إنها دليل على الرؤية لا العكس لسببين :

الأول : أن موسى عليه السلام لم يطلب رؤية الله عز وجل إلا وهو يعلم أنها ممكنة للوقوع والحصول ومن غير الجائز أن يتصور إمكان مثل هذا الأمر وهو مخطئ في تصوره فذلك مما لا يتفق مع كمال الأنبياء وعصمتهم وما أكرمهم الله به من علم وإلهام ومعرفة للحقيقة .

الثاني : ان الله تعالى علق رؤيته على شئ جائز وهو استقرار الجبل إذ هو أمر ممكن في ذاته ضرورة كما هو معلوم وما علق على الممكن لا بد أن يكون هو أيضا ممكنا) [3] .

وفسر الزمخشري وهو من شيوخ المعتزلة (**لن تراني**) بالنفي المؤبد لينفي الرؤية في الدنيا والآخرة لتتفق مع قولهم . ولم يذهب هذا المذهب غيره .

والمسألة مشروحة في كتب الاختصاص بتوسع ونحن لا نستطيع أن نبسط القول فيها طلبا للاختصار ، ولا يفوتنا قبل أن نخرج من الموضع أن نعلم المصنف أنه يجب عليه علي الفور لا التراخي الاستغفار والتوبة لله تعالى من ادعائه أن القول برؤية الله تعالى في الدنيا دجل وكذب وافتراء ، إذ أن القائل بهذا هم أكثر الصحابة رضوان الله عليهم ومعلوم ما في هذا من الخطورة ، اللهم إلا إن كان يرى نفسه أعلم من ابن عباس

1) الإسراء - 60 .
2) الأعراف - 143.
3) الجلال الداوني ج 2 ص 166 - المسائل الخمسون للرازي ص 372 - كبرى اليقينيات الكونية للدكتور محمد البوطي ص 181 .

حبر الأمة أو أكثر إيمانا من الصحابة ، وقد قلنا سابقا إن السخف يكمن في إلقاء الكلام وسوقه على عواهنه بدون علم أو حتي ترو على الأقل .

5) قولهم في الشرط الثامن . ثم يجعل خيال شيخه بين عينيه فإنه رفيقه في طريقه وهو بمعناه وروحانيته فإن من هو شيخ حقيقة تكون روحا نيته رفيقه ومتعلقه بروحانية كل واحد من مريديه وإن كانوا ألفا .

*فتأمل أيها القارئ البصير كيف يتلطف واضع هذا الضلال في التدرج بالعبد إلى ساحة الكفر حيث يجعل من الشيخ روحه والمعبر عنها بالروحانيه مع كل روح من أرواح مريديه حتى ولو كانوا ألفا أليس هذا هو معنى قوله تعالى في علمه وإحاطته وقدرته : (**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا وهو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا**) الآية من سورة المجادلة .*

القول الصائب في انتفاع المريد بالشيخ الغائب

إن في استحضار خيال الشيخ بين عيني المريد سر لطيف يدركه الذين قاسوا المجاهدة وتهذيب النفوس وقطعها على الباطل ، فإن المريد إذا وضع خيال الشيخ بين عينيه كلما هم بمعصية الله تعالى استحى من شيخه ثم ومع الترقي في مقامات المعرفة يعرف سذاجة حيائه من شيخه دون الحياء من الله تعالى فيراقب الحق سبحانه وتعالى . قال رجل : يارسول الله أوصني ، قال :

« أوصيك أن تستحي من الله كما تستحي رجلا صالحا من قومك » [1] .

وكان بعض الأنصار من أقارب عبد الله بن رواحه يقول : اللهم إني أعوذ بك من عمل أخزى به عند عبد الله بن رواحه ، وكان يقول ذلك بعد أن استشهد عبد الله [2] .

وأما تعلق روحانية الشيخ بروحانية المريد فقد قلنا مرارا إن هذا لا يصدر على جهة

1) الإصابة في تمييز الصحابة – لابن حجر العسقلاني ج 2 ص 50 ترجمه رقم 3292 وجزء 2 ص 242 ترجمه رقم 4397 .

2) انظر كتاب الروح لابن القيم ص 8 وذكر ابن أبـي الدنيا في كتاب المنامات أن القائل هو الصحابي ابو الدرداء وكان عبد الله بن رواحه خاله .

الاستقلال بل هو بإقدار الله تعالى وإمداده وإيجاده .

قال ابن عطاء الله السكندري : سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ، ولم يوصل إليهم إلا من أراد الوصول إليه (1) .

قال أحمد زروق شارحا : من شأن أولياء الله تعالى الاهتمام وحسن الإخاء والفتوة والله تعالى يعين بهم إذا شهدوا وينوب عنهم إذا فقدوا فلذلك قيل إن الولي إذا أراد أغنى وقد استقر بي صحيحا أنه ما خالط أحد معتقدا قط إلا نفعه الله تعالى منه بنيته على قدر همته كما قيل على قدر أهل العزم تأتي العزائم (2) .

فإذا ما تعلقت روح المريد بروح الشيخ فإنه يحدث بينهما من الألفة والمودة ما لا يدخل تحت قياس .

قال ابن القيم رحمه الله : وقد تتناسب الروحان وتشتد علاقة احداهما بالأخرى فيشعر كل منهما ببعض ما يحدث لصاحبه وإن لم يشعر بما يحدث لغيره لشدة العلاقة بينهما وقد شاهد الناس من ذلك عجائب (3) .

قال أبو تمام في شاعر يسمى يوسف السراج :

فلو نبش المقابر عن زهير   لعـول بالبكاء وبالنحيب

هذا وإن كانت الخلوة تحمل في بعض شروطها الكفر والضلال فإن البعض الآخر يحمل البدع والأحداث وهذا بيان ذلك :

أ – أن تكون الخلوة مظلمة وهو شرط ما أنزل الله به من سلطان وكثيرا ما يتسبب ظلام الخلوة في اختلاط المريد فيخرج منها كالمجنون في نطقه وتفكيره وسائر عمله .

لا يجب أن تكون الخلوة مظلمة ولكن إن خاف الشيخ على المريد أن يشتغل بما يقع عليه ناظره عن الذكر فوقتئذ فقط يأمره بالذكر في مكان مظلم حتى يتمكن من جمع نفسه على ما يذكر ، إذ ليس المطلوب هو ترديد الألفاظ بل التفكر والتأمل صحبة الذكر ،

1) متن الحكم العطائية – ابن عطاء الله السكندري .
2) شرح الحكم – أحمد زروق – ص 245 .
3) كتاب الروح لابن القيم – ص 32 .

وإن قدر المريد على ذلك فلا موجب للظلمة . وأما خروج المريد كالمجنون في النطق والتفكير من أثر الظلمة فهذا – لعمر الحق – استنتاج غريب وعجيب إذ لا شك أن سكان القطب قبل اكتشاف الكهرباء لم يكن فيهم عاقل واحد إذ كانوا يعيشون نصف عام تقريبا في ظلام مستمر .

والذى عرفناه نحن بالتجربة أن المريد يخرج من الخلوة وقد ازداد عقلا وعلما تتفجر الحكمة على لسانه وتفيض على جوارحه ، وقد أقام الشيخ الجزولى جامع دلائل الخيرات نحوا من أربعة عشر عاما في الخلوة بإشارة من شيخه محمد امغار الصغير وخرج منها أكمل حالا وأعلى همة وأفخر مقاما [1] .

وقضى الشيخ على البكو فى مدينة زليتن عدة سنين فى الخلوة فما زاد رحمه الله إلا شرفا وفضلا ، وقبل كل هؤلاء قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الليالى ذوات العدد فى غار حراء مختليا فخرج على الإنسانية كافة بخير الدنيا والآخرة .

وما علمنا أن الظلمة تنتج الجنون إلا على زمان المصنف وببركة علومه النيرة .

2 – دوام السكوت طيلة ما هو فى الخلوة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك فى حديث ابى اسرائيل .

عودة إلى العلمو نورون

للمصنف مزايا عدة من بينها إن لم يكن على رأسها الاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة فى غير محلها ، وحديث أبى إسرائيل الذى أشار إليه رواه البخارى باللفظ الآتى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

« بينما النبى صلى الله عليه وسلم يخطب إذ هو برجل قائم فسأل عنه ؟ فقالوا : أبو اسرائيل نذر أن يقوم فى الشمس ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه » .

وكما هو واضح لكل من يعرف اللسان العربى ولو كان أخرسا أن الموضوع موضوع

---

1) مناقب الإمام الجزولى – للشيخ حسنين بن مصطفى غانم – ص 15 .

نذر من النذور التي لا يقرها الإسلام لما فيها من تعذيب النفس والله سبحانه غني عن تعذيب العباد لأنفسهم ، فأمره الرسول صلى الله عليه وسلم بقطع ما لا يباح فعله من صمت وقيام في الشمس وأمره بإتمام المباح وهو الصوم ، بينما المريد في الخلوة مداوم على ذكر الله بصوت مسموع بل ولا بد له من الخروج إلى المسجد للصلاة أو على الأقل يأتيه من يصلي معه جماعة في خلوته ويجب عليه حضور صلاة الجمعة .

قال السهروردي : يقعد – المريد – في موضع خلوته ولا يخرج إلا لصلاة الجمعة وصلاة الجماعة فترك المحافظة على صلاة الجماعة غلط وخطأ فإن وجد تفرقة في خروجه يكون له شخص يصلي معه جماعة في خلوته ولا ينبغي أن يرضى بالصلاة منفردا البتة فبترك الجماعة يخشى عليه آفات [1] .

وهو في كل هذا يلقي السلام على من يمر عليه ويرد عليه السلام وما إلى هذا من الأمور المعروفة .

بل وحتى لو صمت عن كل ما سوى ذكر الله تعالى فلا يصدق عليه النهي الذي جاء في الحديث المذكور لأنه لم ينذر نذرا شرعيا أو غير شرعي وباستطاعته الكلام متى أراد بعكس صاحب النذر ، ولا مجال للمقارنة بأي وجه .

> *3 – أن تكون الخلوة بعيدة عن حس الناس وأصواتهم مما أدى بهم إلى جعلها تحت الأرض كالدهاليز المظلمة وهذه الوضعية بدعة منكرة .*

العزلة

لقد تكلمنا عن الدهاليز المظلمة والسراديب والأنفاق وقلنا إنها لا وجود لها إلا في عظيم علم المصنف – زاده الله علما – وحتى إن وجدت فمن باب عدم السكون لغيره أو الأنس بسواه تعالى ، وأما البعد عن الناس فقد علمت أن حضور صلاة الجمعه والجماعة شرط عند القوم على المختلي مما يجعل الخلوة في موضع قريب من المسجد ما أمكن ، ثم إننا لم نعلم حتى الآن أن القرب من الناس – خصوصا في زماننا هذا – فضيلة يحرص عليها وما أشبههم بالدواء لا يزاد فيه عن الحاجة .

قال رجل : « أي الناس أفضل يارسول الله ؟ قال : مؤمن يجاهد

---

(1) عوارف المعارف – السهروردي – ص 222 .

بنفسه وماله في سبيل الله ، قال ثم من ؟ قال : ثم رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه » [1] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « **من خير معاش الناس رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعه أو فزعه طار عليه يبتغي القتل أو الموت مظانه ، أو رجل في غنيمة في رأس شعفة من هذه الشعف أو بطن واد من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلا في خير** » [2] .

فيا هداك الله أرشدنا إلي ما في الاختلاط بالناس في هذا الوقت من خير فإنه لا يجوز كتم العلم .

4 – أن لا يقف المريد أثناء خلوته في معنى آية قرآنية أو حديث نبوي بدعوى أن ذلك يشغله عن الواردات الحقيقية التي يطلبها بالذكر والخلوة وهذا الشرط فاسد لا يقر عليه الشرع أبدا لما فيه من النهي عن طلب العلم والمعرفة من الكتاب والسنة .

ياللشرع الذي يقر منه المصنف ما يشاء ويحذف ما يريد .

لا داعي لكل هذه الضوضاء فقبل وبعد الخلوة التي هي عبارة عن أيام معدودة عادة يستطيع المريد أن يطلب العلم كيف ومتى شاء له ، فهل يا ترى إن ترك طلب العلم في هذه الأيام بعينها أصيب بالويل والثبور وعظائم الأمور ؟ وهل يوجد من يطلب العلم طوال عمره بدون انقطاع ولو أيام معدودة ، هذا إذا سلمنا أن السبيل الأمثل للعلم هو دراسة وحفظ المنقول فقط دون تأمله والغوص فيه بحدة الذهن .

ثم إن مثل هذه الخلوة هي حافز للمريد على طلب المزيد بعد خروجه ونحن نشاهد اليوم طرق التدريس الحديثة تضع في حسبانها إعطاء التلاميذ شهورا من الراحة والاستجمام والفراغ بين كل فصل دراسي وآخر لما للراحة من أثر مقو وتجديد للنشاط

---

1) متفق عليه .

2) رواه مسلم .

فى التحصيل وكذلك الأمر بالنسبة للخلوة ، فهل هذه الأيام هى التى منعت المختلى من الوصول إلى درجة العلماء .

ثم وهو الأهم ما كان السادة الصوفية ليهتموا بتحصيل العلوم الكسبيه .

نعم هى ضرورية فى أول الطريق إذ لا تحسن العبادة إلا بها ولكنها ليست غاية فى ذاتها ، فإن الله تعالى يقذف فى قلوب من أراد من عبادة بعلوم وهبية من عنده .

قال الحاتمى : فإن المتأهب الطالب للمزيد المتعرض لنفحات الجود بأسرار الوجود إذا لزم الخلوة والذكر وفرغ المحل من الفكر وقعد فقيرا لا شئ له عند باب ربه حينئذ يمنحه الله ويعطيه من العلم به والأسرار الإلهية والمعارف الربانية (1) .

ويؤكد الشيخ محمد عبده رحمه الله هذا الأمر بقوله : أما أرباب النفوس العالية والعقول السامية من العرفاء ممن لم تدن مراتبهم مراتب الأنبياء ولكنهم رضوا أن يكونوا لهم أولياء وعلى شرعهم ودعوتهم أمناء فكثير منهم نال حظه من الأنس بما يقارب تلك الحال . فى النوع والجنس لهم مشارفه فى بعض أحوالهم على شئ فى عالم الغيب ولهم مشاهد صحيحة فى عالم المثال لا تنكر عليهم لتحقيق حقائقها فى الواقع فهم لذلك لا يستبعدون شيئا مما يحدث به الأنبياء صلوات الله عليهم ومن ذاق عرف ومن انحرف حرم (2) .

نسأل الله ألا نكون من المنحرفين المحرومين .

ومثل هذا العلم فليطلب ويسعى فى تحصيله قال الإمام مالك رضى الله عنه : لا يصلح أمر الرجل حتى يترك مالايعنيه ويشتغل بما يعنيه فإن كان كذلك أوشك أن يفتح الله له قلبه (3) .

وقال : ليس العلم بكثرة الرواية وإنما هو نور يضعه الله فى القلب (4) .

5) أن لا يدخل المريد الخلوة ولا يخرج منها إلا بإذن الشيخ المربى وأن يكون

---

1) الفتوحات المكية – الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ج 1 ص31 .

2) رسالة التوحيد – الشيخ محمد عبده –106 .

3-4) مالك بن أنس – عبد الحليم الجندى – ص79 – 105 .

بين يدى الشيخ كالميت بين يدى غاسله لا يفرح ولا يعترض أبدا . وفى هذا قتل لشخصية المسلم وهدر لكرامته وسلب لإرادته وهذا لا يحل فعله بالمسلم أبدا .

رغم العبارات الطنانة الرنانة عن هدر الكرامة وقتل الشخصية فإننا تحدثنا عن المعني بطاعة الشيخ في أكثر من فصل في السابق .

6 – دوام ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد والاستمداد إذ هو الذي عينه الحق سبحانه وتعالى للإفاضة على المريد ولا يحصل له الفيض إلا بواسطته دون غيره ولو كانت الدنيا كلها مملوءة بالمشائخ إذ متي يكون في باطن المريد تطلع إلى غير شيخه لم يفتح باطنه إلى الحضرة الوحدانية .

فانظر أخى المسلم البصير كيف جعل الشيخ إلها ثانيا للمريد حيث أمره أن يعلق قلبه دائما به بالاعتقاد والاستمداد .

يبدو أن المصنف لا يهمه إلا تكثير السواد وإلا فكل هذا سبق وأن تحدثنا فيه فليراجع .

وأنظر كيف حجروا على المسلم أن يطلب العلم من غير شيخ الطريقة ولو كانت الدنيا كلها مشائخ .

لذيرك الجهل أيها المصنف .

فى أى شرط من الشروط التى ذكرتها وجدت حجر المسلم عن طلب العلم من غير شيخ الطريقة ، نرجو أن تراجع ما كتبته بخط يدك ، وأضف إليه أنه لا يوجد أي ربط بين شيخ العلم وشيخ التصوف ، فقد يتلقى المريد العلم علي مئات العلماء كما هو مذكور فى تراجم السادة الصوفية ويسلك الطريق على يد شيخ مرب أخر غير هؤلاء .

نعم يكون شيخ الطريقة عالما وقد يتلقى المريد على يديه علما من العلوم كالحديث أو التفسير أو اللغة ولكن فى إطار علمي بحت كما هي العلاقة بين أى معلم وتلميذه ، وقد بينا أن أهمية الشيخ لا تنحصر فى إلقاء وتدريس العلم بقدر ما هى تعهد قلب المريد بالتنقية من ذميم الصفات كالبخل والتبذير والعبادة على حرف والمداهنة والجور واتباع السبل الضالة والسرف والإقتار وحب الأشرار والتنافس المذموم والأنس بغير الله تعالى

وطول الأمل وحب العلو والتطير والسخط والطيش وإرضاء الناس بسخط الله والإصرار على الذنوب وخوف الفقر والجفاء والشماتة بالمسلم واحتقاره واتباع غير سبيل المؤمنين وسوء الخلق وقطع الرحم وعقوق الوالدين والصد عن سبيل الله واتباع المتشابه والغلظة والفظاظة ونسيان الذنب واتخاذ الكافر وليا والقنوط من رحمه الله والتكذيب بالقدر والابتداع والتقاطع واليأس من روح الله والأمن من مكر الله والإعراض عن الذكر وطاعة الهوى والتكلف والغلو وقبول السعاية والهلع والجزع والفرح والركون إلى الدنيا واتباع خطوات الشيطان والنفاق والرياء والحمية لغير الله ومفارقة الجماعة والحرص والظلم والغرور والغفلة وكفر النعمة واتباع الظنون وحب المدح وكراهة النصيحة والشقاق والتسويف بالتوبة والاتكال على غير الله وعدم قبول العذر وإعانة المبطل وصحبة الجاهل والتجبر على الخلق والمكر وقلة الرحمة ومشاقة الله والرسول والتعاون على الإثم والعدوان والوهن لأعداء الدين والحمد بما لم يفعل ولبس الحق بالباطل والشح وتزكية النفس والتفرق في الأهواء شيعا والبغي والغدر ونقض العهد واللهو .

ومن ثم نزع نقيض هذه الأوصاف محلها .

وأنظر كيف كذبوا على الله تعالى بقولهم إن الشيخ عينه الحق سبحانه وتعالى للإفاضة على المريد من أعلمهم أن الشيخ عينه الله للإفاضة على المريد . وبماذا يفيض الشيخ على المريد سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم . هذه هي الخلوة التي لم تعد أن كانت شبكة لصيد الرجال لاستعبادهم واستغلالهم بقتل شخصيتهم وإفساد عقولهم وقلوبهم والهبوط بهم إلى مستوى الدراويش .

والسؤال الآن هل الإسلام وهو دين التربية الكاملة للعقول والأرواح والأخلاق جاء بالخلوة وربى بها ومن يثبت ذلك بسند صحيح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حبا وكرامة

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : « أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء

فيتحنث - أي يتعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجه ويتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء » [1] .

قال القسطلاني شارح الصحيح : أول ما بدئ به عليه الصلاة والسلام من الوحى الرؤيا الصالحة ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء كما مر فدل . ذلك على أن الخلوة حكم مرتب على الوحى لأن كلمة « ثم » للترتيب وأيضا لو لم تكن من الدين لنهى عنها بل هى ذريعة لمجي الحق وظهوره المبارك [2] .

والآن هل يستطيع المصنف أن يأتي بما يثبت عدم مشروعية الخلوة بسند صحيح إلى الرسول صلى الله عليه وسلم .

أو إلى أحد أصحابه .

حبا وكرامة .

قال قيس بن بشر أخبرنى أبى وكان جليسا لأبى الدرداء قال : كان بدمشق رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يقال له ابن الحنظلة وكان رجلا متوحدا قلما يجالس الناس وإنما هو فى صلاة فإذا فرغ فإنما هو فى تسبيح وتكبيرحتى يأتى أهله قريبا ونحن عند أبى الدرداء [3] .

أو التابعين لهم بإحسان

حبا وكرامة .

قال الإمام الشافعى رضى الله عنه : من أحب أن يفتح الله عليه ويرزقه العلم فعلية بالخلوة وقلة الأكل وترك مخالطة السفهاء وبعض أهل العلم الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب [4] .

1) رواه البخارى .
2) ارشاد السارى لشرح صحيح البخارى - للقسطلانى ج 1 ص 63 .
3) رواه أحمد وأبو داود ، وابن الحنظلية وهو صحابي شهد بيعة الرضوان وحضر المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات في خلافة معاوية .
4) بستان العارفين - للمحدث الحافظ النوري - ص 47 .

نعم لم يلق الإمام الشافعي رحمه الله أيا من الصحابة إذ ولد في 150 هـ وآخر الصحابة وفاة وهو عامر بن واثله توفي في 110هـ وقيل في107 هـ ولكننا اخترنا قوله بالذات للإجماع على فضله وتقدمه على أهل عصره وجلهم من التابعين .

إن الإسلام برئ من هذه الخزعبلات والترهات والأباطيل لأنه دين حياة وسعادة وكمال . نعم في الإسلام سنة الاعتكاف في المساجد في رمضان طلبا لليلة القدر وفي الإسلام الاعتزال إذا ساءت أحوال الناس وخاف المسلم الفتنة في دينة أبيح له أن يعتزل الناس فيبقى في منزله أو مزرعته أو في باديته يرعى غنمه كماجاء في حديث البخاري : « سيكون في آخر الزمان خير مال الرجل المسلم شويهات يتبع بهن شعاف الجبل ومواقع القطر فرارا بدينه » .

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك ، وأجرنا من قول الكلام ونقيضه في نفس واحد .

أما السراديب المظلمة والدهاليز الموحشة فإنها لقتل الأرواح وإفساد العقول والقلوب وهذا من كيد أعداء الإسلام لأهل الإسلام والعياذ بالله تعالى .

قلنا مرارا وتكرارا حتى ما عدنا نطيق الإعادة أن التهويل والضوضاء ليست من الأدلة العقلية أو النقلية . أما الذم فإنه لا ينبغي لمسلم أن ينطق به في حق أخيه المسلم ، ونختم الحديث عن الخلوة بفائدة سلفية عن ابن القيم رحمه الله حيث يقول : من فقد أنسه بالله ووجده في الوحدة فهو صادق ضعيف ومن وجده بين الناس وفقده في الخلوة فهو معلول ، ومن فقده بين الناس وفي الخلوة فهو ميت مطرود . ومن وجده في الخلوة وفي الناس فهوالمحب الصادق القوي في حاله ، ومن كان فتحه من الخلوة لم يكن مزيده إلا منها [1] .

فيا سعد حدثني بأخبار من مضى   فأنت خبير بالأحاديث يا سعد

واللبيب تكفيه الإشارة

الأصل السادس

الكشف . . . إن الكشف وإن كان أحد أصول الطرق الصوفية فهو في الواقع

1) كتاب الفوائد – ابن قيم الجوزيه – ص 43 .

غاية لما يصبو إليه المريد ومن أجله قبل الخلوة وحشر نفسه فيها واطرح بين يدى الشيخ متخليا عن كل شئ حتي إرادته وعقله في سبيل الحصول على أن يصبح من أهل الكشف .

لقد تحدثنا عن الخلوة وقلنا إن الهدف منها هو تصفية باطن المريد من الأكدار ، فمن عمر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة وكف نفسه عن الشهوات وغض بصره عن المحارم واعتاد أكل الحلال وهو من أهم الأصول لا تكاد تخطئ له فراسه ، والخلوة أحدى الطرق المؤدية إلي التحقق بهذه الصفات .

أما ما قاله المصنف – غفر الله له – عن العقل وغيره فهذا في الواقع ليس بغريب بعد أن رأينا طريقته المتميزة الرشيدة في الاستدلال ونسي – علمه الله – ان الامتثال لأمر الشيخ في كل ما فيه طاعه لله ورسوله صلى الله عليه وسلم هو اقتداء بما كان عليه الصحابة مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فلو سلمنا له قوله إن كل من أطاع أحدا فى طاعة الله يتخلي عن إرادته وعقله لقادنا هذا إلي نتائج لا تسل عن فسادها (**ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون**) [1] .

وللعلم فإنه إذا دخل المريد الخلوة لأجل أى مطلب سوى الله تعالى لن يكون حظه منها إلا تضييع الوقت وكفى بمطالب النفس حجابا عند أهل الشأن والقوم يحاسبون أنفسهم على ما لا يحوم طائر ذهن المصنف على مقدار وزن الذرة منه .

قال أبو محمد المرتعش رضى الله عنه : حججت كذا وكذا حجة على التجريد فبان لى أن جميع ذلك كان مشوبا بحظى فإن والدتى سألتنى يوما أن استقى لها جرة ماء فثقل ذلك على نفسى فعلمت أن مطاوعة نفسى فى الحجات كان بشوب وحظ نفسى إذ لو كانت نفسي فانيه لم يصعب عليها ما هو حق في الشرع [2] .

فكيف يرضون بأن يكونوا عبيد سوء يطلبون على ذكرهم ومراقبتهم مولاهم أجرا من كشف أو سواه .

وحقيقة الكشف عند المتصوفه : هى أن يكشف القلب من أنوار الغيوب

1) النور – 52 .

2) شرح ابن عباد على الحكم العطائية – ابن عباد الرندى – ص 94 .

ما ينال به الصوفي من المعارف ما لا يناله العقل منهـا .

وإن شئت قلت إن الكشف هو مكاشفة اليقين ومعاينة الغيب وإن شئت قلت هو صدق الفراسة لاقتراب القلب من حضرة الحق وإن شئت قلت هو انعكاس البصر في البصيرة والنظر بنور الله .

قال صلى الله عليه وسلم : « **لولا أن الشياطين يحومون على قلب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء** »[1] . وقال أيضا : « **اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله** »[2] ، وقال : « **إن لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم** »[3] .

ووراء مرتبة الكشف مرتبة أخرى هي مرتبة التجلي وهي أن تظهر الذات الإلهية في عين المظاهر الوجودية ومن عجيب المغالطات الصوفية أن يقول الشيخ للمريد إذ أدخله الخلوة لا يكن همك الكشف والتجليات ، اصرف قلبك عن ذلك بالمرة إن القصد هو صفاء روحك فقط وإن انكشف لك شئ فلا تكتمه عن الشيخ فتكون قد خنته وهو مربيك .

وأخيرا آب المصنف إلى الحق فسبحان من أنطقه بما كان منذ لحظات يقول بخلافه ، وعرف أن مشائخ السادة الصوفية يوصون مريديهم بأن يحققوا المقصد ولا يشتغلون بالكشف وما إليه .

ونضيف أيضا أن السادة الصوفية يتوارثون تعليم مريديهم عدم الالتفات إلى المكاشفات وما إليها بل ربما أغلظوا لهم القول إن رأوا منهم ما يشير إلى شعورهم بالتميز عن غيرهم أو الالتفات إلي غير تحقيق العبودية للمعبود سبحانه ومن فقه الطريق القسوة على المريد في هذه الحالة .

ولنتساءل هنا . ما الذي ينكشف لصاحب الخلوة ؟ لا شئ البته ولم إذا هذه الطقوس والأوضاع والتراتيب الغلوية المبتدعه .

---

1) رواه الإمام أحمد بن حنبل .

2) رواه الترمذي .

3) رواه البزار والطبراني بإسناد حسن .

قلنا سابقا إن دخول الخلوة لا يكون بقصد الحصول على الكشف وما إليه ولكن إذا فرغ العبد قلبه من الأغيار امتلأ بالأنوار فيجد من المكاشفات والإلهامات ما لا يعلمه إلا من أنعم الله عليهم بلذة مناجاته وخطابه وأقامهم في مرضاته وألزمهم بابه فسهروا والناس نيام وراقبوه تعالى وغيرهم في غفلة واجتهدوا في الإخلاص له في أحوالهم كلها .

يقول حجة الإسلام الإمام الغزالي مجيبا عن سؤال المصنف : وانكشف لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها والقدر الذي أذكره لينتفع به : أني علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى . خاصة وأن سيرتهم أحسن السير وطريقتهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق بل ولو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إلى ذلك سبيلا [1] .

فإن كان سؤال المصنف عما ينكشف في الخلوة لأجل العلم والتعلم فقد أجابه حجة الإسلام وكفى به فضلا وعلما . وإن كان لأجل المعاندة والمكابرة فليس له عندنا جواب .

والملاحظ هنا من تعريف القوم للكشف والتجلي أمران . الأول : إن إدراك ما وراء العقل بواسطة الكشف محال وهم يرونه من باب الجائز الممكن وهي مكابرة خادعة . إذ كل ما كان من وراء العقل إدراكه محال إذ المدركات من سائر الكائنات لا يتم إدراكها فتصورها إلا بالعقل .

القلب وسيلة المعرفة المثلى

ليس كذلك ولا يكون أبدا . فإن معرفة الحواس ليست يقينية والعقل له حد معلوم لا يستطيع تجاوزه مهما بلغ من قوة الذكاء وجودة الفهم وحسن الملكة . ولا يوجد سبيل إلى المعرفة القطعية اليقينية الجازمة إلا من مصدر ما بعد العقل ، أي القلب ، والدليل كتاب الله تعالى الذي حدثنا عن تلقي الأنبياء للعلوم اليقينية غير القابلة للخطأ من هذا السبيل النوراني ، بل وقد يكون العقل وأحكامه المعتادة في جهة وما تلقوه في جهة كأمر الخليل بذبح ابنه عليهما السلام وأي عقل الذي يقبل أن يذبح الإنسان فلذة كبده ، وثمرة فؤاده

1) المنقذ من الضلال – حجة الإسلام الإمام الغزالي – ص 131 .

الذى رزقه في شيخوخته ، وحدثنا أيضا عن العبد الصالح الذى علم بأمر الملك الذى يأخذ كل سفينة غصبا وبما سيصير إليه أمر الغلام حين يكبر وبأمر الكنز المخفى تحت الجدار بطريق العلم القلبى اللدنى لا العقل البشرى الذى ومنذ نزول الإنسان على الأرض وحتى يومنا هذا لا زال فى تخبطه وحيرته لا يهتدى سبيلا إلا بالرسل والرسالات .

وحدثنا عن إلهامه تعالى لأم موسى أن تقذف ابنها فى اليم وأى عقل هذا الذى يجعل من أم تلقى رضيعها في لجة زرقاء عميقه ، وإلهامه تعالى للسيدة مريم أن تهز جزع النحلة وما كانتا من الأنبياء إذ لا نبوة لامرأة (**وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى**) [1] .

والدليل الأخر الرؤيا الصالحة وقد تكون صريحة أو فى ثوب رمزي وما هى إلا إخبار عن غيب يتقاصر العقل عنه ضرورة .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما : « **أن أناسا أروا ليلة القدر فى السبع الأواخر وأن أناسا أروا أنها فى العشر الأواخر فقال النبى صلى الله عليه وسلم : التمسوها في السبع الأواخر** » [2] .

فأين العقل من تحديد ليلة كهذه والتحدى لا زال قائما فى ما إن استطاع مخلوق تحديدها بواسطة العقل وحساباته الفلكية ومخترعاته الالكترونيه والآلية ، وحتى المشرك قد يعلم المجهول ويرى الغيب بقلبه كصاحبى سجن يوسف الصديق إذ رأى أحدهما أنه يسقى ربه خمرا والآخر أنه يحمل خبزاً تأكل الطير منه وهى أحداث مستقبلية .

نعم إن السبيل إلي معرفة ما بعد العقل شئ آخر سوى العقل ، إنه الإلهام أو الكشف أو التحديث .

وعن السيدة عائشة أم المؤمنين : أن أبا بكر لما حضرته الوفاة دعاها فقال : إنه ليس فى أهلى بعدى أحب إلى غنى منك ولا أعز على فقرا منك وإنى كنت نحلتك من أرض بالعالية جداد عشرين وسقا فلو كنت جددته تمرا عاما واحدا انحاز لك ، وإنما هو

---

1) يوسف - 109 .

2) رواه البخارى .

مال وارث وإنما هما أخواك وأختاك فقلت : إنما هي أسماء فقال : وذات بطن ابنة خارجه . قد ألقى في روعي أنها جارية ، فاستوصى بها خيرا فولدت أم كلثوم [1] .

ترى بأي عقل علم الصديق رضي الله عنه بموته من ذلك المرض وبالجنين في بطن أمه ، وصاح عمر بن الخطاب وهو يخطب على المنبر بالمدينة بسارية بن زنيم وهو على باب نهاوند وبينهما آلاف الأميال « يا سارية الجبل » فسمع سارية وجيشه صوت عمر فلجئوا إلى الجبل ونجو وانتصروا [2] .

ومر به رجل فقال له : ما اسمك ؟ قال جمرة ، قال ابن من ؟ قال : ابن شهاب ، قال : ممن ؟ قال : من الحرقة قال : أين مسكنك ؟ قال الحرة قال : فبأيها ؟ قال : بذات لظى ، فقال عمر : أدرك أهلك فقد احترقوا فرجع فوجد أهله قد احترقوا [3] .

وكان إذا حدثه أحد بحديث به كذبة فيعرفها عمر ويقول له أمسك هذه [4] .

ودخل على ذى النورين عثمان رضى الله عنه رجل قد لقى امرأة في الطريق فتأملها فقال له عثمان : يدخل أحدكم وفي عينه أثر الزنا .

ودخل الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه على الأكوع بن حمام عائدا فقال : كيف تجدك ؟ قال لما بي يا أمير المؤمنين قال : كلا لتعش زمانا ويغدر بك وتصير إلى الجنة إن شاء الله [5] . فعاش زمانا بعد ذلك المرض وغدر به كما أخبره الإمام على .

وكان سعد بن عبادة رضي الله عنه يغزو سنه ويغزو ابنه قيس سنة فغزا سعد مع الناس فنزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيوف كثير مسلمون فبلغ ذلك سعدا وهو

---

1) الطبقات الكبرى لابن سعد ج 3 ص 195 – الجد : انتقاء الثمر ، الوسق : ستون صاعا .
2) رواه البيهقي في دلائل النبوة وهو حديث حسن ، قال الذهبي عن كتاب دلائل النبوة : عليك به فإنه كله هدى ونور ، والحديث موجود في معظم كتب السير والفتوحات .
3) الموطأ للإمام مالك بن انس بعدة أسانيد .
4) تاريخ الخلفاء – جلال الدين السيوطى ص 127 .
5) الإصابة في تميز الصحابة – ابن حجر العسقلاني ج 1 ص 120 ترجمه 486 .

فى الجيش فقال : إن يك قيس فسيقول يانسطاس هات المفاتيح أخرج لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته فيقول نسطاس : هات من أبيك كتابا فيدق أنفه ويأخذ المفاتيح ويخرج لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته ، فكان الأمر كذلك وأخرج قيس لرسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وسق [1] .

وقدم رسول كسرى على المسلمين ليفاوضهم على أن يكتفوا بماحصلوا عليه من أرض الفرس وقال لهم : أما شبعتم ؟ فقال الصحابى الأسود بن قطبه : لا نصالحكم حتى نأكل من عسل أربد بن بابرجكونى [2] . وهو كلام فارسى ما كان الأسود يعرفه ولا يدرى معناه .

وخطب سهيل بن عمرو بمكة لما جاء نعى النبى صلى الله عليه وسلم خطبة أبى بكر الصديق التى خطب بها بالمدينة كأنه يسمعها . ومن المعلوم أن بينهما مئات الأميال .

فأين العقل من كل هذه المعارف ؟ وأى عقل هذا الذى يستطيع الوصول إلى هكذا علوم ومعلومات ؟

إنه القلب المستنير بنور المشاهدة والإذعان المطلق والتسليم الراضى إذا ارتفع عنه غطاؤه اتضحت للإنسان جلية الحق كأنه عيان . إنها مشاهدة روحية ويقين مطلق نتج عنه المشاهدة بنور المعرفة ، فأشرق النور فى القلب وانشرح الصدر وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية . بعد أن أثبتت الحواس والعقل أنه لا ثقة بها فى إعطاء الكلمة الأخيرة فى أى موضوع .

قال تعالى : (**لهم قلوب لا يفقهون بها**) [3] ، وقال : (**إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**) [4] .

ومن الغريب حقا أن ينطق المصنف بهذا الكلام عن استحالة إدراك ما بعد العقل مشككا فى العقيدة الإسلامية بل وفى كل الرسالات السماوية إذ هى ليست إلا تلقيا لعلوم

---

1) رواه الدراقطنى .

2) الإصابة فى تمييز الصحابة - ابن حجر العسقلاني - ج 1 ص 114 ترجمه رقم 456 .

3) الأعراف - 129 .

4) ق - 37 .

بدون تدخل العقل من قريب أو بعيد (**أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون**) [1] .

وهذا عين ما يريده أعداء الدين – وإن كنت أجل المصنف عن هذا وأنسب كلامه إلى الغفلة فقط – وقد سئل الشيخ عبد الواحد يحيى رضي الله عنه في أثناء محاضرة له في جامعة « السربون » بحضور أساتذة وكبراء باريس عن هذا الموضوع ذاته فقال : سيتساءل قوم أمن الممكن أن نتخطى الطبيعة فنصل إلى ما وراءها ؟ إننا لا نتردد في أن نجيبهم في وضوح واضح ليس ذلك ممكنا فحسب ولكن ذلك واقع موجود [2] .

وبمثل ذلك تكون إجابة العالم اليقظ الفطن الحذر من مكر محاوريه وكيدهم .

وإذا فقد الإنسان العقل انعدم إدراكه لأي شئ على حقيقته وصار يهذى في كلامه ويقول ما لا يعقل .

إن موضوع البحث هو معرفة ما بعد العقل بوسيلة غير العقل . أما من فقد عقله فهو مجنون تسقط عنه التكاليف الشرعية والاجتماعية وننصح ذويه بحمله إلى أقرب طبيب للأمراض النفسية ، والأمر عموما أجنبي عن موضوع البحث .

والثاني : إن ظهور الذات الالهية في عين المظاهر الوجودية عندما يتم للمريد التجلي كما يزعمون كذبا وباطلاً . هو ما يعرف عند أهل العلم بوحدة الوجود . وهو من أكفر الكفر وأبطل الباطل وأمحل المحال عند علماء الإسلام إن وحدة الوجود منشئوها التخيلات الباطلة والتصورات الكاذبة التي يلقيها الشيطان في قلوب طالبي الأسرار وكشف الحجب عن القلب والنفوس لأجل رؤية الحق تبارك وتعالى والتلقي عنه بدون واسطة .

وحدة الوجود

لا أظن أنه يوجد في اللغة العربية عبارة فهمت على غير معناها أكثر من عبارة وحدة الوجود .

---

1) العنكبوت – 51 .

2) قضية التصوف ، المنقذ من الضلال – شيخ الأزهر عبد الحليم محمود – ص 254 .

والأمر ببساطة واختصار شديدين أنه حيث لم يلتفت الناس إلى هيمنة الله تعالى وقيوميته السارية في كل موجود وإحاطته تعالى بكل شئ وأنه لا يحدث أمر صغير أو كبير جليل أم حقير إلا بعلمه وقدرته وإرادته وتوفيقه ، أعطى ذوو اليقظة والانتباه هذه الأمور ما تستحق من فهم وإدراك وقرؤا كتاب الله فوجدوا فيه :

(له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم) (1) .

وجالوا ببصيرتهم فى معانى قوله تعالى : **(وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا وأن عليه النشأة الأخرى وأنه هو أغنى وأقنى)** (2) .

وتمعنوا بثاقب فهم قلوبهم الشفافة فى قوله تعالى : **(وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا)** (3) .

وتدبروا بأنوار مشاهداتهم في قوله تعالى : **(وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون)** (4) .

فلم يروا غير الله تعالى مصرفا للأمور مدبرا لها ، وأنه الفاعل لما أراد يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شئ قدير . فامتلأت قلوبهم وقوالبهم بالله تعالى فصار سمعهم الذى يسمعون به وأبصارهم التى يبصرون بها وأيديهم التى يبطشون بها ورأوا كل شئ يبدأ منه وينتهى إليه **(وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)** (5) .

فإن أطاعه الطائع فبإرادته وإن وافق أمره وإن عصاه العاصى فبإرادته وإن عصي أمره فقالوا بوحدة الوجود وما قالوا بوحدة الموجود من سماء وأرض وإنسان وحيوان

---

1) الحديد - 2 - 3 .
2) النجم - 45 - 48 .
3) الفرقان - 54 .
4) القصص - 68 .
5) الأنفال - 17 .

واللون والطعم والكثافة واللطافة والملك والجماد والنور والظلمة والطاعة والمعصية والرائحة والمروح . فهذا لا يقول به مؤمن فضلا عن أهل مقام الإحسان .

ومن الذى لا يعتقد وحدة الوجود ؟

نعم قد يكون هذا غريبا على أسماع المتشبثين بالمادة الغارقين فيها حتى أذانهم فرأوا الأثر دون المؤثر والمفعول به دون الفاعل ، وأما عند أهل اليقظة العامرة قلوبهم بالحق الفانية به حتى عن الفناء فالرؤية تتعدى الفعل لترى الفاعل (**فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم**) [1] وكل مسير لما خلق له فمن وقف عند الصور معذور وإن اتهم بالقصور ، ومن رأى المصور مجبور لغلبة الظهور (**وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عبادة وهو الغفور الرحيم**) [2] .

وكما يشير إلى ذلك قول رابعة العدوية فتأمله

أحبك حبين حب الهوى وحب لأنك أهل لذاكا

فأما الذى هو حب الهوى فشغلى بذاتك عما سواك

وأما الذى أنت أهله فكشفك لى الحجب حتى أراكا

فقولها فكشفك لى الحجب حتى أراك صريح فى طلب القوم لرؤية الرب تبارك وتعالى وهو مطلوب الممنوع قضاء وقدرا وشرعا فلما عنى القوم بذلك وطلبوه بالخلوات والأذكار أتاهم الشيطان بتخيلات وتصورات فبدت لهم الكائنات وأن الله تعالى قد ظهر فيها فلا يرون الله تعالى فى زعمهم .

السيدة رابعة العدوية

أولا : نذكر أن المصنف قال : إن التصوف وجد فى القرن الرابع الهجرى ، وها هو الآن يحاول أن يقيم حجته المنهارة بنسبة أقوال لصوفية فى القرن الثانى . لا جرم أننا

---

1) الأنفال - 17 .

2) يونس - 107 .

لا زلنا نجل المصنف عن أن يصدق عليه قول الشاعر :

وذى خطأ فى القول يحسب أنه مصيب وما يعرض له فهو قائله

ثانيا : إن هذه الأبيات وإن كان ليس بها ما يخالف الشرع الكريم - خاصة إذا علمنا أن النص الذى نقله المصنف محرف عن أصله - إذ أن رؤية الله تعالى فى الدنيا قد قال بجواز وقوعها جمهور الصحابة حسب ما قدمنا ، إلا أنها ليست للسيدة رابعة العدوية حسب ما هو مشهور عند العامة وأشباههم . وهى أبيات مجهولة القائل نسبت للسيدة رابعة على ألسنة العوام والدهماء بل وحتى عند بعض ممن يتعاطون الكتابة والتأليف ممن لا يكتبون شيئا وإن سودوا آلاف الصفحات .

فالسيدة رابعة توفيت فى 135 هـ ومن الطبيعى أن تكون الرواية عنها عن من عاصرها ثم الذى يليه وهكذا ، وإذا نظرنا إلى ترجمة السيدة رابعة عند السراج الطوسى [1] 378 هـ وهو أقرب من كتب عنها زمانا فإننا لا نجد لهذه الأبيات ذكرا مع اهتمام السراج بكل ما يساعد على إيضاح صورة صاحب الترجمة عادة ، وأما الكلاباذى [2] 380 هـ صاحب التعرف لمذهب أهل التصوف فقد ذكر هذه الأبيات ولم ينسبها لقائل بل شدد فى التأكيد على أنها مجهولة القائل ، وذكر الزبيدى [3] صاحب اتحاف السادة هذه الأبيات ونسبها لسفيان الثورى رضى الله عنه 161 هـ ، وعبد الواحد بن زيد 177 هـ ولم يذكر ابن خلكان [4] هذه الأبيات فى ترجمة السيدة رابعة ، ومعظم من ذكرها من الصوفية وغيرهم من المحققين لم يتعرضوا لتسمية قائلها .

وعليه فنا - وقاك الله - نرجو التثبت قدر الإمكان فإن إلقاء التهم جزافا أمر غير محمود العواقب ونحن موقوفون بين يدى الله تعالى وسيسأل كل منا عما اجترح . أما فى الدنيا فيكفى قول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : « **كفى بالمرء كذبا**

1) أنظر اللمع - للسراج الطوسى - ص 397 .
2) أنظر التعرف لمذهب أهل التصوف - للمحدث الكلاباذي - ص 110 .
3) اتحاف السادة للزبيدى - ج 1 ص 59 .
4) وفيات الأعيان لابن خلكان - تحقيق د. إحسان عباس ج 2 ص 285 .

أن يحدث بكل ما سمع » [1] .

حتى قال أحد أئمتهم وهو الحلاج الذى إذا ذكروه ترضوا عنه وترحموا عليه .

نعم يجب على المسلم تنفيذ أمر الله تعالى بالدعاء لموتى المسلمين بالرحمة والمغفرة **(والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان)** [2] .

قال :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا — فنحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرتنى أبصرته — وإذا أبصرته أبصرتنا

روى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : **« إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول : اتق الله فينا فإنما نحن منك فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا »** .

ونحن نقول للمصنف اتق الله فإنك تكيل التهم لصالح المؤمنين كيل باذر أعشى .

فأولا : إن السراج الطوسى وهو المعاصر للحلاج رحمه الله ذكر هذه الأبيات ولم يحدد لها صاحبا بل ولم يذكرها فى ترجمته للحلاج ، واتبع أصحاب الطبقات من بعده نفس الأسلوب ، وآخرهم ابن خلكان ، فقد ذكر هذه الأبيات بعد أن قدم لها بقوله : مثل قول القائل [3] علما بأنه توسع فى ترجمة الحلاج رضى الله عنه مقارنة بالتراجم الأخرى ، ويكاد يكون كل أهل العلم متفقون على أنها لمجهول .

ثانيا : إن المصنف – تجاوز الله عن سيئاته – قد أخبرنا فى أول كتابه عن تقمص السلفيين وبالطبع هو منهم لشخصية الشيخ ابن تيمية رضى الله عنه ، ولكن يبدو جليا أن هذا التقمص كلاما فقط لا يعتمد على دراسة كتب ابن تيمية وعلمه وفهم آرائه ووجهة

---

1) رواه مسلم .
2) الحشر – 10 .
3) وفيات الأعيان لابن خلكان – تحقيق د . إحسان عباس – ج 2 ص 140 .

نظره ومنهجه الفكري .

فإن ابن تيمية رحمه الله قد تعرض بنفسه لشرح هذه الأبيات ولم يجد فيها ما وجده المصنف إذ فهمها كما يفهم العلماء عادة ، وأيضا فإنه لم يحدد لها قائلا فقال : وأما قول الشاعر في شعره :

أنـــا مـــن أهـــوى ومـــن أهـــوى انا

فهذا إنما أراد به الشاعر الاتحاد المعنوى ، كاتحاد أحد المحبين بالآخر الذى يحب أحدهما ما يحب الآخر ويبغض ما يبغضه ويقول مثل ما يقول ويفعل مثل ما يفعل ، وهذا تشابه وتماثل لا اتحاد العين بالعين إذ كان قد استغرق في محبوبه حتى فنى عن رؤية نفسه كقول الآخر :

غبـــت بـــك عنـــى فظـــننت أنـــك أنـــى (1)

فأصبح والحال هكذا إما أن المصنف - زاده الله علما - على حق وإما الشيخ ابن تيمية ، وأنه لا تقمص سلفى ولا خلفى إلا على الورق .

هذا وإن القوم لم يقفوا عند الحلول والاتحاد فإن بعضهم قد بلغ الضلال حتى ادعى من ادعى منهم أنه هو الله الرب تعالى وأنه يقول للشئ كن فيكون ولنسمع إلى ما ذكر صاحب جواهر المعانى للتجانى عن الشيخ عبد القادر الجيلانى إذ قال : وأمرى بأمر الله إن قلت كن فيكون .

الشيخ عبد القادر الجيلانى

لقد تكلمنا سابقا عن تفاهة تصرف من يلتقط كلمة من هنا أو هناك ليملأ الدنيا بعد ذلك ضجيجا وضوضاء فللشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه مؤلفات وهى : الغنية ، والفتح الربانى ، وفتوح الغيب ، والفيوضات الربانية وهى مطبوعة وتباع فى الأسواق وباستطاعة من شاء الاطلاع عليها فلا وجود لهذه الكلمة ولا إشارة لها بها .

ثم إنه من المنكر بما لا مزيد عليه أن يحاول أحد كائنا من كان التحدث بما لا يليق

---

1) مجموعة رسائل ابن تيمية - ص 52 .

عن الشيخ عبد القادر الجيلاني رضى الله عنه الذى (أسلم على يديه أكثر من خمسة آلاف من غير المسلمين وتاب مائة الف من قطاع الطرق والخارجين على القانون وعاش تسعين سنة لا يلبس إلا الثياب الخشنة ولا يأكل إلا أقل القليل) (1) . فالقدح فيه والتحدث عنه بسوء لا يصدر حتى عن من شم رائحة العلم .

قال ابن تيمية رضى الله عنه : والشيخ عبد القادر ونحوه من أعظم مشائخ زمانهم أمرا بالتزام الشرع والأمر والنهى وتقديمه على الذوق والقدر ومن أعظم المشائخ أمرا بترك الهوى والإرادة النفسيه (2) .

ولعمر الحق إنه لمن المخزى المخجل نسبة المصنف وأمثاله من الوهابيين خصوصا والمتسلفين على جهل عموما إلى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله . الذين اتخذوا منه غطاء يعملون تحته وشعارا ينطقون باسمه ولم يعلموا عنه إلا ما يوافق رغباتهم فى إلقاء الخطب الرنانة والكتب باسم سلفيته التى يزعمونها واستغلالها لتفريق جمع الأمة وتشتيت كتلتها فلاهم إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء نسأل الله لهم المغفرة والعفو .

وهذا الجيلى وهو من كبار الصوفية يقول :

لى الملـــك فى الدارين لم أر فيهما	*سواى فارجو فضله أو فاخشـــاه*
وقد حزت أنواع الكمال وإننـــــى	*جمال جلال الكل ما أنا إلا هـــو*
وإنى رب للأنــــام وســـــيد	*جميع الورى اسم وذاتى مســماه*

السكر والشطح

فى الحقيقة مع المصنف كل الحق فى اعتراضه على هذه المنقولات عن الشيخ عبد الكريم الجيلى رضى الله عنه ، وأنا أقدر وأعذر المعترض عليها وعلى أمثالها ، حتى لا يتخذها الجهلة والبلهاء ذريعة ليرددوا ما لا يفهمون ويخوضوا فى ما لا يعلمون فيقعوا ويوقعوا فى مهاو مهلكة .

1) منقول حرفيا عن مجلة الدوحة القطرية الصادرة فى شهر 8 عام 1985 . ص 22 .
2) مجموعة الفتاوى - ابن تيمية - ج 10 ص 488 .

ومدار التصوف على التوحيد الخالص الذى هو : أن تعلم قدرة الله تعالى فى الأشياء بلا مزاج وصنعته بلا علاج وعلة كل شئ صنعه ولا علة لصنعه وليس فى السموات العلا ولا فى الأرضين السفلى مدبر غير الله وكل ما تصور فى وهمك فالله بخلاف ذلك وذلك بأن تنقى القلب من الأدران ليسكنه الحق تبارك اسمه وتعالى قدسه فإن الله لم تسعه سمواته ولا أرضه ووسعه قلب عبده المؤمن فإذا تسنى ذلك فنى العبد عن رؤية السوى بما يشاهد فلا هو حال ولا مقال وانمحى الموحد بالواحد والذاكر بالمذكور فما ثم إلا الله فإن نطق فيه وإن سكن فيه ، فالأمر إثبات فى صورة محو .

وبكل صراحة فإن كلام الشيخ الجيلى رحمه الله لا يستطيع أن يفهمه الناس جميعا ، ولهذا أشجع عادة المعترضين على هذا الضرب من الشطحات الناتجة عن الغيبة بالله فى الله مما يطوى ولا يروى ، فالأمر ليس شرحا لاصطلاحات أو رموز بل يجب أن تفنى حتى عن الفناء وتبقى بالحق سبحانه لا بالبقاء لتعرف المقصد .

ولتفهم ما أعنى أقول : إنك لو ترجمت قصيدة مثل معلقة أمرئ القيس مثلا لا يسمعها عربى إلا ويطرب لها إلى لغة أجنبية وإن اتقنت الترجمة والنقل بما لا مزيد عليه فلن تستطيع أن تنقل منها إلا ألفاظ خاوية غير متماسكة لا يفهمها الأجنبى لأن العربى يسمع ويرى فيها كلاما وعواطف ومشاعر وأحاسيس فى الألفاظ وبين السطور لا يحسها غيره وهذا مركوز عند أهل كل لسان .

أقول إنه سقطت الأوصاف المذمومة بعدم الإحساس بعالم الملك والملكوت وبقيت الأوصاف المحمودة بالاستغراق فى عظمة القيوم ومشاهدة الحق فلا يرى فعله لأفعاله لقيام الله له فى ذلك فينطق بما لا يفهمه غيره لاختلاف المقام .

يقول السراج : الشطح فى لغة العرب هو الحركة فهو حركة أسرار الواجدين إذا قوى وجدهم فعبروا عن وجدهم ذلك بعبارة يستغرب سامعها . ألا ترى أن الماء الكثير إذا جرى فى نهر ضيق يفيض من حافتيه ؟

فيقال : شطح الماء فى النهر فكذلك المريد الواجد . فليس لأحد أن يبسط لسانه بالوقيعة فى أوليائه ويقيس بفهمه ورأيه ما يسمع من ألفاظهم وما يشكل على فهمه من كلامهم ولا يسمح ذلك إلا لمن بان شرفه وفضله بفضل علمه وسعة معرفته فله أن يتكلم فى

علل وإصابتهم ومن لم يسلك سبلهم ولم ينح نحوهم ولم يقصد مقاصدهم فالسلامة له في رفع الإنكار عنهم . وأن يكل أمورهم إلى الله تعالى [1] .

وأنت إذا تأملت الأبيات المذكورة للشيخ الجيلي رضي الله عنه أو أي شعر أو نثر بما يسم اصطلاحا بالشطح قد يقع بين يديك لن تجد فيه إلا الصفة دون الاسم ، لأن الخالق جعل للمخلوق منصفاته مظهرا فيجوز أن يقال إن فلانا قادر وعزيز وجبار ومهيمن وقوى ، فالمعنى في الموصوف لا في الصفة ذاتها .

يقول الحلاج رضي الله عنه : من ظن أن الإلهية تمتزج بالبشريه والبشرية بالإلهية فقد كفر فإن الله تعالى تفرد بذاته وصفاته عن ذوات الخلق وصفاتهم ولا يشبههم بوجه من الوجوه ولا يشبهونه [2] .

وأحاول أن أبسط لك الأمر أكثر فأقول : إنك إن تأملت كلام السيد الجيلي رضي الله عنه وجدت فيه قوله : (قد حزت) وقوله : (وذاتي مسماه) مما يشعرك بأن الأمر فرق لا جمع فهو قد أثبت الغير في نفيه ومثل هذه الألفاظ التي هي دعوى تصدر عن أهل المعرفة باضطرار ليست إلا عين التوحيد لأن قوله : (أنا هو) تعادل (انا لست هو) وذلك لانتفاء الغير المقابل في الوجدان حال الحال فلا يشهد وتتنذ سوى القيوم قلبا وعيانا .

قوله أقماه الله - إني رب للأنام وسيد جميع الورى - ادعاء للربوبية صريح يكفر صاحبه ولا يصح تأويله بغير الكفر أبدا كما أن قوله - لي الملك في الدارين - ظاهر بل هو نص صريح في ادعاء الربوبية أيضا . والعجب ممن يدعون التصوف اليوم أنهم إذا ذكروا هؤلاء الزنادقة الحلوليين يترضون عنهم ويترحمون عليهم كأنهم لم يعلموا أن الرضا بالكفر كفر وأن من يترحم على كافر فضلا عن أن يترضى عنه فقد ارتكب الجرائم وجنى على نفسه أعظم جناية .

قال قيس بن الخطيم

نحـــن بما عـــندنا وأنت بما عـــــندك راض والـرأي مخــــتلف

1) اللمع - للسراج الطوسي - ص 453 .

2) الحياة الروحية في الإسلام - د . محمد مصطفى حلمي ص 116 .

والمقصود – أخي المسلم – مما ذكرنا أن دعوى الكشف والتجلي هي التي جرت القوم إلى القول بالحلول ووحدة الوجود ثم إلى ادعاء الربوبية المطلقه والعياذ بالله تعالى من الحور بعد الكور ومن الغواية بعد الهداية .

لو أن المصنف من ذوي الإطلاع والإدراك لما يتحدث عنه لما جعل القول بالحلول ووحدة الوجود وادعاء الربوبية مترادفات إذ كل منهن تناقض الأخرى ، وأيضا بالرجوع إلى الأبيات المذكورة سابقا للجيلي رضي الله عنه يتضح أن الأمر شطح لا أكثر ، ولا أقل إذ أن الغير ظاهر في كل الأبيات .

وإننا إذ يعجبنا من المصنف أن يعترض على هذا الكلام فالأمر لا يعني أن يتهم قائليها بما لم يكن أصلا والباب مفتوح على مصراعية أمام المصنف وغيره ليجدوا في سيرة أو كتب الشيخ الجيلي ما يثبت مثل هذه الافتراءات .

نعم قد يوجد ما يستعصى فهمه علي غير أهل الشأن ولكن من غير المنطقي ولا المعقول أن يجعل غيرهم من عدم فهمه سلما يصعد عليه للنيل من قممهم الشامخة في الفكر الإسلامي وهم رضي الله عنهم لا يدعون أحدا لأن يكون منهم أو لا يكون ، وما عسى أن يقول القائل في أناس نبذوا الدنيا بأسرها وراءهم وجعلوا غذاءهم العلم وسمرهم الذكر واستراحتهم المراقبة وخلوقهم الدموع ونومهم السهاد فأرواحهم بلذاذة السنة غامرة وقلوبهم بالرضاء في الأحوال كلها عامرة ، إلحاق العلم بالعمل سرورهم ومجالس الذكر حبورهم وأهل الإسلام قاطبة إخوانهم وأهل الإلحاد والبدع بأسرها أعداؤهم .

الأصل السابع

*الفناء . . . من أصول المتصوفة الفناء وحقيقته أن المريد إذ داوم على الإكثار من الذكر تحصل له بذلك طمأنينة القلب . (**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**) ثم يعتريه الذهول ثم السكر بحب المذكور ثم الفناء عن الأكوان بمعنى أن لا يرى شيئا ثم يفنى عن الفناء حتى إذا وصل إلي هذا الحد انمحق الغير والغيرية بهدم جميع الرسوم والأطلال وانمحاق جميع الآثار فلم يبق إلا معاينة الحق في الحق للحق بالحق ويعرفون الفناء بأنه :*

عبارة عن اضمحلال الكائنات – في نظرهم – مع وجودها وأنه الغيبة عن نسبة أفعالهم إليهم . وهو بان يكون الولي بحال لا يشاهد فيها شيئا غير الله تعالى كما لا يشاهد في النهار الكواكب إذا طلعت الشمس .

تعريف الفناء

المقصود بالفناء عموما هو سقوط الأوصاف المذمومة ويقابله البقاء وهو وجود الأوصاف المحموده ، أي فناء الجهل ببقاء العلم وفناء المعصية ببقاء الطاعة وفناء الغفلة ببقاء الذكر وفناء رؤية حركات العبد ببقاء رؤية عناية الله تعالى في سابق العلم ، وهذا يعني فناء إرادة العبد في إرادة الله بالله لا فناء الوجود في الوجود فإن هذا يستلزم المجانسة وهي معدومة فجنس المخلوق غير جنس الخالق .

*هذا وعندما توزن أقوالهم هذه في الفناء في ميزان الشرع وينظر إليها بمنظار الوحي الكتاب والسنة لم يبق منها إلا ما يحصل للقلب المؤمن من الطمأنينة والهداية بذكر الله تعالى وعلى شرط أن يكون الذكر بالمشروع من الأذكار وعلى النحو الذي جاء الشارع به وبينه في الكمية والكيفية وذلك لقوله تعالى (**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**) .*

مخالفة ابن القيم للمصنف السلفي في الفناء

إن المصنف يعرف ما يعني الفناء في الكتاب والسنة ، ولكنه يأبى إلا أن يضع له شروطا ونهايات ونتائج تتفق مع رأيه باسم الشرع ، وإن كان هو في جهة والصواب في الأخرى ، إذا لا يجحد الفناء إلا مكابر أو غافل .

يقول الشيخ ابن القيم رضي الله عنه : والفناء الذي يشير إليه القوم ويعملون عليه أن تذهب المحدثات في شهود العبد وتغيب في أفق العدم كما كانت قبل أن توجد ويبقى الحق تعالى كما لم يزل ثم تغيب صورة المشاهد ورسمه أيضا فلا تبقى له صورة ولا رسم ثم يغيب شهوده أيضا فلا يبقى له شهود ويصير الحق هو الذي يشاهد نفسه بنفسه كما كان الأمر قبل إيجاد المكونات وحقيقته أن يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل [1] .

---

1) مدارج السالكين – ابن قيم الجوزيه – ج 1 ص 80 .

وكلام ابن القيم – قيم جدا – وإن كان للأسف مخالفا لرأى المصنف « السلفى » إذ لم يضع له شروطا وبدايات ونهايات لأنه ببساطة أمر خارج عن الاختيار فهو يعرف الفناء بالتعريف الصحيح الذى يستحيل أن يصبح سواه وهو أنه فناء شهود لا فناء وجود وقد يكون الفناء ذكرا أو فكرا أو غلبة وجد ، ومن الذى يستطيع منع القلب عن الخفقان أو الرئة عن التنفس أو الدم عن الجريان فى العروق .

أما تلك الشطحات والترهات من السكر والذهول والفناء وفناء الفناء والانمحاق فإنها لا تعدو وكونها مقدمات كاذبة باطلة فاسدة وضعوها لتنتج لهم شر النتائج وأفسدها وهى الحلول والاتحاد ووحدة الوجود على حد قولهم إذا وصل المريد هذا الحد انمحق الغير والغيرية ولم يبق يشاهد إلا الله تعالى فتصبح الكائنات كلها بالله فى زعمهم – أقماهم الله ولعنهم – فما لهم عموا عن قول الله تعالى :

(ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) وقوله تعالى (قل هو الله أحد) وقوله تعالى (لم يكن له كفوا أحد) كما عموا عن قول الله تعالى (لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا) .

قال أبو الحسين النورى رضى الله عنه : أنا منذ عشرين سنه بين الوجد والفقد إذا وجدت ربى فقدت قلبى وإذا وجدت قلبى فقدت ربى (1) .

فالأمر استغراق كامل فى الله تعالى بضبط القوى ومراعاة الأنفاس حتى يفقد بنفسه الإحساس ، فإذا ذكر غيره سبحانه فقد استغراقه ، والمقصود بإيجاد القلب ذكر السوى فلا يتأتى أن يجمع بينه تعالي وسواه .

يقول الشهيد الحلاج شارحا لهذا الاستغراق : فنسى نفسه وما سوى الله فلو قلت من أين وأين تريد ؟ لم يكن له جواب غير قول الله (2) .

فإنه رحمه الله يشير إلى طى جميع المسافات من زمان ومكان فى حقيقية (فأينما

---

1) الرسالة القشيرية – الأستاذ القشيرى – ص 37 .

2) اللمع – السراج الطوسى – ص 499 .

تولوا فثم وجه الله) [1] فهي مشاهدة قلبية بيقين كامل للحقيقة ، ويحدث من جراء هذا الاستغراق أن يغيب الشهود في الشهود فينطق بما لا يفهمه إلا من كان له من الذوق نصيب .

(قيل لمجنون بني عامر أتحب ليلى ؟ قال : لا قيل : ولم ؟ قال : لأن المحبة ذريعة للوصلة وقد سقطت الذريعة فليلى أنا وأنا ليلى) [2] .

هذا حب مخلوق لمخلوق قد يكون لمنفعة أو حظ دنيوى فعل بالمحب ما فعل حتى قال إنه محبوبه فما بالك بمن أحب الكريم الودود الذى أمر بمحبته ورغب فيها (**يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين**) [3] .

ويا عجبا لمن يغفل أو يتغافل فيظن قيسا اتحد بليلى أو حل بها فأصبح هو عينها أو هي عينه .

وكان أبو بكرالهذلي (يحادث السفاح العباسي فعصفت الريح فأذرت ترابا وقطعا من الآجر من أعلى السطح إلى المجلس فجزع من حضر المجلس لوقوع ذلك وارتاع له والهذلي شاخص ببصره نحو السفاح لم يتغير كما تغير غيره . فسأله السفاح مستغربا عن سر ثباته ؟ فأجاب بقوله : يا أمير المؤمنين ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ، وإنما جُعل للرجل قلب واحد فلما غمره السرور بفائدة أمير المؤمنين لم يكن فيه لحادث مجال) [4] .

فيا أيها المعترض على شريف الأحوال وشريف الرجال هذا مخلوق فني في ملك من ملوك الدنيا سرورا بفائدته رغبة أو رهبة حتي خرق العادة فعلام الاعتراض علي من فني في ملك الملوك فسقط عن قلبه كل ما سواه ؟ .

---

1) البقرة – 115 .
2) لوامع الأنوار – عبد الحافظ بن محمد ص 115 .
3) المائدة - 54 .
4) ذكرها الجاحظ ، ورواها أيضا المسعودى فى مروج الذهب ج 2 ص 210 ، ورواها أيضا محمد بن الازرق الاندلسي فى كتابه بدائع السلك فى طبائع الملك – ج 2 ص 262 .

وكان معاوية بن أبي سفيان يحادث يزيد بن شجرة ويزيد مقبل على حديثه بكليته فصك جبينه حجر عائر فأدماه فجعلت الدماء تسيل علي وجهه ولحيته وثوبه وغير ذلك فلم يتغير عما كان عليه من الاستماع فقال له معاويه : لله أنت يا ابن شجرة أما تري ما نزل بك ؟ قال : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال هذا دم يسيل على ثوبك قال : أعتق ما أملك إن لم يكن حديث أمر المؤمنين ألهاني حتى غمر فكري وغطى على قلبي فما شعرت بشئ حتى نبهني عليه أمير المؤمنين (1) .

وبناء علي منطق المصنف وأمثاله فإن يزيد حل بمعاوية أو على أحسن الأحوال اتحد به .

ويزيد المذكور هو يزيد بن شجرة بن أبي يزيد الرهاوي اختلف في صحبته ، قال ابن معين والبخاري له صحبه وعده البعض في الطبقة الأولى من التابعين من أهل الشام ، وفي كلا الحالتين من المحال أن ينطق بغير الحق فإن كان صحابيا فقد انعقد الإجماع على عدالتهم وإن كان تابعيا فهو من أهل الصدق لا محالة .

إن الفناء الذي نتكلم عنه هو امتلاء للقلب بنور الله تعالى لا بسواه ، مذاق رائق وإحساس شائق ورهافة حس وصدق شعور ومعاينة للملكوت بعين الفؤاد مما يجعله عزيزا إلا على من وفق الله .

قال ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه :

وهذا لسان الكون ينطق جـــــهرة	بأن جميع الـــــــكائنات قواطع
وأن لا يرى وجه السبيل سوى امرئ	رمى بالسوى لم تختدعه المطامـــع
ومن أبصر الأشياء والحق قـــبلها	فغيب مصنوعا بمن هو صـــانـــع (2)

وكي تعلم أيها المسلم أنا لا نكذب على القوم ولا نشنع عليهم بغير باطلهم وما هم عليه من الكفر والزيغ والإلحاد فلنسمع إلى إمامهم محي الدين بن عربي وهو يقول : سبحان من خلق الأشياء وهو عينها . أليس قوله هذا هو عين وحدة الوجود؟

1) مروج الذهب – للمسعودي – ج 2 – ص 212 .

2) التنوير في إسقاط التدبير – ابن عطاء الله السكندري – ص 18 .

سيأتي الكلام مفصلا عن هذه العبارة في الفصل الأخير إن شاء الله .

ولنسمع إلى قوله أو لإخوانه من أئمة الصوفية :

فيـــحمدني وأحـــمده ويعـــبدني وأعـــبده

إن معنى هذا القول في هذا البيت من الناظم الفاجر أن الرب تعالى قد حل في الشيخ فأصبحا واحدا يحمد بعضهما بعضا ويعبد بعضهما بعضا . أي كفر أعظم من هذا وأي افتراء ودجل أقبح من هذا .

يااللاطلاع الواسع والعقل الراجح الذي يجعل من صاحبه يعقل أن ينطق مخلوق بأن الله تقدس اسمه يعبده مما لم يقل به أحد منذ بدء الخليقة إلى اليوم ، فإن غاية الانحراف الإنساني كانت إلي الكفر أو إلى الشرك أعاذنا الله والمسلمين .

ثم إنه لا يقبل ولا يسمح للمصنف بأن يفسر كلام السادة الصوفية خاصة وأن رأيه في هذا الشأن معروف . فليسلم القوس إلى باريها كما يسلم إلى النحاة نحوهم وإلى الاقتصاديين حسابهم وإلى أهل القانون قانونهم مع أن جميع أرباب الفنون يجوز عليهم الغش والتدليس والخداع والكذب إلا أهل مقام الإحسان الذين يراقبون الله تعالى في كل أحوالهم ، فلا يتكلم أو يفسر شعر السادة الصوفية إلا هم .

يقول الشعراني رضي الله عنه شارحا لهذا البيت : معنى يحمدني أنه يشكرني إذ أطعته كما في قوله تعالى : (**اذكروني أذكركم**) وأما في قوله فيعبدني وأعبده أي يطيعني بإجابته دعائي كما قال تعالى (**لا تعبدوا الشيطان**) أي لا تطيعوه [1] .

ولنسمع إلى الجيلي أحد أئمة المتصوفة يقول مقررا للحلول والاتحاد :

وأنـــي رب للانام وســـيد جمـــيع الورى اســـم وذاتي ســـماه

فقد بالغ الشيخ في ضلاله حتى أصبح يخبر بأنه هو الله لا غيره كل هذا ناتج عن سكرة الحب الكاذب وضلال الفناء وباطل الانمحاق وانهدام الغيرية كما يزعمون ويفترون .

---

1) اليواقيت والجواهر – الشيخ عبد الوهاب الشعراني – ج 1 ص 13 .

عودة إلى الشيخ الجيلي رضي الله عنه

للسيد عبد الكريم الجيلي رضى الله عنه المولود فى 767 هـ والمتوفى فى 832 هـ عشر مؤلفات وهى :

الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل وهو من أشهر مؤلفاته وقد طبع مرارا ، وكتاب الكهف والرقيم فى شرح بسم الله الرحمن الرحيم وهو مطبوع أيضا ، وكتاب المناظر الإلهية ، وكتاب رسالة السفر القريب ، وكتاب حقيقية اليقين ، وكتاب مراتب الوجود ، وكتاب شرح مشكلات الفتوحات المكية ، وكتاب الكمالات الإلهية فى الصفات المحمدية ، وكتاب قاب قوسين وملتقى الناموسين . وكل هذه الكتب مخطوطة ولم تطبع بعد .

أما أعظم كتبه على الإطلاق فهو الناموس الأعظم والقاموس الأقدم يتكون من أربعين جزءا لا زال بعضها مخطوطا . والشيخ الجيلى رضى الله عنه من المتفق على علمهم وغزارة معرفتهم عند أهل المعرفة .

ونحن وإن كنا قد تكلمنا عن هذه الأبيات فيما سبق ولم نشأ التوسع فى الإجابة صونا لهذه الأحوال الشريفة عن أن تكون خوضا لكل وارد أو أن يدعيها كل دارج وداب وراقد ، ولكن حيث أبى المصنف السلفى إلا تكرار الحديث فإننا سننقل رأى الشيخ أحمد بن تيمية رحمه الله فى هذا الموضوع فإنه يتحدث عن الفناء المؤدى إلى النطق بمثل هذه الشحطات الناتجة عن غلبة الشهود فيقول :

الفناء عن شهود السوى وهذا يحصل لكثير من السالكين فإنهم لفرط انجذاب قلوبهم إلى ذكر الله وعبادته ومحبته وضعف قلوبهم عن أن تشهد غير ما تعبد وترى غير ما تقصد لا يخطر بقلوبهم غير الله بل ولا يشعرون كما قيل فى قوله تعالى : **(وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها)** . قالوا : فارغا من كل شئ إلا ذكر موسى ، وهذا كثير ما يعرض لمن دهمه أمر من الأمور : إما حب وإما خوف وإما رجاء ، يبقى قلبه منصرفا عن كل شئ إلا عما أحبه أو خافه أو طلبه ، بحيث يكون عند استغراقة فى ذلك لا يشعر بغيره .

فإذا قوى على صاحب الفناء هذا فإنه يغيب بموجوده عن وجوده وبمشهوده عن

شهوده وبمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن معرفته حتى يفني من لم يكن وهى المخلوقات المعبدة ممن سواه ويبقى من لم يزل وهو الرب تعالى والمراد فناؤه عن شهود العبد وذكره ، وفناؤه عن أن يدركها أو يشهدها وإذا قوى هذا وضعف المحب حتى يضطرب فى تمييزه فقد يظن أنه هو محبوبه . كما يذكر أن رجلا ألقى نفسه فى اليم فألقى محبه نفسه خلفه فقال : أنا وقعت فما أوقعك خلفى ؟ فقال : غبت بك عنى ظننت أنك إنى (1) .

فهذا يا أيها المصنف « السلفى » وكل من يرى رأيك من هؤلاء الذين ظهروا بيننا .كالورم الخبيث ممن لا يحسنون قضاء الحاجة وآدابه الإسلامية ويخوضون مع ذلك فى ما لا يعلمون ويدعون ما لا يفهمون كلام الشيخ أحمد بن تيمية رضي الله عنه الذى تتقمصون شخصيته والذى قلنا مرارا وتكراراً إنكم لا تعرفون منه إلا شعارا ترفعونه وتتحدثون باسمه وعند البحث والتحقيق نجد أنكم مذبذبون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء خالفتم الجميع وفرقتم الأمة وشتتم جمعها وخدعتم السذج والبسطاء باسم انتمائكم لمدرسة ابن تيمية وسلفيته التى فهمتوها بضعيف فهمكم وضئيل علمكم على أنها مقدمة على الكتاب والسنة بل ولم تفهموا منها إلا ماحسنه لكم غمطكم للحق الجلى وجحودكم للنور المبين فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولولا خوفنا أن يتذرع بكتابنا هذا المدعون فينطقون بما يظنونه مباح النطق به طوعا وأختياراً لا غلبة وقهرا لنقلنا الكثير من هذا عن الشيخ أحمد بن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما من علماء الأمة سلفا وخلفا .

ولا بأس بالرغم من هذا من ذكر تعليق جميل ونفيس للشيخ ابن تيمية على أحد الأحاديث النبوية الشريفة فإنه يقول : روى البخارى فى صحيحه عن أبي هريرة عن النبى قوله تعالى : من عادى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة فقوله : من عادى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة فجعل معادة عبده الولى معاداة له فعين عدوه عين عدو عبده وعين معاداة وليه عين معاداته ليساهما شيئين متميزين (2) .

---

1) العبودية – الشيخ أحمد بن تيمية – ص 44 .

2) الرسائل والمسائل – أحمد بن تيمية – ص 52 .

وبالجملة إن الفناء لم يرد به كتاب ولا سنة ولا عرفه سلف هذه الأمه . وإنما هو خدعة صوفية وخلسة شيطانية من وضع اليهودية العالمية والمجوسية الفارسية توصل بها الى تكفير الكثير من المسلمين بإدخال عقائد المجوس والنصارى فى عقائدهم الإسلامية وهكذا يفعل الأعداء والويل لمن لم يعرف عدوه .

اتصال المجوسية العالمية بأحد الصحابة

روى ابن المبارك فى الزهد من طريق ضمرة بن حبيب : أن الصحابى أبا ريحانة الأنصارى قفل من غزوة له فتعشى ثم توضأ وقام إلى مسجده فقرأ سورة فلم يزل في مكانه حتي أذن المؤذن فقالت له امراته : يا أبا ريحانه غزوت فتعبت ثم قدمت أفما كان لنا فيك نصيب ؟ قال : بلى والله . ولكن لو ذكرتك لكان لك حق . قالت فما الذى شغلك ؟ قال : التفكير فيما وصف الله فى جنته ولذاتها حتي سمعت المؤذن (1) .

ويبدو أن المجوسية الفارسية واليهودية العالمية قد اتصلتا بهذا الصحابى واقنعتاه بأن يغيب عن الدنيا وما فيها فلا يذكرحتي زوجته بعد طول غياب ولا يأوى لفراش ولا يخلد لراحة فالويل لمن لا يعرف عدوه .

وعن أم المؤمنين السيدة عائشة وأنس رضي الله عنهما « **أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بقوم يلقحون فقال : لو لم تفعلوا لصلح . فخرج شيصا فمر بهم فقال : ما لنخلكم ؟ قالوا قلت كذا وكذا قال : أنتم أعلم بأمر دنياكم** » (2) .

ترى أكان الرسول صلى الله عليه وسلم الذى ولد وعاش هو وآباؤه في مكه والمدينة ولا يزرع فيهما إلا النخل كان يجهل فائدة التأبير للنخل (3) ، الأمر الذى يعرفه حتي

---

1) انظر الإصابة فى تمييز الصحابة - ابن حجر العسقلاني ج 2 ص 153 ترجمه رقم 3921

2) رواه مسلم بهذا النص ، ونص آخرمشابه ورواه كل من أحمد وابن ماجه .

3) فسر بعض العلماء هذا الحديث بان النبى لا يشترط فيه أن يكون خبيرا بفنون الزراعة - أنظر المذاهب الفقهية للشيخ أبو زهرة ص 10 . وفاتهم أن مثل هذا الأمر لا يستلزم خبرة ولا مهارة و قد نطق النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث بعد الهجرة أى أنه لا ريب كان يعلم مثل هذه الأمور البديهية وخير من فسر هذا الحديث الشيخ عبد العزيز الدباغ . أنظر الأبريز ص 193 .

الأطفال ممن يعيشون في بيئة مماثلة أم أنه – وهو الصحيح – كان فانيا عن رؤية الأسباب باقيا برؤية المسبب فلا يخفق قلب أو يضرب عرق أو تطرف عين أو يخرج ثمر إلا وفاعله الله تعالى وهذا هو الإيمان الذي تخرق به العوائد وتنفعل به الأشياء فإن لقحت النخلة أم لم تلقح لن يخرج الثمر إلا بإذنه تعالى وإرادته وعلى الكيفية التي أراد .

قال ابن القيم رحمه الله : (والفناء في هذا التوحيد مقرون بالبقاء وهو أن تثبت إلهية الحق تعالى في قلبك ؛ تنفي إلهية ما سواه) [1] فلا فاعل ولا موجد ولا قادر إلا هو سبحانه .

الأصل الثامن

الظاهر والباطن والشريعة والحقيقة . . . إن من أصول المتصوفة وقواعد طرقهم البدعية تقسيم العلم إلى ظاهر وباطن .

علم الظاهر وعلم الباطن

قال صلى الله عليه وسلم : « **العلم علمان علم ثابت في القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجة الله على خلقه** » [2] .

فمن الغريب أن يسمى بعد ذلك تقسيم العلم إلى ظاهر وباطن ابتداعا . ثم إنه ليس السادة الصوفية فقط هم الذين يقولون بهذا بل يكاد يكون كافة أهل العلم مجمعون عليه ومن بينهم – وباللأسف – الشيخ ابن تيمية رحمه الله فإنه يقول : علم الباطن الذي هو علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها وهو علم بحقائق الإيمان الباطنة وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهر [3] .

وإن كان السادة الصوفية جريا على عادتهم في شدة التمسك بالشرع الشريف تكلموا عنه بصورة أكثر وضوحا .

---

1) مدارج السالكين – ابن قيم الجوزية – ج 3 ص 312 .

2) رواه الخطيب بإسناد حسن ، ورواه ابن عبد البر مرسلا بإسناد صحيح ، أنظر الترغيب والترهيب ج 1 ص 67 ، وأنظر كتاب الإيمان لابن تيميه ص 14 .

3) الفرقان – احمد بن تيمية – ص 82 .

يقول الشيخ أحمد الرفاعي رضي الله عنه : هذا العلم الذى سماه بعضهم بعلم الباطن هو إصلاح القلب فالأول عمل بالأركان وتصديق بالجنان ، إذا انفرد قلبك بحسن نيته وطهارة طويته وقتلت وسرقت وزنيت وأكلت الربا وشربت الخمر وكذبت وتكبرت وأغلظت القول فما الفائدة من نيتك وطهارة قلبك ؟ وإذا عبدت الله وتعففت وصمت وتصدقت وتواضعت وأبطن قلبك الرياء والفساد فما الفائدة من عملك (1) .

وأضافوا إلى الدين الإسلامي (الطريقة) وقالوا إن الطريقة هي الوسيلة والثمرة هي الحقيقة وهذا التقسيم للعلم والشريعة وتلك الإضافة للدين لا شك أنه من أكبر الاحداث في دين الله تعالى وسبحان الله كيف يتصرفون في دين الله وكأنهم مأذون لهم بالزيادة والنقصان ؟ وكأنهم عموا عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلاله » وقوله : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » .

الشريعة والطريقة والحقيقة

لقد تكلم السادة الصوفية في هذا الأمر ووضحوه بما لا مزيد عليه ، قال الشيخ عبد القادر عيسى : لقد ورد في حديث جبريل المشهور الذى يرويه عمر بن الخطاب رضي الله عنه . تقسيم الدين إلى ثلاثة أركان بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم لعمر : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم .

1 – فركن الإسلام : وهو الجانب العملي من عبادات ومعاملات وأمور تعبديه ومحله الأعضاء الظاهرة الجسمانية وقد اصطلح العلماء على تسميته بالشريعة واختص بدراسته السادة الفقهاء .

2 – وركن الإيمان : وهو الجانب الاعتقادى القلبي من إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر وقد اختص بدراسته السادة علماء التوحيد .

3 – وركن الإحسان : وهو الجانب الروحي القلبي . وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وما ينتج عن ذلك من أحوال وأذواق وجدانية ومقامات عرفانية

---

1) البرهان المؤيد – للشيخ أحمد الرفاعي – ص 68 .

وعلوم وهبية . وقد اصطلح العلماء على تسميته بالحقيقة واختص ببحثه السادة الصوفية .

ولتوضيح الصلة بين الشريعة والحقيقة نضرب لك مثلا ، الصلاة فالإتيان بحركاتها وأعمالها الظاهرة والتزام أركانها وشروطها وغير ذلك مما ذكره علماء الفقه يمثل جانب الشريعة وهو جسد الصلاة وحضور القلب مع الله تعالى في الصلاة يمثل جانب الحقيقة وهو روح الصلاة . فأعمال الصلاة البدنية هي جسدها والخشوع روحها وما فائدة الجسد بلا روح ؟ وكما أن الروح تحتاج إلى جسد تقوم فيه فكذلك الجسد يحتاج إلى روح يقوم بها .

ولهذا قال تعالى : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) ولا تكون الإقامة إلا بجسد وروح ولذا لم يقل أوجدوا الصلاة . ومن هنا ندرك التلازم الوثيق بين الشريعة والحقيقة كتلازم الروح والجسد . والمؤمن الكامل هو الذي يجمع بين الشريعة والحقيقة وهذا هو توجيه الصوفية للناس مقتفين بذلك أثر الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام . وللوصول إلى هذا المقام الرفيع والإيمان الكامل لا بد من سلوك الطريقة وهي مجاهدة النفس وتصعيد صفاتها الناقصة إلى كاملة والترقي في مقامات الكمال بصحبة المرشدين فهي الجسر الموصل من الشريعة إلى الحقيقة [1] .

ولا أظن أن الشيخ عبد القادر عيسي ترك مجالا للزيادة أو التوضيح فالشريعة هي الأساس والطريقة هي الوسيلة والحقيقة هي الثمرة وهي أشياء متكاملة منسجمة فالتمسك بالشريعة يؤدي إلى السلوك على الثانية ويصل إلى الثالثة ، وأما الاصطلاحات فبالإمكان حذفها ووضع غيرها فالأمر لا يقدم أو يؤخر شيئا .

ولنثبت ما لا يحتاج إلى إثبات من أن المصنف وقبيله – سامحهم الله بمنه وكرمه – لا يعني اتباعهم للشيخ ابن تيمية إلا التظاهر وترديد اسمه كعنوان يكتبون تحته ماشاءوا باسم سلفية ابن تيميه ومدرسته لخداع السذج الذين يتطلى عليهم زخرف القول غروراً لتحقيق مآربهم وأغراضهم .

---

1) حقائق عن التصوف – الشيخ عبد القادر عيسى – ص 473 – 474 .

ننقل رأى ابن تيمية فى هذا الموضوع فإنه يقول : والحقيقة حقيقةالدين دين رب العالمين هي ما اتفق عليها الأنبياء والمرسلون وإن كان لكل منهم شرعة ومنهاج فالشرعة هى الشريعة قال تعالى (**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**) وقال تعالى (**ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين**) والمنهاج هو الطريق قال تعالى (**وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا**) فالشرعة بمنزلة الشريعة للنهر والمنهاج هو الطريق الذى سلك فيه والغاية المقصودة هي حقيقة الدين وهى عبادة الله وحده لا شريك له وهي حقيقة دين الإسلام [1] .

ويا حبذا لو أن المصنف - زاده الله علما - زيادة فى الخيرألف كتابا قيما آخر مثل هذا الذى بين أيدينا فى الرد على ابن تيمية الذى قسم الدين إلى شريعة وطريقة وحقيقة ، فإن هذا من أكبر الإحداث فى دين الله تعالى وكأنه - حاشاه - قد عمى عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « **من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد** » .

وسبحان الله كيف لا يتورعون عن الكذب على أئمة الإسلام فينسبون إليهم شر البدع وأسوأها ولنسمع إلى ما يقولون عن مالك إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى القائل من ابتدع فى الإسلام بدعة فرآها حسنة فقد زعم أن محمدا خان الرسالة وذلك لأن الله تعالى يقول (***اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا*** *) إنهم قالو إن مالكا رحمه الله تعالى قال من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن جمع بينهما فقد تحقق . فانظر كيف يفترون على مالك الكذب وهو السيف المصلت على رؤوس المبتدعين وهم يعلمون ليبرروا لكذبهم وما وضعوا من أصول وقواعد لم ينزل الله بها من سلطان وكأنهم على وفاق مع واضعى قاعدة - الغاية تبرر الواسطة - وهم اليهود وإلا فقل لى بربك كيف يكذبون على إمام جليل من أئمة الإسلم مثل هذا*

---

1) الفرقان - أحمد بن تيمية - ص 74 - 75 .

الكذب الفاضح الممقوت ..

فهل من المعقول أن يقول عالم بشريعة الله قائم بنشرها وتعليمها والذب عنها كمالك رحمه اله تعالي من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق أى صار طالبا للفسق قائما به والرسول صلى الله عليه وسلم يقول « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » وهل التصوف عرف فى عهد مالك وأصبح ذا شأن حتى يقول مالك ما قالوا من الكذب والباطل ؟ اللهم لا . لا . إن التصوف لم يظهر ولم يعرف بين المسلمين إلا بعد انقراض أهل القرون المفضلة وأخذ الشر والفساد ينتشران فى بلاد المسلمين

فقلت له هداك الله مهلا وخير القول ذو اللب المصيب

الإمام مالك والتصوف

لقد مللنا من تكرار أن الدعاوى لا تثبت بمثل هذا الأسلوب الساذج البسيط والتهويلات والخطب الصبيانية بل بالأسلوب العلمى الصحيح ، فلو أستمعنا إلى كل من نفى فى الدين أو أثبت ما يتفق مع وجهة نظره لأصبح عندنا أديانا بعدد البشر ولما صحت فى الوجود حقيقة واحدة .

فأولاً : إن هذه العبارة رواها كبار علماء المذهب المالكى عن الإمام مالك خلفا عن سلف وهى موجودة فى :

1) حاشية العلامة العدوى على شرح الإمام الزرقانى على متن العزية فى الفقة المالكى ج 3 ص 195 .

2) موجودة أيضا فى كتاب شرح عين العلم وزين الحلم للإمام ملا على القارى انظر جز 1 ص 33 .

3) وعلي مستوى كبار المؤرخين وثقاتهم ذكرها ابن خلدون عن الإمام مالك في كتاب شفاء السائل لتهذيب المسائل .

4) وذكرها الشيخ أحمد زروق فى قواعد التصوف - ص 13 قاعدة رقم 4 ، والتنائى فى شرحه على ابن رشد ص 5 ، والشيخ ميارة فى شرحه على ابن عاشر .

وكل هؤلاء ليسوا من أهل التصوف باستثناء الشيخ أحمد زروق والذى هو من كبار علماء المذهب المالكي أيضا ، وهذا علي مستوى أمهات المراجع فقط أما غيرهم فالعدد يخرج عن الحصر .

وعليه فإن أردت - ياحفظك الله - أن تثبت خطأ أو صواب نسبة هذه العبارة إلى الإمام مالك فتتبعها فى مظانها ومصادرها بالدراسة والتحقيق دراية ورواية ثم تجدنا آذانا صاغية نسمع ونحترم وجهة نظرك وحتى إن اختلفنا معك فبأسلوب علمي يقوم على الحجة والبرهان أما ما بين أيدينا منك الآن فهو كما قال الشاعر :

إن هو مستوليا على أحد ... إلا على أضعف المجانين

فهل ترى كل هؤلاء وعلى رأسهم أكبر مؤرخى العرب والإسلام بلا منازع على خطأ وأنت يا أيها المصنف على صواب .

ثانيا : إن تفسير كلام الإمام مالك ليس كما ذكرت بل هو كما يلي :

تزندق الأول : لأنه نظر إلى الحقيقة مجردة عن الشريعة فقال إن الإنسان لاخيار له .

وتفسق الثاني : لأنه لم يدخل قلبه نور التقوى وسر الإخلاص وواعظ المراقبة وطريقة المحاسبة فكان عمله جسدا بلا روح .

وتحقق الثالث : لأنه جمع أكان الدين وهى الإسلام والإيمان والإحسان .

ثالثا : إن الإمام مالك رحمه الله توفى سنة 179 هـ فى المدينة المنورة وقد قلنا سابقا إن لفظ ومعنى التصوف كانامعروفين قبل ذلك التاريخ بكثير فليراجع .

رابعا : ليس عندنا للسباب والشتائم وباطل الاتهامات جواب إلا الدعاء بالهداية والمغفرة .

والذى لا يشك فيه أن للقوم من وراء وضع هذا الأصل أهدافا يهدفون إليها ويريدون تحقيقها والوصول إليها وهى تتلخص فى النقاط التالية :

** تحويل أمة الإسلام إلى أمة سلبية لا تبدى ولا تعيد تعيش على الفقر والتزهد والاتكال حتى تبيد وتفنى وهذا هو الهدف الرئيسي الذى من أجله وضع التصوف*

وشارك في وضعه ونشره والدعوة إليه أكبر خصوم الإسلام وأعدائه من زنادقة اليهود والنصارى والمجوس وساعدهم على ذلك أغرار المسلمين وجهلهم مع الأسف الشديد .

اللهم نسألك العصمة من الزلل والحفظ من الخطل .

أما كون الفقر والزهد والتوكل من الأمور التي اشتهرت عن الصوفية بل وأصبحت تكاد تكون من خصائصهم فهذا صحيح ، ولكن غير الصحيح هو أن هذه الصفات تجعل من أمة الإسلام لا تبدى ولا تعيد ومن ثم تبيد وتفنى ، وها هم المسلمون اليوم من أغنى شعوب المعمورة ومع هذا فأراضيهم مغتصبة وحقوقهم مهدرة ، وقد كان المسلمون قبل غزوة بدر في فقر مدقع وانتصروا في معركة غيرت مجرى التاريخ الإنساني قاطبة وكان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يوقد في بيته نار لعدة شهور وإنما يأكل وأهله الأسودين التمر والماء [1] وكان يعصب عل بطنه الشريف الحجر من الجوع ، وكان أزهد الناس وما زادته هذه الصفات ، إلا شرفا إلى شرف ، وأما توكله وأصحابه على الله تعالى فلا أظن أن مسلما يجادل في حقيقته .

ونحن هنا نتحدث عموما فقط لنبين أن الفقر والزهد والتوكل التي يريد المصنف أن يعيب بها أهل التصوف ليست إلا الإسلام ووقتما اتصف المسلمون بهذه الصفات حقيقة دانت لهم مشارق الأرض ومغاربها . أما على التخصيص فقد قال الله تعالى : (والله الغني وأنتم الفقراء) [2] .

وعن سهل الساعدي رضي الله عنه قال : « مر رجل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لرجل عنده جالس : ما رأيك في هذا ؟ فقال : رجل من أشراف الناس ، هذا والله حرى إن خطب ينكح وإن شفع يشفع ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مر رجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما رأيك في هذا ؟ فقال : يارسول الله هذا من فقراء المسلمين هذا حرى إن خطب أن لا ينكح وإن شفع أن لا يشفع وإن قال أن لا يسمع

1) متفق عليه .
2) محمد - 38 .

لقوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا خير من ملء الأرض من هذا » [1] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره » [2] ، وقـــال : « اطلعت في الجنة فرايت أكثر أهلها الفقراء » [3] ، وقال « يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام » [4] .

ومما جاء في الزهد ، قوله صلى الله عليه وسلم : « ازهد في الدنيا يحبك الله » [5] ، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم مثالا للزهد في الدنيا وزخرفها الباطل ولو شاء لكان ملكا رسولا .

وعن أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها : « كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدم وحشوه من ليف » [6] . وعنها أيضا : « توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في بيتي شئ ياكله ذو كبد إلا شطر من شعير في رف لي فاكلت منه حتى طال على فكلته ففنى » [7] ، وعنها أيضا : « ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض » [8] .

وأما ما جاء في التوكل فإنه يخرج عن الحصر ، قال تعالى : (وعلى الله

---

1) متفق عليه .
2) رواه مسلم .
3) متفق عليه .
4) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .
5) رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد صحيحه ، قال النووى حديث حسن انظر رياض الصالحين ص 146 .
6) رواه البخارى .
7) متفق عليه .
8) متفق عليه .

فليتوكل المؤمنون) [1] ، وقال جل اسمه : **(ومن يتوكل على الله فهو حسبه)** [2] ، وقال صلى الله عليه وسلم : « **لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطاناً** » [3] .

والخلاصة أن ما قاله المصنف عن اتصاف الصوفية بالفقر والزهد والتوكل هو عين الحقيقة وهم فى التزامهم بهذا ممتثلين لأمر الشارع وقد شرحوا هذه الأمور وتحدثوا عنها وبينوا أن الفقر ليس عدم كسب المال والسعي لتحصيله من طريق المباح بل ببذله فى أوجه الخير والإحسان إن وجد والصبر عنه إن فقد وحمد الله وشكره علي كل الأحوال ، وأن الزهد يكون في القلب لا فى اللباس ، وكذلك التوكل لا يعنى ترك الاكتساب بالقلب والبدن والسقوط على وجه الأرض بدون حراك كقطعة الثوب فإن هذا حرام فى الشرع ولا يظن التوكل هكذا إلا الجهال .

وكان السرى السقطى تاجرا والشاذلى يمتلك مزارعا ومواشى ومحمد بن عيسى يمتلك فى مكناس بالمغرب أرضا وثيرانا للحرث ويساعد بها فقراء المسلمين أيضا حسب ما هو مشهور وكان له خدم فى داره وكان يعطى مريديه وتلاميذه النقود بل ويستأجر العمال والفعلة ليذكروا الله معه ، وأنت لو تأملت أسماء السادة الصوفية لوجدت : القواريري ، الخراز ، الحلاج ، الحداد ، الخواص ، الوراق ، البزار ، السماك ، البناء ، الحرار ، راعي الابل ، النجار ، الدباغ ، وغيرها وكلها أسماء لمهن غلبت على أسماء أصحابها .

نعم عاش السادة الصوفية الفقر والزهد والتوكل والتزموا بها ، فإن كان على هذا اعتراض فما أعذب الاعتراض على القلوب إن كان على الالتزام بأوامر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

استباحة المحرمات وغشيان كبائر الإثم والفواحش وبخاصة المشائخ المربين من رؤساء الطرق تستراً تحت شعار قولهم الحقيقة غير الشريعة فكم ارتكبت من

1) إبراهيم - 11 .
2) الطلاق - 3 .
3) رواه الترمذي ، وقال حسن صحيح .

فواحش واستبيحت من حرمات بدعوى أن الحقيقة غير الشريعة ، إذ يجوز لصاحب الحقيقة ما لا يجوز لصاحب الشريعة فى حكمهم وما تقتضيه أصولهم .

قال الشيخ جمال الدين الميلادي :

مهلا يا صاحبـــــى عفوا ومعذرة — أعد لى رشدى فإن الحـــــال أبكانى
من ذا الذى يدعى التقـويم من عوج — والدين فى خـطر والناس فى شـــان
الدين ليـــس بمزروع تحـــصده — أو متـــجرا أو بالات لعــــــمران
هات الصـــــلاة وزنها باعتنائك فى — أذية الـــــناس تعلوها برجحــــــان
وزن إن شـــئت تسبيح اللسان مع الـ — كلام فى العرض والشــــتم بإمعان
تجد إذا ليـــس دين الله ملعـــــبة — بل دين حق يفـــــــوق كل أديان
الدين قول وفــــــعل لا نفاقا ولا — تملــــــقا بل صفا سر وإعـــــلان

رحم الله الشيخ المجاهد جمال الدين الميلادى كأنه ينظر إلى الغيب من ستر رقيق

قال صلى الله عليه سلم : « **ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة** » [1] .

فكيف بمن سأله الحق سبحانه عن بينة دعواه وطالبه بالبرهان والدليل على ارتكاب صالح المؤمنين للكبائر والفواحش واحدا بعد واحد ، لا شك أن الموقف عصيب على الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ، قال تعالى : (**إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة**) [2] .

وأرجو أن أكون مأذونا من الله تعالى فى أن أقول للمصنف نيابة عن جميع من ذكرهم بالسوء وقذفهم بالفاحشة من أهل التصوف سامحك الله وغفر لك بمنه وكرمه

---

1) متفق عليه .
2) النور – 19 .

وأبدلك بكل حرف ألف حسنه وما ذلك على الله بعزيز .

ويحتجون على هذا الباطل بخرق الخضر عليه السلام للسفينة وقتله للغلام الزكي وإقامته لجدار اليتيمين وإنكار موسى عليه ذلك بدعوى أن موسى كان من أهل الظاهر فأنكر والخضر من أهل الباطن فأقر ، وما دروا أن الخضر فعل ما فعل بأمر الله ووحيه حسب شريعته التي تعبده الله بها ولهذا لما قال له الخضر إني على علم مما علمني الله وأنت على علم مما علمك الله سكنت نفس موسى واطمأن إذ كانت الشرائع تتعدد بتعدد الرسل ولم تجتمع الشرائع إلا في شريعة الإسلام حيث نسخ الله كل ما سبقها من الشرائع التي جاءت بها الرسل قبل خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم وبذلك بطل العمل بغير شريعة الإسلام التي ظاهرها هو باطنها وباطنها هو ظاهرها شريعة واحدة لا ثانية لها ولا ثالثة . وبناء على هذا فإنه لا حجة لهم على تقسيم العلم إلى ظاهر وباطن والدين الإسلامي إلى شريعة وحقيقة .

الخضر عليه السلام

هو بليا بن ملكان بن فالغ من سلالة نوح عليه السلام ويكنى بأبي العباس ، والبعض يسميه أحمد .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم معللا لسبب تلقيبه بالخضر : « إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة فإذا هي تهتز من خلفه خضراء » [1] ، والفروة هي وجه الأرض أو العشب الذي على وجه الأرض ، والعلماء متفقون على أن الخضر عبد صالح من عباد الله الذين أكرمهم بفيوض من رحمته وعلمه وقد تواترت الأخبار في بقائه حيا والاجتماع به ، وقيل إنه نبي ومن القائلين بهذا خاتمة المحدثين الشيخ محمد الصديق الغماري رحمه الله وقيل إنه نبي رسول ومن القائلين بهذا الرأي الشيخ محمد بن سليمان الجزولي صاحب دلائل الخيرات ، وقيل إنه ولي ولم يكن نبيا وهو الذي ذهب إليه الأستاذ القشيري ، وفي المسألة خلاف مشهور ، وزاد البعض أن لكل زمان خضر .

---

1) رواه البخاري .

واشتهر العديد من الأولياء والصالحين بملاقاته رضي الله عنه والاجتماع به حتى إن الشيخ محمد بن عيسى كان يجمع به من هو أهل لذلك من تلاميذه [1] وأصحابه .

قال الإمام النووي في تهذيبه : قال الأكثرون من العلماء هو حي موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة أكثر من أن تحصى وأشهر من أن تذكر .

وقد جاء في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **قام موسى النبي خطيبا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم فقال : أنا اعلم فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه أن عبدا من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك ، قال : يارب وكيف به ؟ قال احمل حوتا في مكتل فإذا فقدته فهو ثم فانطلق وانطلق بفتاه يوشع بن نون وحمل حوتا في مكتل حتى كانا عند الصخرة وضعا رؤسهما وناما فانسل الحوت من المكتل فاتخذ سبيله في البحر سربا وكان لموسى وفتاه عجبا فانطلقا بقية ليلتهما ويومهما فلما أصبح قال موس لفتاه : آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ، ولم يجد موسى مسا من النصب حتى جاوز المكان الذي أمر به فقال له فتاه : أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت ، قال موسى : ذلك ما كنا نبغي فارتدا على اثارهما قصصا فلما انتهيا إلى الصخرة إذ رجل مسجى بثوب أو متسجي بثوبه فسلم موسى فقال الخضر : وأنى بأرضك السلام ؟ فقال أنا موسى فقال : موسى بني إسرائيل ؟ قال : نعم قال : هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشاد ؟ قال : إنك لن تستطيع معي صبرا ياموسى إني على علم من الله علمنيه لا تعلمه وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه ، قال: ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمر فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ليس لهما سفينة**

---

1) النور الشامل – أحمد بن المهدي الغزال – ص 45 – 46 .

فمرت فكلموهم أن يحملوهما ، فعرف الخضر فحملوهما بغير نول . فجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين في البحر فقال الخضر : يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلاّ كنقرة هذا العصفور في البحر ، فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه فقال موسى : قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها ؟ قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا ؟ قال : لا تؤاخذني بما نسيت فكانت الأولى من موسى نسيانا . فانطلقا فإذا غلام يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه من أعلاه فاقتلع رأسه بيده فقال موسى : أقتلت نفسا زكية بغير نفس ؟ قال : ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا ؟ فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدار يريد أن ينقض فأقامه قال الخضر بيده فقال له موسى : لو شئت لاتخذت عليه أجرا ، قال هذا فراق بيني وبينك .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : يرحم الله موسى لوددنا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما »[1] .

ولنعد إلى ما نحن بصدده فنقول :

أما العبارة التي استدل بها المصنف وهي قوله : أني على علم مما علمني الله . . . فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يذكر أن الخضر قالها لموسى بعد رحلتهما كما يتضح من كلام المصنف بل قبلها . كذلك يتضح أن الخضر أعلم من موسى بعلم الباطن « هل أتبعك على أن تعلمني » والتعلم لا يكون إلا ممن هو أكثر علما وأن قتل النفس بدون بينة وإعطاب السفينة وبناء الجدار لم يفعله الخضر عن أمره ومن نفسه (وما فعلته عن أمري) فإن كان نبيا فبوحي وإن كان وليا فقط فبإلهام . وأن ظاهر هذه الأفعال هو المعصية وأن باطنها طاعة ، وأيضا فإن الخضر علم منذ البداية أن موسى لن يستطيع معه صبرا .

---

1) رواه البخاري .

والأهم من كل هذا أنه عندما وضح الخضر لموسى الأمر اتضح أنه لم يأت بمعصية والخلاف كان في وسيلة المعرفة والحكم على الأمور ، فإن خرق السفينة كان لأجل أن ينتفع بها أصحابها الذين لم يكن لهم شئ ينتفعون به غيرها ، قيل إنهم أيتام ، وقتل الغلام خشية أن يرهق أبويه طغيانا وكفراً بأن تحملهما محبته على متابعته على الكفر وليقتصر حب أبويه على من هو خير زكاة وأقرب رحما أى المسلم الذى سيبدلهما الله به ، وأما الجدار فكان لغلامين من ذرية رجل صالح وتحته كنز قيل صحف من علم وقيل سبائك من ذهب وفى سقوط الجدار انكشاف له وذهابه من أيدى أهله لأهل القرية .

والخلاصة : أنه إن كان الاستدلال بقصة الخضر وموسى على الاختلاف فى وسيلة المعرفة فهذا استدلال صحيح ، إذ من الطبيعى أن تتعدد وسائل المعرفة ومن ثم الحكم على حقائق الأمور . أما إن كان الاستدلال لفعل أمر مخالف للشرع الكريم احتجاجا بفعل موسى والخضر فهذا مردود مرفوض ، فإن مخالف الشريعة المحمدية التى هى ناسخة لكل الشرائع خارج عن أمة الإسلام ، وقد تشدد السادة الصوفية فى هذا الأمر بل وقاوموا بالحجة البينه والبرهان القاطع هذه الأفكار .

يقول الشيخ أحمد زروق رضى الله عنه رادا وناقضا ومعترضا على أحد الذين يخالفون السادة الصوفية فى رأيهم هذا : ادعى أنه يأخذ عن الخضر الأحكام فدعا الناس إلى اتباعه وحملهم على أمور مفارقة لأصل الملة المحمدية - فيما ذكر لنا - واحتج على ذلك بقصة الخضر مع موسى واحتجاجه باطل لأن موسى عليه السلام إنما التزم التسليم له لا اتباعه فى ما يأمره به من صورة المنكر وهو إنما ألزمه الصبر عليه لا وجوب اتباعه والعمل بمثل فعله . ثم هب أن الخضر عليه السلام يأتى بالأحكام فشريعة نبيناصلى الله عليه وسلم ناسخة لجميع الشرائع وبهذا أصل الدين يتعين اعتقاده ومخالفه كافر إجماعا .

صرف المسلمين عن العلوم الشرعية وتزهيدهم فيها وشغلهم بمايسمونه بالعلوم الباطنية الخيالية ويدل على صحة هذا قول الجنيد - وهو أمام المتصوفه فى زمانه - أحب للمبتدئ - المريد - أن لا يشغل قلبه بهذه الثلاث وإلا تغير حاله : الكسب

وطلب الحديث ، وأحب أن لا يقرأ ولا يكتب لأنه أجمع لهمه ، فما معنى لا يقرأ ولا يكتب ؟ ! أنه لا يتعلم وإذا لم يتعلم فكيف يعبد الله تعالى عبادة تزكي نفسه وتؤهله لولاية الله تعالى كأنهم يقولون إن المريد ليس فى حاجة إلى العلم ولا إلى العبادة إذ يكيفيه الذكر والأوراد يلازمها حتى يصبح من أهل الكشف والعلم اللدنى وبذلك يستغنى بعلم الباطن عن علم الظاهر وبعلم الحقيقة عن الشريعة ، وهذه هى النهاية التى وضعو لها هذا الأصل الباطل وهو تقسيم العلم إلى باطن وظاهر والدين إلى شريعة وحقيقة وهو نهاية ينسلخ فيها العبد من المعرفة والإيمان والتقوى ويعيش على الجهل والإلحاد والفجور والعياذ بالله تعالى .

ارتجاج الفكر يؤدى إلى اضطراب الحديث

أولا : لقد نقلنا أقوال ابن تيمية رضى الله عنه وذكرنا المصدر الذى ذكر فيه تقسيم العلم إلى ظاهر وباطن والدين إلى شريعة وحقيقة وحددنا حتى رقم الصفحة ، فإن كان هذا جهلاً أو إلحادا أو فجورا - نستغفر الله من ذلك - فإنه أحد القائلين به وكذلك أهل العلم ، أما غيرهم فلا شك أن الأمر غريب بالنسبة لهم ولهم أن يسموه ماشاؤا .

ومن لا يقدم رجله مطمئنــة   فيثبتها فى مستوى الأرض يزلق

ثانيا : لا يفوتنا بالمناسبة أن نذكر المصنف أنه قد أثبت بطريقة علمية سليمه أن التصوف لم يعرف إلا فى القرن الرابع ، وها هو الآن يقول إن الأستاذ الجنيد من أئمة الصوفية وهو الذى توفى كما بينا في حينه فى 297 هـ ممايسحب الثقة فى كل ما قاله فى كتابه الذى بين أيدينا لأنه ما بنى إلا على المغالطات والجهل والتدليس والغش ومخالفة حتى أبسط البديهيات كل هذا باسم الدين والدين منه براء ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ثالثا : لقد قلنا مراراً إن للسادة الصوفية منهجهم فى المعرفة وتحقيق الإيمان وبينا سابقا أن هذا المنهج من صميم الكتاب والسنة ، وأن المعرفة الكسبية قابلة للزيادة والنقصان بل وللكذب والتدليس كما رأينا وهى لا تعدو كونها تقليدا محضا ، أما إيمان ومعرفة العارفين من أهل الله وخاصته فإنه مشاهدة بنور اليقين .

قال صلى الله عليه وسلم : « **لقد كان فيمن قبلكم من بنى إسرائيل**

رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن من أمتى منهم أحد فعمر » [1] .

أترى بنى اسرائيل أفضل عند الله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أم أقرب إليه من غيرهم ؟ كلا وألف كلا فلا شك ولا خلاف فى أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم هى أفضل الأمم ونبيها أفضل البشر ورسالتها هى الخاتمة الناسخة الجامعة ، وما كان فى بنى إسرائيل منه رطل ففى الأمة المحمدية منه قناطير مقنطرة .

ثم إن السادة الصوفية بالإضافة إلى هذا شددوا على طلب العلم الكسبى للمريد فى بدايته وهذا مشهور عنهم لا يكاد يجهله أحد ، والغريب فى ذاته غير المستغرب من المصنف أن ابن تيمية رضى الله عنه يعرف هذا الأمر ويرويه عنهم بل إنه ينقل عن الأستاذ الجنيد عبارة تخالف بل تناقض ما افتراه المصنف عليه فيقول :

قال أبو القاسم الجنيد رحمه الله عليه : علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يصلح له أن يتكلم فى علمنا أو قال : لا يقتدى به [2] .

ولم ينفرد الشيخ ابن تيميه بهذا بل هو موجود فى الرسالة القشيرية ص 19/18 وفى طبقات السلمى ص 163/115 وغيرها .

ولا ريب أن ابن تيميه رضى الله عنه يخالف المصنف إن لم نقل يعاكسه فى ما ذهب إليه ، وربما كان المصنف السلفى على صواب وابن تيمية على خطأ فإنه من باب الممكن ، ونرجو أن لا يغيظ المصنف أن يعلم أن ابن تيمية بالإضافة إلى هذا كان يعرف سمو منزلة الأستاذ الجنيد العلمية وفضله وعلو قدره بين أقرانه من كبار أئمة المسلمين فإنه يقول عنه : فإن الجنيد قدس الله روحه كان من أئمة الهدى [3] .

فيا أيها المصنف المحيط بكافة العلوم ما عدنا نعرف بأى لسان نتحدث معك فقد خالفت الأولين والآخرين والسابقين واللاحقين زادك الله وأمثالك من المتوهبين علما .

---

1) رواه البخارى .
2) الفرقان – الشيخ احمد ابن تيميه – ص 65 .
3) الفرقان – الشيخ أحمد بن تيمية ص 98 .

ثم إن الشيخ ابن تيمية يشهد للإمام الجنيد بأنه من أئمة الهدى وأنت تقر أنه كان من أئمة التصوف فإذا جمعنا القولين خلصنا إلى أن الصوفية هم أهل الهدى فسبحان من ينطق الإنسان بالحق من حيث لا يدرى ، هذا عن الشيخ ابن تيمية رضي الله عنه فإذا ما جئنا الى تلميذه الاكبر ابن قيم الجوزية فإننا نجده ينقل عن الأستاذ الجنيد قوله : مذهبنا هذا مقيد بالأصول بالكتاب والسنة فمن لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ويتفقه لا يقتدى به [1] . . . ولا زيادة لنا فرب صمت أبلغ من كلام .

أقطاب الصوفية وأولياؤهم

الأقطاب . . . جمع قطب والقطب لغة ما عليه مدار الشئ ، ومن قطب الرحى وفي اصطلاح المتصوفه القطب هو سيد الوجود في كل عصر

المقصود بلفظ القطب

هذا ليس في اصطلاح السادة الصوفية وحدهم بل حتى أهل اللغة إذ جاء في العديد من كتب اللغة والمراجع (أن القطب سيد القوم) [2] .

والتعريف الأكمل أن القطب هو : أكمل الناس إيمانا في عصره وكل الصفات الأخرى تابعة لهذه الصفة فالناس يتفاوتون في البعد والقرب من الله سبحانه فكما أن هناك أعصاهم وأبعدهم فهناك أقربهم في الطرف المقابل .

وهو للوجود بمنزلة الروح للجسد فكما أن الجسد لا قيام له إلا بالروح فكذلك الوجود كله قائم بالقطب وإذا زالت روحانية القطب من الوجود انعدم الوجود كله . وهذه القوة للقطب يقولون إنها من تحمله لسر الاسم الأعظم .

أولا : يسمى الصفوة من عباد الله جل اسمه وتقدست صفاته كما جاء في الأحاديث الصحيحة بالأبدال ووفقا لما هو معلوم بالضروة من استحالة تساوى العباد في القرب من الرب الكريم فهناك أفضلهم وقد توارثت الأمة تسميته بالقطب .

ثانيا : عن قتادة عن أبي قلابة عن أبي الاشعث عن الصحابي عبادة بن الصامت

---

1) إغاثة اللهفان – الشيخ ابن القيم – ج 1 ص 125 .

2) انظر القاموس المحيط – للفيروز بادى ج 1 ص 118 .

رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا يزال الأبدال في أمتي بهم تقدم الأرض وبهم تمطرون وبهم تنصرون قال قتادة : إني أرجو أن يكون الحسن منهم** » [1] .

وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في الزهد عن كعب رضي الله عنه قال : لم يزل من بعد نوح في الأرض أربعة عشر يدفع الله بهم العذاب ، وفي نفس المصدر عن ابن عباس رضي الله عنه قال : ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض .

والمقصود أنهم يسألون الله إكثار الأمم فيكثرون ويدعون على الجبابرة فيقصمون ويستسقون فيسقون ويسألون فتنبت لهم الأرض ويدعون فيدفع بهم أنواع البلاء والأمر مشروح بتوسع في فتوحات الحاتمي فليراجع .

وعن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « لا تسبوا أهل الشام فإن فيهم الأبدال وسبوا ظلمتهم » [2] .

فإن كانت روحانية القطب المذكورة هي ما جاء في الأحاديث عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فنعم وإلا فلا ندري عما يتحدث المصنف .

ويقولون في كيفية وصول القطب إلى مرتبة القطبانية أن القطب يترقى في مراتب كمال المعرفة والمشاهدة والمراقبة حتى يحصل له التحقق بالله في كل مرتبة وبذلك يكون مديدا للوجود .

لقد قلنا سابقا إنه كلما ازداد المؤمن إيمانا وتقوى كلما زاد قربا من الله ، ولحكمة يعلمها الله وحده لم يخلق العباد متماثلين في درجة القرب هذه . ولا يجهل أحد من المسلمين وإن كان لا يعرف حتى كتابة اسمه أن الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم أفضل الأمة المحمدية وأن الصحابة أفضل ممن جاء بعدهم .

---

1) رواه الطبراني في الكبير عن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل .

2) أخرجه الحاكم في المستدرك وقال صحيح ، وأقره الذهبي ورفعه الطبراني إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من غير « وسبو ظلمتهم » وقواه ابن عساكر بمتابعات أخرى .

قال صلى الله عليه وسلم : « **في كل قرن من أمتي سابقون** » [1] ، وقال صلى الله عليه وسلم : « **خيار أمتي في كل قرن خمسمائة والأبدال أربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الأربعون ، كلما مات رجل أبدل الله من الخمسمائة مكانه وأدخل من الأربعين مكانه ، قالوا : يارسول الله دلنا على أعمالهم ؟ قال : يعفون عمن ظلمهم ويحسنون إلي من أساء إليهم ويتواسون فيما آتاهم** » [2] .

وما من مسلم يندم على تفريطه في أمسه وتقصيره إلا وهو قد ترقى عما كان عليه بالأمس وهذا ترقي العموم أما الخواص فترقيهم من جنس حسنات الأبرار سيئات المقربين . وقد كان رسول الله صلى الله عليه يستغفر الله في الجلسة الواحدة أكثر من سبعين مرة وفي رواية مائة مرة وإذا علمت أنه صلى الله عليه وسلم ما كان تصدر عنه المعصية أصلا علمت أنه كان في ترقي مستمر في درجات المعرفة والمشاهده ، وكلما وصل إلى درجة استغفر من التي قبلها وهو الذي صح عندنا من ترقي الخواص .

> *هذا ومما نقرره هنا أمور منها*
>
> *1) أن القوم يكذبون وأمرهم مبني على الكذب ثم هم في نفس الوقت يدعون أنهم لا يحيدون عن الكتاب والسنة قيد شعره ويتبجحون بذلك بلا حياء ولا خجل . أرأيت لو قيل لهم في أي آية أو في أي سنة جاء ذكر القطب وصفاته وخصائص ومراتب ترقياته حتى وصل إلي مرتبة القطبانية فأصبحت له السيادة على الوجود كله ؟ قطعا إنهم لا ينطقون ونحن نقول لهم : إنه لا يوجد للقطب ذكر في كتاب ولا سنة وإنما يوجد ذكره وصفاته ومراتب ترقياته في كتب الزنادقة من غلاة الباطنية الناقمين على الإسلام .*

بعض مما جاء في القطب والأبدال

عن شريح بن عبيد قال : ذكر أهل الشام عند علي بن أبي طالب فقالوا : العنهم ياأمير المؤمنين قال : لا سمعت رسول الله يقول : « **الأبدال بالشام وهم أربعون**

---

1) رواه أبو نعيم والحكيم الترمذي .

2) رواه الطبراني وأبو نعيم وابن عساكر من عدة طرق .

رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا . يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب » [1] .

وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لن تخلو الأرض من أربعين رجلا مثل خليل الرحمن فبهم يسقون وبهم ينصرون ما مات أحد إلا أبدل الله مكانه آخر » [2] .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الأبدال في هذه الأمة ثلاثون مثل إبراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا » [3] .

وعن عبد الله بن مسعود قال قال صلى الله عليه وسلم : « إن لله عز وجل في الخلق ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم عليه السلام ، ولله في الخلق أربعون قلوبهم على موسى عليه السلام ، ولله في الخلق سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام ، ولله في الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام ، ولله في الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام ، ولله في الخلق واحد قلبه على قلب إسرافيل عليه السلام ، فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة وإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة وإذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين وإذا مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة وإذا مات من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة ، فبهم يحيي ويميت ويمطر ويدفع البلاء » [4] .

---

1) رواه أحمد بن حنبل في سننه ورجاله رجال الصحيح غير شريح بن عبيد وهو ثقة وهناك من يقول إن شريحا لم يلق الإمام علي والأمر علي كل حال لا يؤثر في صحة الحديث .

2) رواه الطبراني في الأوسط وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : إسناده حسن .

3) رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ورجاله رجال الصحيح غير عبد الواحد بن قيس وقد وثقه العجلي وأبو زرعة .

4) رواه أبو نعيم وعساكر .

فلا ندرى كيف بعد كل هذه الأحاديث التى يعضد بعضها بعضا ويقويه يكون أمر القائلين بالأبدال والأقطاب مبنياً على الكذب .

هذا من ناحية . أما الحكم الشرعى فى القول بالقطب ووجوب الإيمان به فقد بينه العلماء ومن بينهم لشدة سوء حظ المصنف السلفى – الشيخ أحمد بن تيمية – فإنه يقول فى معرض رده على الشيعة فى قولهم بالمعصوم (فإن قلتم إيماننا به – يقصد المعصوم عند الشيعة – كإيمان كثير من الصالحين والزهاد بإلياس والخضر والغوث والقطب ممن لا يعرف بوجودهم ولا أمرهم ولا نهيهم قلنا : ليس الإيمان بوجودهم واجبا عند أحد فمن أوجب الإيمان بوجودهم كان قوله مردودا كقولكم وغاية ما يقوله الزهاد فى أولئك إن المصدق بوجودهم أكمل وأفضل ممن ينكر وجودهم)[1] .

وهذا الكلام من الشيخ ابن تيمية رضى الله عنه نفيس جدا فإنه يقرر فيه أهم قاعدتين فى هذا الأمر وهما :

1) أن الصالحين والزهاد هم الذين يقولون بالقطب والغوث دون غيرهم .

2) أن الإيمان بهؤلاء ليس واجبا ولا محرما بل يقول الصالحون من الزهاد إن المؤمن بهم أكمل من غيره .

وإن تعجب فعجب أن يرمى المصنف القائلين بهذا بالكذب مع ما صح فى هذا الشأن من أحاديث وآراء لكبار العلماء ويكون هو الصادق المصدوق .

2) إذا كان الكون والوجود كله قائم بروحانية القطب فماذا بقي لله تعالى ؟ وما معنى قوله تعالى : (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) إذا كانت القيومية للأقطاب فى كل شئ وعلي كل شئ .

استغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه .

لا أدرى من أين يأتى المصنف – هداه الله – بهذا الكلام ، بل وكيف يتصور أن

1) منهاج السنة – للشيخ ابن تيميه ، وانظر مختصر منهاج السنة المسمى منهاج الاعتدال للذهبى ص 26 .

يعتقد مسلم أن هناك مخلوقا إنسا كان أم ملكا أم جنا أم جمادا يشارك من له الخلق والأمر في ملكه أو قيوميته .

قال صلى الله عليه وسلم : « **سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ماصنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت** » [1] .

ولو سألناهم عن كيفية تحمل القطب لسر الاسم الأعظم فهل يقدرون على الإجابة ؟ اللهم لا إنهم يفترون الكذب والله لا يهدى القوم الكاذبين .

وسؤال آخر كيف عرف أقطابهم بسر الاسم الأعظم دون سائر عباد الله ؟ .

جاء في كتب الفتوح والسير قصة العلاء بن الحضرمي ، ونحن نختار الرواية التي اختارها الشيخ ابن تيمية رحمه الله فإنه يقول :

العلاء بن الحضرمي كان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين وكان يقول في دعائه : يا عليم يا حليم ياعلى ياعظيم ، فيستجاب له ودعا بأن يسقوا ويتوضئوا لما عدموا الماء والإسقاء ودعا الله لما اعترضهم البحر ولم يقدروا على المرور بخيولهم فمروا كلهم على الماء ما ابتلت سروج خيولهم [2] .

والسؤال الذى يوجه الآن للمصنف . كيف عرف العلاء بن الحضرمي بسر اسم الله الأعظم الذى دعا به حسب ما هو مشهور في مصادره دون من كان معه ؟ وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول : رأيت من العلاء بن الحضرمي ثلاثة أشياء لا أزال أحبه إبدا . رأيته قطع البحر على فرسه يوم دارين [3] .

ولو أن المصنف يتحدث بما يعقل لقلنا له إن مثل هذه الأمور يتفضل الله بها على من يشاء من عباده ولا دخل لكلمة كيف أو أي أداة من أدوات الاستفهام في هذا الشأن .

---

1) رواه البخاري .

2) كتاب الفرقان - للشيخ أحمد بن تيمية ص 144 - 146 .

3) طبقات ابن سعد ج 4 ص 363 .

ولكنه أبى إلا السؤال عما لا يسأل عنه فنرجو منه بالمقابل أن يجيب عن سؤالنا .

إن الأحاديث النبوية الصحيحة تكاد تجمع على أن اسم الله الأعظم لا يخرج عن كونه الله أو الحي القيوم .

الاسم الأعظم

مع شديد احترامنا لفقه المصنف لاسيما وأنه مدرس بالجامعة الإسلامية حسب ما ذكر على غلاف كتابه إلا أن للعلماء في مسألة الاسم الأعظم عشرين قولا ، وللمحدثين أثنى عشرحديثا موقوفا وأحد عشر حديثا مرفوعًا فقيل إنه : (هو) وقيل إنه (الله) وقيل إنه (الله الرحمن الرحيم) كما ذكر العلامة ابن حجر في فتح الباري ، وقيل إنه (بسم الله الرحمن الرحيم) لحديث عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين وصححه ، وقيل إنه في (الست الآيات الأخيرة من سورة الحشر) كما رفع ابن عباس على ما جاء في مسند الفردوس للديلمي وقيل إنه (الرحمن الرحيم الحي القيوم) لحديث الترمذي وقيل إنه (الحي القيوم) لحديث ابن ماجه والحاكم عن أبي أمامه رضي الله عنه وقيل إنه (الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام) لحديث أحمد وأبي داود وابن حبان والحاكم عن أنس وقيل إنه (بديع السموات والأرض ذو الجلال والأكرام) لحديث أبو يعلى وقيل إنه (ذو الجلال والإكرام) لحديث الترمذي أيضا وقيل إنه (الله لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) لحديث أبي داود والترمذي وابن ماجه والحاكم وقيل إنه (رب رب) لحديث الحاكم وقيل إنه (مالك الملك) كما أخرج الطبراني في الكبير وقيل إنه (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) لحديث النسائي والحاكم .

ثم وللسادة الصوفية في المسألة قول معروف عندهم ، والكارثة أن يزج من لا يعرف مثل هذه التخصصات بنفسه فيها فيفسد من حيث يظن نفسه مصلحا فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وان خاصيته ليست في إدارة الملك والملكوت والتصرف في الكائنات وإنما هي في أن العبد إذا سأل به ربه أعطاه من الممكنات ما كتبه وقضى به أزلا وقدرا .

إن خاصية اسم الله الأعظم كما هو معروف عند كل أهل العلم بدون استثناء لماعلمه

من السنة النبوية المطهرة تكمن في أن الله تعالى إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب .

ومن المسلم به أن الله تعالى إذا استجاب للعبد فإن هذا يعني بالضرورة أنه علم وأراد لهذا الفعل أن يكون ، ولا أظن أن المصنف يرى أن المسلم إذا دعا الله جل وعلا باسمه الأعظم تحقق الطلب رغما عن الملك القدوس تبارك اسمه فإن مثل هذا لا يخطر على ذهن مسلم .

*وعلى شرط أن لا يتعدى في الدعاء فإن الله تعالى حرم ذلك بقوله (**ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين**) ومن الاعتداء أن يسأل ما لم تجر به سنن الله تعالى بين الخلق في هذا الوجود ومن ذلك أن يسأل الله أن يجعله متصرفا في الكون .*

المقصود غالبا بالاعتداء في الدعاء التكلف فقد سمع الصحابي عبد الله بن مغفل ابنه يقول : اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة . فقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون بالدعاء** »[1] . فهذا تفسير صحابي وهو أقرب من غيره فهما للمراد .

هذا ومن أغرب ما يسمع عن القطب والقطبية ادعاء الشيخ أحمد بن أحمد التجاني - راجع الجواهر والرماح التيجانيه - أنه خاتم الأولياء والأقطاب فلا ولي بعده ولا قطب أبدا ، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا نبي بعده ولا رسول أبدا ، وما أبعد هذه المقارنة وما أغربها .

لقد بحت أصواتنا وألمتنا رقابنا من ترديدنا بأعلى صوت نستطيعه أن كتاب جواهر المعاني وكتاب الرماح ليسا من تأليف الشيخ أحمد التيجاني رضي الله عنه كما أنهما ليسا من الكتب الموثوق بكل ما جاء بها ولا ينال القارئ من قراءتها إلا تضييع الوقت اللهم إلا إذا كان باحثا مدققا ذا إلمام وحسن فهم ودراية ، ثم كيف ينطق الشيخ التيجاني وهو من هو بأنه لا ولي بعده مع علمه المؤكد بما يعلمه عوام الناس وسوقتهم فضلا عمن هو في مكانته أن كل مؤمن تقي هو ولي لله .

---

1) رواه ابن ماجه والحاكم في المستدرك وصححه .

اللهم إذا إذا كان يقصد بأنه لا ولي بعده في درجته ومستواه فهذا يعقل إذ لا ريب أنه كان وسيكون من هو دونه ومن هو أعلي منه وكل إنسان هو حالة خاصة بذاتها لا تتكرر كما لا تتكرر بصمة إصبعه أو ذبذبة صوته ، وفضل الله وقدرته سبحانه لا حد لهما ، ولهذا لم يكن في كل الأمة المحمدية إلا أبو بكر واحد وعمر واحد وعثمان واحد وعلي واحد .

*الأولياء . جمع ولي . وهو لغة من يتولى الأمر قياما به ، ومحافظة عليه ولذا يطلق على الحاكم والوصي والقريب وفي عرف الشرع : الولي هو المؤمن التقي . وذلك لقول الله تعالى **(الا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم)** .*

وظهور الكرامات على يديه ليست شرطا في إثبات الولاية وإن كانت من لوازم الولاية والاستقامة على الشرع قياما بالأمر واجتنابا للنهي من أظهر الكرامات وأجلها .

صفة ولي الله تعالى

نعم ، كل ما قاله المصنف عن الولي والولاية صحيح مع إضافة أن ولي الله هو المؤمن التقي المخلص لربه المحكم للنبي صلى الله عليه وسلم في الحلال والحرام ، الذي لا يدع الكتاب والسنة لغيرهما ويدع ما سواهما لهما الذي لا يدعو إلى بدعة ولا ينتصر لغير الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، حاله ومعناه في مرضاة وليه سبحانه يدعو إليه ويحارب من نهاه عنه لا يتخذ دينه لهوا ولعبا ويحسن التوحيد والعبادة ويعلم الصراط المستقيم ويحب أهله **(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون)** [1] .

---

1) البقرة - 177 .

وأما الولي عند المتصوفة فقد عرفه صاحب الطريقة التيجانية بعد أن سئل عنه فقال : الولي من تولى الله أمره بالخصوصية مع مشاهدة الأفعال والصفات . وهو كما ترى تعريف غامض لاشتراطه الخصوصية مع قيد المشاهدة . مع العلم أن الله تعالى لا يتولى إلا المؤمن التقي ولا تتم التقوى إلا بالعلم وهو معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته ومعرفة محابه ومكارهه ليفعل المحاب ويتجنب المكاره .

ولاية الله للعبد وولاية العبد لله

هناك نوعان من الولاية الأولى : ولاية الله تعالى للعبد وهذه تكون اجتباء بمحض الفضل والكرم الإلهي إذ أن الله تعالى غني عن عبادة العالمين ولا يلزم تقدست ذاته وجلت صفاته بموالاة العبد وهو معنى قوله تعالى كما هو معلوم : **(ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا)** [1] .

والولاية الثانية : هي هداية بمحض الفضل والكرم الإلهي وهي ولاية العبد لله تعالى حيث يوالي الولي لله العمل بطاعته سبحانه وتعالى لفقره وحاجته فيلتزم بما يرضي ربه فعلا وتركا .

والمقصود بالعبارة المذكور الحديث عن الولي بولاية الله تعالى له وهو المقصود بتولي الأمر بالخصوصية إذ لولا خصوصية الله تعالى لهذا العبد لما قبله ووالاه فتكون من الله له الولاية ومنه الله المراقبة وهي مشاهدة الأفعال والصفات فتجتمع الولايتان ولاية الولي لمولاه وولاية العبد الذي آمن واتقى لوليه .

وأولياء الله تعالى مراتب ودرجات إذ كما قلنا سابقا كما يتفاوت الناس في عداوة الله سبحانه وتعالى يتفاضلون في ولايته وأفضل أولياء الله تعالى قاطبة هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سيد الأولين والآخرين وإمام المرسلين المتقلب في الساجدين ورأس العارفين ثم بقية أولي العزم من الرسل وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم وعلى نبينا وكل الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة وأطيب السلام ، ثم بقية المرسلين ثم الأنبياء ثم صالح المؤمنين .

---

1) الاسراء – 111 .

وأولياء الله عموما ثلاث مراتب سابق مقرب أو صاحب يمين مقتصد أو من الأبرار وهم الممتثلون للأمر والنهي دون النوافل والمندوبات وخير منهم جميعا السابقون المقربون التين جمعوا بين الواجب في الأمر والمحرم في الترك . وفي كل هذه الحالات من الولاية يلزم أن يعرف الولي محاب الله ومكارهه ليتقرب إلى الله تعالى بما يحب ويترك ما يكره .

والسر في غموض تعريف القوم للولي هو احتكارهم للفضائل كي لا تكون لغيرهم من سائر المؤمنين والمسلمين .

لقد شرحنا التعريف المذكور ووضح أنه ليس في الأمر غموض ولا عدم وضوح إلا عند المصنف الذي كان عليه أن يسأل أهل الذكر إن كان لا يعلم ليشرحوا له ما عجز عن فهمه لا أن يجعل من ذلك حجة ومن ثم قاعدة ينطلق منها ليثير الزوابع والأعاصير ، فعدم فهمه لما يقال لا يتحمل مسئوليته أحد إلا هو نفسه .

وبذلك تختص الولاية بمشائخ الطرق المأذون لهم في إعطاء الورد والتربية الخلوية .

قلنا إن أولياء الله تعالى هم صنف والاه الله تعالى وصنف والى الله ، ومشائخ الطرق مثلهم في هذا مثل كل الموحدين منذ أن وجد الخلق فهم إما أن يكون الله سبحانه قد والاهم أو يكونوا قد والوا الله ، فإن كل من آمن واتقى واشتغل بالله يصدق عليه أحد تعريفي الولاية ، ولكن لأن المصنف لم يعرف المقصود بكلمة الولاية فإنه قد أكثر من استعمال الالفاظ في غير ما محلها حتى خلص إلى هذه النتائج التي نترك للقارئ تقييمها .

ومن هنا كان الولي عند الصوفية لا يعرفه إلا الخواص أما عامة المسلمين فلا سبيل لهم إلى معرفة الولي يشهد لهذه الحقيقية ويقررها كما يلي :

سئل الشيخ أبو العباس أحمد التجاني عن الله تعالى وعن الولي أيهما معرفته أصعب ؟ فقال معرفة الولي أصعب من معرفة الله تعالى وعلل ذلك بقوله لتميز صفات الله تعالى لمباينتها لصفات الخلق أما الولي فإن صفاته كصفات سائر الناس من الأكل والشرب والنكاح . . الخ فلذا هو لا يتميز ولا يعرفه إلا الخواص .

معرفة الولي

كل يوم تبدى صـــروف الليالي   خلقـــا من أبي سعـــيد عجيبا

وقد بلغ الأمر بأبي سعيدنا إلى المخالفة حتى فيما لا يخالف فيه ، فمن ينكر أن معرفة الولي أصعب من معرفة الله تعالى وهاهم كفار قريش يؤذون ويحاربون رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق ويكذبونه في الوقت الذي يعترفون فيه بالله وبوجوده علي كفرهم وشركهم وشدة وثنيتهم **(قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قلا أفلا تذكرون ، قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون ، قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ، سيقولون لله قل فأنى تسحرون)** (1) .

بل إنهم أقروا بأنهم لا يعبدون أصنامهم إلا لتقربهم إلى الله زلفى فهم لا ينكرون وجود الله سبحانه بل ويعرفون أن للكون خالقا وصانعا يتقرب إليه ولو أنهم عرفوا وشاهدوا ولاية الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم وولاية رسوله له لما خالفوه وأخرجوه وقاوموه فإن الخلاف كان مركزا علي نبوة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وهي من أرفع درجات الولاية ولقادهم ذلك بالضرورة إلى الإيمان بكل ما جاء به .

فالولاية غيب من الغيوب والإيمان بها أصعب من الإيمان بالمعروف بكماله وجماله ، وأشد أنواع الحجب هو حجاب المماثلة أي البشرية وذلك بأن يمارس الولي عادات وأفعال عامة الناس وقد قال المشركون لرسلهم : **(إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين)** (2) .

فوضح أن البشرية هي الحجاب الذى ستر خصوصية الرسل وهو المقصود بالضبط بالتعريف المذكور والذى هو من كلام الشيخ أبي العباس المرسي وليس التجاني كما وهم المصنف .

ويتتابع عرض القضية في القرآن الكريم فيذكر إجابة الرسل على الكفار

---

1) المؤمنون - 84 - 89

2) إبراهيم - 10 .

والمشركين : (**قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن علي من يشاء من عباده**) [1] ، فذكر أنهم وافقوا المشركين على أنهم بشر ولكنهم اتبعوا هذا الإقرار بذكر خصوصيتهم ، بل وشهد الكافرون بأن ما حجبهم ومنعهم الإيمان بماجاء به الرسل هو بشريتهم بوضوح أكثر إذ قالوا : (**وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق**) [2] ، فكان رد الله تعالى عليهم أن شهد لهم بالضلال فلا يستطيعون سبيلا .

والخلاصة أنه كما قال الشاعر :

إن كنت لا تدرى فتـــلك مـــصيبة وإن كـــنت تدرى فالمـــصيبة أعظم

وأبعد المرسي وهو من أئمة الصوفية في تعريف الولي حتى قال : إن الولى لو كشف للناس لعبدوه لأن حقيقة الولى أن يسلب من جميع البشرية ويتحلى بالأخلاق الإلهية ظاهرا وباطنا ولذا لو كشف الولى للعبد لعبده وقالوا إن دائرة الولى أوسع من دائرة النبى وهذا تفضيل منهم للولى على النبى بأسلوب خفى وعللوا ذلك بأن دعوة الأنبياء خاصة بأممهم ودعوة الولى عامة فلذا هو أوسع دائرة ولازم هنا أن الولى أفضل من النبى وهو كما نرى ضلال مبين .

لقد شرحنا سابقا أن المقصود بتفضيل الولي عن النبى يكون فى الشخص الواحد فكل نبى ولى ولا كل ولى نبى ، والله تعالى لا يتخذ نبيا من أعدائه (**الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**) [3] .

*واشترطوا للولى الأوسع دائرة أن يكون مأذونا له فى الدعوة بالإذن الخاص لا بالإذن العام الذي هو مثل قوله صلي الله عليه وسلم « **بلغوا عنى ولو اية** » والإذن الخاص يحصل عليه إما بإذن الشيخ المأذون له وإما بالكلام اللدنى الذى*

---

1) إبراهيم - 11 .
2) الفرقان - 11 .
3) البقرة - 257 .

أقام جل أصحاب الطرق طرائقهم عليه . وهو ضلال وكذب وكفر والعياذ بالله تعالى . وقالوا إن من نهض إلى دعوة الخلق إلى الله تعالى بالإذن العام وليس له شئ من الإذن الخاص لم يشفع لكلامه ولم يقع عليه إقبال فإن لسان الحق يقول له بلسان الحال فى بساط الحقائق ما أمرناك بهذا ولا أنت له بأهل إنما أنت فضولى

خرج المصنف عن موضوع البحث وهو الولاية إلى أمور سبق وأن تكلمنا فيها ووضحناها فليراجع ما كتبناه عن الإذن والعلم الوهبى .

ويعظمون من شأن الولاية .

لو أننا مثل بعضهم من عبدة الألفاظ المتمسكين بالظاهر من كل شئ دون لبه ومعناه لقلنا فى المصنف ما يقال لمن ينطق بمثل هذه الألفاظ :

وإلا فما الذي يعظم إن لم تعظم ولاية الله تعالى يا سيادة المصنف ؟ وفيما نسعى إذا ؟

حتى قالوا : من ادعى أنه ولى يموت كافرا والعياذ بالله .

عقوبة مدعى الولاية

سبرت كل ما بين يدى من كتب السادة الصوفية والتصوف بعد أن راجعت ما قدرنى الله تعالى على مراجعته مما أحفظ فى هذا الشأن فما استطعت أن أجد لهذه الجملة أصلا أو ذكرا ، ولسوء الحظ فإن المصنف لم يذكر من أين أتى بها ، فإن كانت من بنات الأفكار فقد أخطأ لسان قائلها ، وإن كانت منسوبة للمذهب – وهو ما يستحيل كونه – فيعلم الله انى لا أعرف لها معنى . إذ المعروف أن الأعمال بخواتمها وأكفر الكفرة وأشدهم عداوة لله نشهد له بالموت على الإسلام إذا نطق بالشهادتين وتاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى .

وارتداد العديد من الصحابة كالأشعث بن قيس وغيره ثم إسلامهم من جديد ما أخرجهم عن فضلهم كصحابة أو تابعين على خلاف بين أهل العلم .

وأين ادعاء الولاية من ادعاء صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم كذبا وزورا وما فى ذلك من خطر شديد على الدين إذ قد يصدقهم الجهلة والعوام وأشباههم فينسبون

للرسول صلى الله عليه وسلم ما يحسبه البسطاء من الدين كما فعل رتن الهندى ، ومكلبة بن ملكان ، وأسد التركي ، وجبير بن الحارث ، وجعفر بن نسطور الرومى ، وسرباتك الهندى ، وغيرهم ممن ادعى صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد موته بمئات السنين ولم نعلم أن أحدا من أهل العلم شهد لهم بالموت على الكفر ، وغاية ما وصفوا به أنهم كذابون مدعون ، وهو ما يوصف به مدعى الولاية .

والحكاية التالية تكشف لنا عن مدى بعد الولاية فى اعتقاد القوم واحتكارهم لمنصبها ومقامها ليبقى كل المؤمنين اعداء لله تعالى غير أولياء له إلا ما كان من مشائخ التصوف وأئمتهم فإنهم الأولياء .

قال الشيخ أحمد التجانى في كتابه الجواهر فى رجل لا يمشى إلا ساترا وجهه قال ولعله بلغ مرتبة الولاية فإن من بلغها يسير كل من رأى وجهه لا يقدر على مفارقته طرفة عين وإن فارقه وانحجب مات لحينه وحسبك أخى المسلم بهذا التعريف للولى من تعريف إنه سخرية وهزء بعقول المؤمنين .

أولا : لا زلنا نحسن الظن بالمصنف رغم إصراره علي نسبة كتاب الجواهر للشيخ أحمد التجانى رضى الله عنه ورغم أن اسم مؤلفه مكتوب على غلافه وننسب فعله للغفلة التى زادت عن المعدلات المتعارف عليها .

ثانيا : لقد قلنا إن كتاب جواهر المعانى لعلى حرازم ليس من الكتب الموثوق بكل ما جاء بها .

ثالثا : نذكر المصنف أنه نقل منذ قليل فى ختام حديثه عن الأقطاب عن الجواهر أن الشيخ التيجانى قال : إنه خاتم الأولياء . . . الخ ومن المعروف عند كل أحد علم أو جهل أن الشيخ التيجانى لم يكن يستر وجهه وها هو ينقل لنا أن من بلغ مرتبة الولاية لزم أن يغطى وجهه لأن من رأى وجهه لا يقدر على مفارقته طرفة عين وبناء عليه كيف يكون الشيخ التيجانى وليا ولا يغطى وجهه ؟ فلزم بالضرورة أن تكون إحدى الروايتين كذبا لاستحاله صدقهما معا ، هذا عقلا . .

أما نقلا فإنه لا يوجد فى كتب الحديث والسير والسنن أن الرسول صلى الله عليه وسلم أو أيا من الصحابة كانوا يسترون وجوههم وبناء عليه فهم ليسوا من أولياء الله

تعالى . وكيف يتصور أن ينطق الشيخ التيجاني وهو الشيخ التيجاني بهذا الهراء فإنا لله وإنا إليه راجعون .

هذا والذى يستنتج من صنع القوم فى تعريف الولى . أنهم يحتكرون هذه الألقاب لاستغلال العامة بها والتحكم فيهم بواسطتها .

فدل هذا على أن التصوف قد استغل استغلالا فاحشا فى ضرب أمة الإسلام وتحطيمها والقضاء عليها . فكم عانت أمة الإسلام من أتعاب وكم ذاقت من ويلات وكم تعرضت لفتن أثارها استعمار الغرب لجل بلادها .

هذا الكلام سبق وأن ذكره المصنف شبه حرفيا في بداية الكتاب فليراجع ما ذكرناه حين ذاك فليس لنا مقدرة المصنف على التكرار .

وذلك منذ أن ظهر التصوف النظرى الفلسفى في حدود القرن الثالث الهجرى .

يظن الكثيرون خطأ أن هناك تصوفا فلسفيا وآخر عمليا وآخرنظريا . . الخ ولكن فى الحقيقة أن التصوف كله واحد والذى يختلف هو أسلوب التعبير من صوفى لآخر والمقدرة علي ترجمة الواردات من ثم .

وإن شئت قلت إن التصوف كتاب تتغير صفحاته بدون أن تخرج عن الموضوع ولو حاولت حذف إحدى ورقاته صار الكتاب ناقصا وإن أدخلت ورقة أجنبية عنه شذت عن الباقيات .

وإن أردت وضوحا أكثر قلت إن الصوفي هو رجل بعينه لم يتغير منه على مر القرون إلا عصره وما يستلزمه .

ومع ظهور اليوم دعاة للتصوف إذ عز عليهم أن تحررت أمة الإسلام من الإستعمار الغربى . فجاءوا يلهثون يؤلفون الكتب وينشرون الرسائل يدعون إلى التصوف من جديد وما علموا أن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين .

يكاد المصنف يجبرنا على إعادة كتابة الكتاب كما هو من جديد فقد أبتدأ فى تكرار مقدمته من حيث ظنناه انتهى .

الفصل الثالث

فى الحقيقة ما كنت أود الخوض والحديث فى هذا الفصل الذى اختار له المصنف عنوان " لمحات من الوجه المظلم للتصوف وذلك لأن المصنف خرج فيه عن الاسلوب العلمى السليم إلى التحامل وسرد الحكايات والروايات بأسلوب يقرب إلى قصص العجائز فى ليالى الشتاء حول المواقد ، فانه طوال هذا الفصل لم يعمد إلى مناقشة أو تحقيق أى من الأقوال التى ذكرها واكتفى بذكر الفقرات والجمل والعبارات التى وقع اختياره عليها بدون تخريج أو ذكر للمصدر الذى نقلها عنه وغالبا ما ينسب الأقوال لغير قائليها قادحا والقدح سلاح العاجز ثم يهول ويشنع.

ولا يخفى على عاقل أن مثل هذا الأسلوب فاقد للمصداقية العلمية التى تجعل منه موضوع مناقشة وحوار وليس هناك من فائدة فى التحدث فيه إذ لا ينطلى هذا الكلام إلا على السذج والبسطاء الذين يصدقون كل من يخدعهم بكلام منمق وبراق دون المطالبة بمستند الدعوى والمصادر والمراجع، اتباع كل ناعق ممن لا يحمدون عدلا ولا يذمون جورا ، وهؤلاء ليسوا هم المقصودين بحديثنا أصلا.

كذلك فإن تتبع المتشابه والموضوع والتقاطه من هنا وهناك والإعراض عن الآراء الصحيحة الصريحة قطعية الصدور يسحب الثقة من آراء المتكلم وعلمه ، ويكفى أن يتشبث بها إنسان فيصبح منطقيا غير أهل للثقة.

ثم إنى رأيت أن الكتابة فى هذه الكلمات التى بذرها البعض فنبتت كالورم الخبيث ، واخترعت تضليلا وافتياتا ملفقة مزيفة مريضة ضالة تافهة لا تحوى قيمة شاذة وأجنبية عن الجو الصوفى الطاهر النقى العفيف ، ما وجدت فى كتاب صوفى ولا خطها قلم ولا جرى بها يراع ، وحتى إن وجدت فقد حرفت عن معناها ومقصدها الذى أراده لها أصحابها إلى وجهات تتفق مع الأغراض والمآرب المشبوهة، رأيت أنه قد يكون من المفيد عدم الإعراض عن هكذا فصل.

وقد عول المصنف فى هذا الفصل على كتب خاضت فى هذا الموضوع نقل منها حرفيا ما أراد ، من أهمها كتاب للواعظ أبى الفرج عبدالرحمن بن الجوزى (597 هـ) – ويلاحظ أنه غير ابن قيم الجوزية تلميذ ابن تيمية (751هـ) ، وغير فيزوغلى سبط بن الجوزى (654 هـ) – أسماه تلبيس إبليس جعل أكثر من نصفه قدحا وذما وتأليبا على

التصوف وأهله وحشى كتابه بالأباطيل والترهات والأكاذيب ، وهو في كتابه هذا بين أمرين:

إما أنه كان ساذجا وبسيطا صدق كل ما سمعه بدون أدنى درجات التثبت ، وإما أنه كان يختلق الروايات ليقيم حجته ، ولكنه على كل حال ما كان من المحققين ولا كان كتابه من المصادر الموثوقة ، وقد ذهب فى سبيل إثبات صحة رأيه إلى الخروج حتى عن أبسط البديهيات ، فعلى سبيل المثال لمز الحارث المحاسبى بسبب حديث ذكره الحارث فى أحد كتبه فأنكره ابن الجوزى بحجة أن أبا ذر الغفارى توفى قبل عبدالرحمن بن عوف بسبع سنين (انظر ص 173 / 174) وإذا علمت أنه حتى المبتدئ في علم الرجال يعرف أنهما توفيا فى سنة واحدة عرفت أن الرجل كان متحاملا إلى أقصى درجة. ناهيك عما حشى به كتابه من الأحاديث الموضوعة ، والروايات التى لا تصح ولا تعقل كروايته عن أبى بكر بن حبيب عن أبي صادق عن ابن باكويه قال : سمعت عبد الله بن خفيف يقول كنت في ابتدائي بقيت أربعين شهرا أفطر كل ليلة بكف باقلاء فمضيت يوما فافتصدتُ فخرج من عروقي شبه ماء اللحم وغشي علي فتحير الفصاد وقال : ما رأيت جسدا لادم فيه إلا هذا (انظر ص 203) وإذا أردت أن تعرف الكذب فى هذه الرواية فاسأل اى طبيب تعرفه عن إمكانية كون الدم بدون لونه المميز كما يبدوا ماء اللحم . هذا لأنهم كانوا يرون أن للون الدم علاقة بالأكل فيخضر ويصفر ويحمر تبعا له إذ لم يكونوا قد عرفوا بعد كريات الدم الحمراء أو البيضاء . وذكر ابن الجوزى في تلبيسه الكثير من هذا الهراء والخزعبلات ليدلل من خلالها على رأيه منها : أن خبز الشعير والملح يضران الدماغ وتقليل المطعم يوجب تنشيف المعدة وضيقها وأكل الخبز بدون أدام يورث القولنج (انظر ص 207).

واعطف عليه قوله : " أخبرنا محمد بن القاسم عن أبى محمد التميمى عن عبدالرحمن السلمى قال : سمعت أبا بكر الرازى يقول قلت لأبى بكر الدقاق وكان بفرد عين : ما سبب ذهاب عينك ؟ قال : كنت أدخل البادية على التوكل فجعلت على نفسي أن لا أكل لأهل المنازل شيئا تورعا فسالت إحدى عيني على خدى من الجوع " وإذا علمت أنه لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يحدث هذا ، إذ للجوع مراتب من الضر والأذى آخرها الموت جوعا وليس منها سيلان العين أو الاذن ، وإن لم تكن طبيبا لتعلم هذا فإنك

لا شك قد سمعت وسائل الإعلام تتناقل كل فترة أخبار المضربين عن الطعام ولم ولن يحدث أن سالت عين أحدهم أو أنفه ، وأقصى ما حدث لهم هو الموت.

أما في مجال الأسانيد فحدث ولا حرج فإنه يروى مثلا : قال أبو محمد بن جعفر بن عبدالله الصوفي : رأيت ببيت المقدس فتى من الصوفية ... الخ (انظر ص 262) وإذا علمت أن ابا حمزة الصوفي توفي في (270 هـ) وأن ابن الجوزي توفي في (597هـ) لزم أن يكون عمر الرواي أبو محمد بن جعفر الصوفي ما يزيد عن مائتين وخمسين سنة.

والخلاصة إنك إن تعقبت هذا الكتاب بالبحث والتحقيق لن تحصل منه على مقدار الخمس حقائق ووقائع صادقة. والعجب أن نجد في وقتنا هذا أناسا لا زالوا يصدقون هذه الحماقات والسخافات ويأخذون ما بهذا الكتاب وأشباهه من مخلفات السذج والبلهاء أو ذوي الأغراض المنحرفة حقائق قرآنية غير قابلة للنقاش مما يدل على تفاهة عقولهم وضحالة علومهم وارتجاج فكرهم .

واعطف عليه كتاب آخر لكاتب معاصر اسمه عبدالرحمن الوكيل جمع فيه كتابين لبرهان الدين البقاعي اسم الأول تنبيه الغبي الى تكفير ابن عربي والثاني تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد في كتاب واحد أسماه مصرع التصوف وجعل تحته حاشية من تعليقه لم يترك فيها واحدا من كبار علماء الإسلام إلا قذفه ونبزه ولمزه ، كحجة الإسلام الإمام الغزالي (انظر ص 23 / 51 / 67 / 68 / 135) والقاضي عياض صاحب الشفاء (انظر ص 24) والقاضي الحنفي السراج الهندي (انظر ص 56 / 55) والحافظ السخاوي صاحب الضوء اللامع (انظر 56) والباقلاني (انظر ص 118) وأمام الحرمين أبو المعالي الجويني (أنظر 118) والأشعري نفسه والأشاعرة عموما (انظر ص 118) ورمى من يرى رأي الخلف في الصفات بذميم الأوصاف (انظر ص 66 / 187 / 191 / 255) واعترض على المذاهب الاربعة بحجة أنها ليست هي الكتاب والسنة (انظر ص 217) بل ولم يسلم من سخاء قلمه حتى البرهان البقاعي نفسه (انظر ص 18 / 24 / 195). وكأنه لا يوجد علم ولا عالم إلا فضيلته ويطلب منا جميعا التسليم الكامل لفخامته في كل ما قال إذ الجميع في ضلال وجلالته على صواب.

ثم أتى بقاصمة الظهر وشنيعة الدهر فشكك بخبث وقلة حياء في أصدق كتاب موجود بين أيدي المسلمين بعد القران الكريم وهو الجامع الصحيح للبخاري (انظر ص 85/ 84) الكتاب الذي أجمعت الأمة قاطبة على تلقي ما فيه بالقبول بعد أن تأكدت أنه لا يحتوي إلا على أصدق الأحاديث والسنن.

وهذا هو مذهب هؤلاء المفسدين في الأرض الذين يريدون سلخ روح الإسلام وهو التصوف عن جسده فيذهبون في سبيل تأكيد أكاذيبهم وادعاءاتهم كل مذهب ، وثمت تقول إنهم رأس الفساد والشقاق والفتن بين المسلمين فالأمر لله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

لمحات من الوجه المظلم للتصوف

تبيانا للحق ومبالغة في التحذير من الوقوع في حبائل صيد المتصوفة نشر بعض الكلمات التي أثرت عن أئمة الصوفية.

1 – ليس على المخلوق أضر من الخالق

أبو طالب المكي صاحب كتاب قوت القلوب

أبو طالب المكي : لأبي طالب المكي رضي الله عنه تفسير كبير أشار إليه الخفاجي في شرح الشفاء ولم يذكره غيره إلا نقلا عنه ولم يشر أي من الباحثين المهتمين بنشر كتب التراث والعلوم الاسلامية إلى عثوره على هذا المخطوط فيما نعلم ، وله أيضا كتاب علم القلوب ، والذي لا ريب فيه أن المصنف لم يسمع به فضلا عن أن يراه ولا توجد به هذه العبارة ، وله أربعون حديثا أخرجها لنفسه ليس له فيها إلا الرواية ولا أثر لهذه العبارة بها وأشار ابن خلكان [1] الى كتاب التوحيد لابي طالب المكي والغالب أنه قصد كتاب قوت القلوب وهو يتكون من جزئين الأول (272) صفحة والثاني (298) صفحة ولا توجد هذه العبارة بهاذين الجزئين ولا حتى إشارة لها ، ولم يذكرها إلا ابن الجوزي في تلبيسه وقد تحدثنا سابقا عن هذا الكتاب ونقلها عنه من جاء بعده.

وايضا فاننا قد أشرنا الى سماجة وسخافة ترك كتب القوم ومصادرهم الصحيحة

---

1 – وفيات الاعيان لابن خلكان تحقيق د / إحسان عباس ج 4 ص 203

والتقاط الأكاذيب وسوق التهم جزافا بدون بينة

2 - أنا أعشق الله والله يعشقني.

أبو الحسن النوري

اكتفى المصنف هنا بإيراد هذه العبارة ولم يذكر الوجه المظلم بها على حد زعمه مما لا يجعل أمامنا من سبيل إلا الاجتهاد.

فإن كان الاعتراض على كلمة عشق فهي تعني كما قال الفيروزبادي صاحب القاموس " عجب المحب بمحبوبه " وللحب في اللغة ستون اسما تقريبا أحدها العشق [1] وحين أقبل الرسول صلى الله عليه وسلم الى جبل حراء حيث كان يخلو بربه ويتعبد قالت العرب إن محمدا قد عشق ربه فكأن القائل قال : أنا أحب الله والله يحبني ، ومعلوم أن العبد لا يكون في حال إلا إذا سبق له من الله ومنه قوله تعالى : (ثم تاب عليهم ليتوبوا) [2] وقوله (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) [3] فأنت لا تحب الله حتى يحبك ولا تتوب حتى يتوب عليك وقس عليه سائر الأحوال .

وإن كان الاعتراض على استعمال لفظ العشق في حق الله تعالى فهذا لقلة الاطلاع وإلا فقد قال تعالى في الحديث القدسي : (**إذا كان الغالب على العبد الاشتغال بي جعلت بغيته ولذته في ذكري فإذا جعلت بغيته ولذته في ذكري عشقني وعشقته رفعت الحجاب بيني وبينه وصيرت ذلك غالبا عليه لا يسهو إذا سها الناس أولئك كلامهم كلام الأنبياء** .) [4] والحديث من مراسيل الحسن وقد اتفقت الأمة على قبول مراسيل اثنين من التابعين وهما سعيد بن المسيب والحسن البصري، وكان الحسن يقول : (إنما أطلقه - الحديث المرسل - إذا سمعته من سبعين من الصحابة) [5] وقد ذهب إلى الاحتجاج به الأئمة الثلاثة .[6]

---

1) روضة المحبين ، ابن القيم ص 25.
2) التوبه : 118
3) المائده 54
4) رواه أبو نعيم
5) مصطلح الحديث ، الشيخ عبد الغني محمود ص 23 .
6) الحديث مرفوع المرسل حجة عند الأئمة مالك وأحمد وأبي حنيفة و لكن عند الشافعي إذا أعتضد بأحد أمور معروفة عند أهل الأختصاص .

3 – علماء الرسوم (الشريعة) يأخذون خلفا عن سلف والأولياء يأخذون عن الله مما ألقاه في صدورهم .

ابن عربي

ومعنى هذا القول أن الأولياء في غنى عن الشريعة الإسلامية حيث هم يتلقون عن الله مباشرة وهذا والله الكفر وهو مذهب كثير من الروافض فليتأمل.

عودة إلى العلم الوهبي :

أولا : إن تكفير المسلمين الذين يشهدون أن الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله هو مخالفة لهدى المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي قال : (**إذا قال الرجل لأخيه ياكافر فقد باءبها أحدهما فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه**) [1]

ثانيا : ليس في هذا القول ما يعني الاستغناء عن الشريعة الإسلامية إذ أن الأخذ عن الله تعالى هو من قبيل ما يفتح الله به على عبده كما روى البخاري في الجزء الخامس ص 15 من صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (**لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن من أمتي منهم أحد فعمر**) ، وليس في هذا ما يخرج بالمسلم عن الشريعة بل هو نتيجة لحسن القيام بأوامر الشرع الكريم ، ولو سلمنا لمنطق المصنف الأعوج لقادنا إلى أن عمر رضي الله عنه مستغن عن الشريعة وله شرع خاص به.

والمقصود بالأخذ عن الله تعالى هو ما يلقى في الروع بطريق الفيض من غير استدلال ولا نظر مما لا يخالف الشرع أو ياتي فيه بجديد.

(وكان اسم امراة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عاصيه فأسلمت فأتت عمر فقالت : قد كرهت اسمي فسمني فقال : أنت جميله فغضبت وقالت ما وجدت اسما تسميني به إلا اسم أمة ، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إني كرهت اسمي

---

1) متفق عليه .

فقال : أنت جميلة فغضبت وذكرت قول عمر فقال صلى الله عليه وسلم : أما علمت أن الله عند لسان عمر وقلبه) (1)

نعم إن القلوب الصافية المصقولة تتلقى معارفا من الله تعالى وحقائق وأنوارا ولا تقاس بغيرها من القلوب المكدرة المظلمة وهذا هو المقصود بالتلقي عن الله عز وجل وهو مؤيد بالكتاب والسنة قال تعالى: (**واتقوا الله ويعلمكم الله**) (2) ، وقال : (**إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا**) (3) وقال : (**قل هذه سبيلي أدعو إلي الله على بصيرة أنا ومن اتبعني**) (4)

وسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو (اللهم إني أسالك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام ياحي ياقيوم) فقال صلى الله عليه وسلم : « **لقد سأل الله باسمه الأعظم** » (5) ويلاحظ كل من يستطيع الملاحظة ويفهم كل من رزق حتى شبه الفهم أن الرسول صلى الله عليه لم يقل للرجل إنك في غنى عن الشريعة لأن الله تعالى قذف في قلبك ما قذف ، ومالِيه من شاذ الأقوال وسقيمها بل أقره على فعله وليس بعد رسول الله عليه وسلم مشرع.

4 – أنا الحق وصاحبي وأستاذي إبليس وفرعون.
الحلاج لعنه الله

الحسين بن منصور الحلاج :

ذكر هذه العبارة صاحب كتاب " مصرع التصوف " المشار إليه سابقا في صفحة (29) ونقلها المصنف – هداه الله حرفيا ، وأصلها في كتاب أخرجه طيب الذكر مشكورا " نيكلسون أسماه " الطواسين في صفحة (134) على أنه كتاب الإمام الحلاج الذي يحمل الاسم نفسه ، وأدخل هذا النيكلسون في كتابه هذا كل ما نسب

1- الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج 4 ص 254 ترجمة رقم 232نساء.
2- البقرة أيه 282
3- سورة الانفال أيه 29
4- يوسف أيه 10 8
5- رواه أحمد والترمذي وابن حبان

للإمام من أقوال ودس عليه من افتراءات على أنها من أصل الكتاب .

ثم وكنتيجة منطقية حتمية للدعاية المركزة المشبوهة التي روج لها البعض داخل أروقة الجامعات الإسلامية والمعاهد العلمية لهؤلاء المستشرقين بحجة العلم وحرية الفكر حتى أن بعضهم إذا ذكر هؤلاء المشركين والكفرة ترحم عليهم كأنه يذكر صالح المؤمنين [1] وأئمة الإسلام بل ولا يترحم على هؤلاء إلا مضطرا وعلى أولئك مفتخرا، أقول نتيجة لكل هذا ولما هو أكثر منه مما لا نجهله اعتمدت أقوال نيكلسون أخزاه الله وأصبحت طواسينه قرآنا منزلا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا يتحدث باحث معاصر في التصوف إلا إذا ألموا بها فنسأل الله أن يمن علينا بالصبر.

ولأننا لا نريد أن نخرج عما نحن بصدده نذكر بأن اعتناق الأفكار القائمة على تخطئة أعلام الإسلام هو مؤامرة يجب التيقظ لها ، ونتيجة للجهل المركب كان للحلاج رضي الله عنه فيها النصيب الأكبر جهلا بأسباب قتله التي كانت لأسباب سياسية بحتة غلفت برداء ديني لمآرب منفعية غالة وهو بالتحديد ما يريده أعداء الإسلام وقادتهم الروحيين من أهل الاستشراق ، ويكفي أن نعرف أن هؤلاء يجمعون على مشاركة المصنف المدرس بالجامعة الإسلامية والواعظ بالمسجد النبوي الشريف رأيه ، فإن شيخ الإسلام " ريسكه " يرى أن الحلاج كان كافرا ، ويراه المسلم الصادق " براون " دساسا خطيرا ناهيك عن آراء الرجال الصالحين من أمثال " مولر " " وهوبلرت " و" ثولك " و" كزانسكي " [2].

وقد علم هؤلاء أن التصوف هو روح الإسلام وقلبه فحاربوه وسلطوا جل هجماتهم عليه فأعلنوا أن التصوف ليس من الإسلام في شئ لأن المثالية والصفاء والتسامح والتجافي عن دار الدنيا هي في كل شريعة إلا الشريعة الإسلامية وإن تعجب فعجب أن يرمي " جولد تسيهر " اليهودي رجال التصوف بالكفر ويصدق في كذبه وكيده .

{ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون

1- انظر تعليق أبو العلا عفيفي على الفصوص لابن عربي ج 1 ص 12 / 20

2- لمعرفة آراءهم بتوسع انظر دائرة المعارف الإسلامية مادة الحلاج ج 8 ص 17

ويمكر الله والله خير الماكرين) [1].

وهؤلاء المستشرقون الحاقدون على الإسلام الكائدون لأبنائه لا زالوا يجدون للأسف كما قلنا آذانا صاغية مطيعة ممن يدعى العلم ولهم أغراض وأهداف يتسللون إليها بدهاء وخبث فانظر مثلا إلى صاحبهم نيكلسون وهو شيطانهم الأكبر ومبلهم الذى يقتسمون أزلامهم عنده حيث يقول : (وإنا لنرجح أن النبى العربى كان شموليا يعتقد بوحدة الكون أينما تولو فثم وجه الله) [2] وإنا لنجلك ايها القارئ عن أن تغمض عليك أقواله فإنه يعنى أولا أن القرآن الكريم من وضع النبى صلى الله عليه وسلم ثم يرميه – رماه الله فى جهنم رمية لا قرار لها – بالقول بالوجود الواحد ومع هذا لا زلنا تجد من يتشبه به ويعتقد أقواله ويبثها باسم الإسلام نسأل الله القادر على كل شئ المغفرة والهداية لنا ولهم .

5- إن العارف من يرى الحق فى كل شئ بل يراه عين كل شئ وهذا هو معنى وحدة الوجود والحلول والاتحاد . *صاحب هذا الكفر محى الدين بن عربى*

الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى :

للشيخ الأكبر ما يقارب من خمسمائة كتاب يعلم منها الآن مائتى كتاب والباقى لم يعثر عليه بعد فيما نعلم ، ومن أشهر كتبه فصوص الحكم والفتوحات المكية وهما من أعظم كتب المكتبة الإسلامية على الإطلاق وإن كانا لا يخلوان من الدس بشهادة المحققين.

وقد سئل الإمام الحصفكي : (من قال عن فصوص الحكم للشيخ محى الدين بن عربى إنه خارج عن الشريعة وقد صنفه للإضلال ومن طالعه ملحد ماذا يلزمه ؟ أجاب : نعم فيه كلمات تباين الشريعة فتكلف بعض المتصلفين إرجاعها إلى الشرع ولكن الذى

1- الأنفال ايه 30

2- فى التصوف الإسلامى نيكلسون ص 126

تيقنته أن بعض اليهود افتراها على الشيخ قدس الله سره) ، وقد صنف الحافظ السيوطى كتابا أسماه " تنبيه الغبى فى تبرئة ابن عربى " بين فيه حقيقة منهج الشيخ الأكبر الذى ليس الا الكتاب والسنة ، وقال الشيخ البلقينى : (كذب والله وافترى من نسبه – يقصد الشيخ الأكبر – إلى القول بالحلول والاتحاد) . ولدينا عدة وثائق تثبت أن كتاب الفتوحات تعرض للدس والتزوير فيقول الشعرانى فى اختصاره للفتوحات:

(وقد توقفت حال الاختصار فى مواضع كثيرة منه لم يظهر لى موافقتها لما عليه أهل السنة والجماعة فحذفتها من هذا المختصر وربما سهوت فتتبعت ما فى الكتاب كما وقع للبيضاوى مع الزمخشرى ، ثم لم أزل كذلك أظن المواضع التى حذفت ثابتة عن الشيخ محى الدين حتى قدم علينا الأخ العالم الشريف شمس الدين أبو الطيب المدنى المتوفى سنه (955هـ) فذاكرته فى ذلك فأخرج إلى نسخة من الفتوحات التى قابلها على النسخة التى عليها خط الشيخ محى الدين نفسه بقونيه فلم أر فيها شيئا مما توقفت فيه وحذفته . فعلمت أن النسخ التى فى مصر الآن كلها كتبت من النسخة التى دسوا فيها على الشيخ) [1]

ولدينا وثيقة أخرى تثبت أن الشيخ الأكبر لاحظ أن كتابه داخله التحريف والتغيير . فأعاد كتابته وترك نسخة أصلية عليها خط يده كمرجع. فقد ذكر المقرى وهو المعروف بدقته وتثبته (أن الشيخ الاكبر أرسل يستأذن الشيخ ابن الفارض فى شرح تائيته فقال ابن الفارض رحمه الله : كتابك المسمى بالفتوحات المكية شرح لها) [2]

وإذا علمت أن ابن الفارض توفى فى (632 هـ) والنسخة التى بخط الشيخ الأكبر كانت فى أواخر حياته إذا فرغ منها فى (635 هـ) دلك هذا على أن الشيخ لاحظ التحريف الذى طرأ على كتابه فأراد أن يجعل له حدا بأن يجعل من نسخته مرجعا . ولا يبعد أن تكون النسخ الموجودة فيما بعد ذلك التاريخ خليط مما كتب الشيخ وغيره ، وقد ذكرنا ذلك ليكون قارئ كتب الشيخ الأكبر على حذر.

1- اليواقيت والجواهر : عبدالوهاب الشعرانى ، ج1 ، ص 9

4- نفح الطيب : المقرى ، ج 1 ، ص 570

والراجح عندي أن هذه الإضافات هي محاولات من البعض لشرح مغاليق كتب الشيخ وإشكالاتها فأضاعوا المعنى من حيث لا يشعرون ، ويظهر هذا واضحا في تغير الأسلوب فجأة من أسلوب الشيخ المشهود له بالتقدم والروعة إذ هو أحد خمسة كُتّاب شهد لهم علماء الإسلام بالتقدم على سواهم من سابقين ولا حقين [1] إلى أسلوب تقريري عادي خصوصا في الفتوحات.

ولنرجع إلى العبارة التي ذكرها المصنف وهي " إن العارف من يرى الحق في كل شئ بل يراه عين كل شئ" وخوفا من أن يتبادر إلى ذهن سامعها ما تبادر إلى ذهن المصنف نجد أن الشيخ كرر في كتبه قوله : (إن العالم ما هو عين الحق ولا حل فيه الحق إذ لو كان عين الحق أو حل فيه لما كان تعالى قديما ولا بديعا) [2] ، أو قوله : (أعظم دليل على نفي الحلول والاتحاد الذي يتوهمه البعض أن تعلم عقلا أن القمر ليس فيه من نور الشمس شئ وأن الشمس ما انتقلت إليه بذاتها وإنما كان القمر محلا لها فكذلك العبد ليس فيه من خالقه شئ ولا حل فيه) [3] .

فالشيخ رحمه الله يبين بوضوح وصراحة أن الحلول والاتحاد لا يصح اعتقادها إذ أن ذلك سيؤدي بداهة إلى سلب الصفات الواجبة لله وحده مما يؤدي بدوره إلى لزوم فسادها.

فالعارف من أسقط السوى بالكلية فلا يرى في المخلوق إلا قدرة وإرادة الله تعالى إذ ذهب المجاز وبقيت الحقيقة حقيقة ما ثم إلا الله ظاهرا وباطنا أولا وآخرا .

وقد قلنا سابقا إن لكل طائفة اصطلاحات وألفاظا تعارفت عليها لا يقف على مضمونها إلا هم وإلى هذا أشار الجلال السيوطي رضي الله عنه بقوله : (واعلم إنه

1- جاء هذا في اذاعة المملكة العربية السعودية في برنامج مسائل ومشكلات بتاريخ 1985/2/20 في حديث لفضيلة الشيخ علي طنطاوي . والخمسة هم : محي الدين بن عربي ، وأبو حيان التوحيدي ، وابن خلدون ، وحجة الإسلام الإمام الغزالي ، والجاحظ.

2- الفتوحات المكية ابن عربي باب 559

3- الحاوي للفتاوى جلال الدين السيوطي ج 2 ص 134

وقع في عبارة بعض المحققين لفظ الاتحاد إشارة منهم إلى حقيقة التوحيد فإن الاتحاد عندهم هو المبالغة في التوحيد ، والتوحيد معرفة الواحد الأحد فاشتبه ذلك على من لا يفهم إشاراتهم فحملوه على غير محمله) [1] . وأيضا فإن الاصطلاحات والألفاظ لا تشرح بل تفهم ومن أراد فهمها وإدراكها فليكن في مستوى قائليها ، قال شيخ الأزهر عبدالحليم محمود : (فلا بد أن يبلغ الإنسان المستوى أو يقارب المستوى وحينئذ سيقول كما قال أسلافنا الذين بلغوا المستوى أو قاربوه رضي الله عن سيدنا محي الدين بن عربي) [2].

والخلاصة : أن الذي يجب علمه يقينا أن الشيخ الأكبر كان إمام التحقيق حالا ومقالا والشارح لعلوم العارفين فعلا واسما لا ينطق بغير الله ولا يسير على غير كتابه تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وكان شعاره دائما (كل من رمى ميزان الشريعة من يده لحظة هلك) [3].

6- *قيل للتلمساني هذا إشارة إلى جثة كلب أجرب ميت أيضا هو ذات الله ؟ فقال : وهل ثم شئ خارج عنها ؟ فلينظر كيف جعل التلمساني وهو أحد أئمة الصوفية كل شئ في ذات الله تعالى حتى الكلب الأجرب الميت . أعوذ بالله من هذا الكفر العفن*

العفيف التلمساني:

هو سليمان بن علي بن عبدالله ويشتهر باسم عفيف الدين التلمساني المتوفى سنة (680هـ) وله من المؤلفات كتاب شرح أسماء الله الحسنى ، وكتاب شرح منازل السائرين ، وشرح مواقف النفري ، وشرح فصوص الحكم ، وكلها لا تزال مخطوطة لم تطبع بعد فيما نعلم ، وأيضا كان له ديوان شعر متداول في عصره وصف بالجودة لدينا منه الآن اثنتا عشرة قصيدة تحتوي على مائة وأربعة وعشرين بيتا .

ولا توجد عنه معلومات ذات قيمة إلا في : البداية والنهاية لابن كثير ، وفوات الوافيات

1- الحاوي للفتاوى جلال الدين السيوطي ج 2 ص 134

2- قضية التصوف المنقذ من الضلال شيخ الأزهر عبدالحليم محمود ص 163

3- اليواقيت والجواهر عبدالوهاب الشعراني ج 1 ص 7

لابن شاكر الكتبي ، وشذرات الذهب للعماد الحنبلي ، وغير هذه المصادر المطبوعة هناك مراجع مخطوطة تكلمت عنه فقد ذكره المناوى فى الكواكب الدرية وهو أفضل وأدق من تحدث عنه ، وكتاب المنهل الصافى لابن تغرى بردى ، والوافي بالوفيات للصفدى ، وتاريخ الإسلام للذهبى ، وعيون التواريخ لابن شاكر وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات وكل هذه المخطوطات توجد الآن بدار الكتب المصرية.

والمراد بالعبارة التى ذكرها المصنف أن الأشياء بالله إيجاداً وإمدادا فالحى فى ذلك والجيفة القذرة سواء إذ لو وكل الله تعالى شيئا لنفسه طرفة عين أو أقل من ذلك أو اكثر لتلاشى وما كان له ماض أو حاضر أو مستقبل ولا حتى شغل حيزا من الفراغ أصلا . ولا يقصد أن الجثة الميتة هى الله جل اسمه وتقدست ذاته وصفاته وإلا لكان التلمسانى رضى الله عنه حملها معه إلى البيت ولم يتركها محلها عند دار الطعم ، بل على أنها مظهر من المظاهر السارية فيها قيومية الحى القيوم.

ويقع فى خاطرى أن الرواية لا صحة لها وأول من ذكرها هو الشيخ ابن تيمية بلفظ : (مر شيخان منهم التلمسانى والشيرازى على كلب أجرب ميت بالطريق عند دار الطعم فقال الشيرازى للتلمسانى : هذا يشير إلى جثة الكلب الميت الأجرب - أيضا هو ذات الله ؟ فقال : وهل ثم شئ خارج عنها نعم الجميع ذاته) [1] وربما كان الشيخ ابن تيمية سمعها ورواها عن غيره بدون تثبت إذ لم يلتق ابن تيمية والتلمسانى رغم تعاصرهما.

نعم هى رواية صحيحة المعنى من حيث ما يعنيه أهل الإشارة بهذه الألفاظ لا من حيث ما يفهمها عبدة القشور ولكن فى متنها افتعال ووضع واضح إذ حشر فيها اثنان من السادة الصوفية والجثة ليست جثة عادية لأى إنسان أو حيوان بل جثة متعفنة لكلب ينجس ما يلغ فيه حال حياته فما بالك به بعد موته ، وبالإضافة إلى هذا هو أجرب يثير التقزز فالافتعال فى الرواية لا يكاد يخفى .

7- اللهم انشلنى من أوحال التوحيد وأغرقنى فى عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أجد ولا أحس إلا بها . *من أوراد الشاذلية*

1- مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ج 1 ص 145 / والرسائل والمسائل لابن تيمية ص 105

إن معنى هذه الجملة من الكفر أن صاحبها لا يرضى بلا إله إلا إلله ويرضى بأن يكون جزءاً من الله تعالى الله أن يحل فى مخلوقاته أو يتحد به أو يتوحد معه علوا كبيرا .

الصلاة المشيشية:

هذه العبارة مأخوذة من الصلاة المشيشية للشيخ عبدالسلام بن مشيش وتمامها : لذج بى فى بحار الأحدية وانشلنى من أوحال التوحيد وأغرقنى فى عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولاأجد ولا أحس إلا بها ، وهى من أوزاد السادة الشاذلية حيث أخذها الإمام الشاذلى عن الشيخ عبدالسلام بن مشيش ، ويبدو أن المصنف لا يعلم أن الشيخ ابن تيمية رحمه الله قد انتقد هذه العبارة بالذات وأن معظم من عاصره من العلماء خطئوه وأسقطوا حجته لأنه حمل الكلمات فوق ما تحتمل ، وقد بين الإمام ابن عطاء الله السكندرى فساد ادعاءات ابن تيمية فى حينه.

والمراد بالإنقاذ من أوحال التوحيد هو النجاة من الإيمان بالوحدانية القائم على الأدلة العقلية والبراهين المنطقية لأنه اعتقاد غير راسخ وعرضة للتزعزع والارتياب ، أما التوحيد المعنى بعين بحر الوحدة فهو تلك العقيدة الفطرية المستقرة فى أعماق الروح والتى ليست بناتجة عن النظر أو الاستدلال وإنما هى وليدة الإحساس القلبى والفهم الوجدانى.

وعلم التوحيد عند غير السادة الصوفية علم منطقى بحت كما هو معروف وقد ذهب بعضهم إلى إثبات وجود الله ووحدانيته بالنقل كأن يقول : قال تعالى : (**شهد الله أنه لا إله إلاهو**) أو ما شابهها من الآيات القرآنية الكريمة ليدلل بها ، ولكن العقل مقدم على النقل فى هذا الأمر إذ لوكان المتحدث إليه مؤمنا بالقرآن لوحد الله بالضرورة ، وعليه فهم يثبتون وجود الله أولا عن طريق مصنوعاته بقولهم وجوده تعالى له دليل قاطع ، حاجة كل محدث للصانع ، ثم يوجبون للصانع ما يستوجب من صفات كقدمه عن مصنوعاته وقدرته عليها واستحالة وجود الشريك وما إليها قياسا على المقدمة.

أما عين بحر الوحدة فهو ذلك الإيمان الصرف اليقينى غير القابل للتزعزع ، ولم يدرس الصحابة رضوان الله عليهم علوم التوحيد وما يجب لله تعالى وما يستحيل وما

جوز ومع هذا أين توحيدهم من التوحيد القائم على أوحال الحجج العقلية والأدلة المنطقية ، بل في علم التوحيد أسماء وصفات لم يسم الله بها نفسه كالقديم وواحد الذات والوصف والفعال وما إليها وجاء أن عجوزا سألت أبا بكر الباقلانى عن الكتب التى يحملها على ناقته فيما تبحث ؟ فقال : فى إثبات الله فقالت : أفى الله شك ؟ فقالوا : إنه أحرق كل ما كان بحوزته من كتب وأسفار ثم قال الكلمة المشهورة : اللهم إنى أسألك إيمانا كإيمان العجائز.

وإننى كنت ولازلت دائما أتساءل، أرأيت صاحب الإيمان القائم على الحجج والبراهين والأدلة إذا جاءه من هو أقوى منه برهانا وأبلغ حجة وأجمل بيانا هل يترك ما عنده إلى إيمان آخر ؟ وهل يسمى هذا التوحيد توحيدا إلامجازا .

8- القرآن كله شرك وإنما التوحيد فى كلامنا
التلمسانى

هذه العبارة لا توجد فى كتب العفيف التلمسانى رضى الله عنه ، وأول من انفرد بها ثم رويت عنه هو الشيخ ابن تيمية إذ نسبها للعفيف فى الرسائل والمسائل ج 1 ص 77 ، ص 181 . ولم يذكر الشيخ ابن تيمية لها سندا وقد علمت أن ابن تيمية لم يلتق بالعفيف رغم معاصرته له مما يجعل أمانة النقل غائبة فى هكذا حالة ، ومعظم هذه الروايات عند تتبعها نجد رواتها المباشرين محلا للجرح والطعن لأسباب كثيرة يخرجنا ذكرها عما نحن بصدده ويظهر الاضطراب فيها بوضوح.

والدارس الفطن لكتب هذا العلم الجليل يجده من صفوة الصفوة علما وعملا وذوقا وورعا وصدقا وهذه العبارة وأمثالها مما ابتلى به الكثير من السادة الصوفية وقمة الخبل تكمن فى أن هؤلاء الحاقدين يتركون كتب ومصادر السادة الصوفية قطعية الصدور ويبثون وينسبون إليهم ما شاءوا ، وقد نبه المناوى إلى هذه الحقيقة فى ترجمته للتلمسانى فقال :

(إن الكثير من الأقوال مدسوس عليه وهو منها برئ ولا يصح نسبة شئ منها إليه) [1] وقال برهان الدين الكتبي : (دخلت عليه - يقصد التلمساني - يوم مات فقلت له كيف حالك ؟ قال : بخير من عرف الله كيف يخاف) [2] ، رحم الله هؤلاء السادة العارفين وغفر لكل من قدح فيهم أو طعن بدون علم وتريث إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

9- وأما واضع هذا العلم " التصوف " فهو النبي صلى الله عليه وسلم علمه الله بالوحي والإلهام فنزل جبريل أولا بالشريعة فلما تقررت نزل ثانيا بالحقيقة فخص بها بعضا دون بعض وأول من تكلم فيه وأظهره سيدنا علي كرم الله وجهه.

ابن عجيبة

انظر كيف يرر دجله بالكذب على الله ورسوله وجبريل وصالح المؤمنين وبذلك قرر فرية أن الحقيقة تقابل الشريعة وأن كلا منهما مما شرع الله تعالى سبحانك هذا بهتان عظيم.

لا ريب أن هناك من لا يرى الفرق بين التمر والبصل الأحمر

أفي مثل ابن عجيبة تقال هذه الأوصاف من دجل وكذب وهو ابن عجيبة نعم جاءت هذه العبارة في كتاب إيقاظ الهمم في شرح الحكم للشيخ أحمد بن محمد الحسني الشهير بابن عجيبة ص 5 . وليس فيها ما يخرج عما هو معلوم بالضرورة ، فلفظ الحقيقة لم يرد على أنه مقابل للشريعة بل على أنه مكمل لها وهو ما يتضح وضوح قمر التم في فصل الربيع . فإنه يقول إنه بعد أن نزلت الشريعة بما فيها من أحكام العبادات والمعاملات الظاهرة نزل سيدنا جبريل بالحقيقة وهي الإخلاص وصدق التوجه أثناء تأدية هذه العبادات.

وقد سئل الحافظ محمد الصديق الغماري عن أول من أسس التصوف وهل هو بوحي سماوي فأجاب :

---

1 - الكواكب الدرية للمناوي ورقة رقم 332 مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 260 قسم التاريخ

2 - شذرات الذهب ابن العماد الحنبلي ج 5 ص 417 .

(أما أول من أسس الطريقة ، فلتعلم أن الطريقة أسسها الوحي السماوي في جملة ما أسس من الدين المحمدي إذ هي بلا شك مقام الإحسان الذي هو أحد أركان الدين الثلاثة التي جعلها النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما بينها واحدا واحدا دينا بقوله : هذا جبريل عليه السلام أتاكم يعلمكم دينكم . وهو الإسلام والإيمان والإحسان . فالإسلام طاعة وعبادة والايمان نور وعقيدة والإحسان مقام مراقبة ومشاهدة : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) [1] .

فالأمر كما رأيت معروف عند العلماء من محدثين وغيرهم وهاهو خاتمة الحفاظ الشيخ الغماري يشرحه ويقرره وليس المقصود به أكثر من الإشارة إلى مقام الإحسان الذي هو أعلى الدرجات الثلاث.

10- خضنا بحرا وقف الأنبياء بساحله *التيجاني* *ولازم قول التيجاني هذا أن أقطاب الصوفية وهو على رأسهم أعلم بالله وأعرف بشرائعه المتضمنة محابه ومساخطه من الانبياء . أليس هذا هو الكفر ياعباد الله.*

أولا : هذه العبارة ليست للتيجاني بل قيلت قبله بمئات السنين وتنسب للعديد من رجال التصوف وأقدم من نسبت له هو أبو يزيد البسطامي رحمه الله وما أصدقها من كلمة .

ثانيا : إن المراد بها أن الأنبياء بما حازوه من مقام عال منيف وهبوه بدون اكتساب إذ النبوة صفة ملازمة للنبي كما قلنا كانت معارفهم وعلومهم وحقائق إيمانهم يقينية إذ لوحاولت أن تزعزع عقيدة أحدهم أو تشككه أو تجعله يكفر أو يشرك لما استطعت إلى ذلك سبيلا ، بينما الأولياء ممن ليسوا بأنبياء ليست لهم العصمة ولا أوتوا ما أوتي الأنبياء ، فأبو يزيد رحمه الله أراد أن يشكو بهذا الكلام ضعفه وعجزه عن اللحاق بالأنبياء الذين وقفوا على الجانب الآخر من ساحل الغرق يدعون الخلق إلى الخوض فلو كان كاملا

1) حقائق عن التصوف – الشيخ عبد القادر عيسى – ص 22 .

لوقف حيث هم .

> *11- مقام النبوة فى برزخ فويق الرسول ودون الولى*
>
> *معنى هذا البيت الصوفى - خربه الله - أن الولى أفضل من النبى ومن يعتقد هذا كيف لا يكفر .*

لقد قلنا سابقا أن المنطق الصحيح يقضى بأن لا يفتى الاقتصادى فى أبحاث الجغرافى ولا المهندس فى أعمال الصيدلانى ، فالعدالة تحتم بأن لا يتحدث فى كلام القوم إلا هم ، وكل محاولة لتفسير كلامهم وإشارتهم من قبل غيرهم هى محاولة فاشلة وإن سلمت النية وصلحت الطوية فما بالك وصلاح النية أمر مفقود عند المتحدث . وإسناد الأمر إلى أهله أمر بديهى ، لا جدال فيه ولو قلنا لغير المختص أن يشرح لنا قول المعرى مثلا :

وحرف كنـــون تحت راء ولم يكن   بدال يؤم الرســـم غيره النـــقط

لما استطاع أن ينطق بحرف فإذا حدثت أهل الأختصاص أجابوك : بأن الشاعر شبه الناقة فى هزلها وضمورها بحرف النون تحت راء رجل يضرب رئتيها اسم فاعل من رأيته : إذا أصبت رئته لم يكن بدال أى رفيقا بها اسم فاعل من دلا ركابه إذا سار سيرا رفيقا والرسم رسم دار الحبيب والمراد بالنقط نقط المطر .

وبناء عليه فلننظر شرح البيت الذى نقله المصنف عند الشيخ عبد الكريم الجيلى رضى اله عنه فإنه من أهل الاختصاص فيقول : ولا ولاية أعظم من ولايته - يقصد الرسول صلى اله عليه وسلم - لما اتفق عليه الجمهور أن كل نبى ولى وكل رسول نبى ولا عكس فما كل نبى رسول ولا كل ولى نبى . واعلم أن كل نبى أو رسول فإن ولايته على قدر نبوته ولهذا قال المحققون إن الولاية أفضل من النبوة يريدون بذلك فى الرجل الواحد يعنى أن ولاية النبى أفضل من نبوته ومن هنا قال بعضهم :

مقام الـــنبوة فـــى برزخ   فدون الولـــى وفوق الرســـول

فالولاية عبارة عن الوجه الإلهى للنبى والرسالة عبارة عن الوجه الذى بين النبى وبين

الخلق [1] ولا أظن أن الأمر يحتاج لشرح أو إيضاح أكثر .

12 - أنا سيد الأولياء كما أن النبى سيد الأنبياء ولا يشرب ولى ولا يسقى إلا من بحرنا من نشأة العالم إلى النفخ فى الصور وإذا جمع الله تعالى خلقه فى الموقف ينادى مناديا بأعلى صوته حتى يسمعه كل من فى الموقف يا أهل المحشر هذا إمامكم الذى كان مددكم منه .

أناشدك الله تعالى أيها القارئ أن تقول ما إذا كان هذا الكلام كذبا على الله ورسوله وعلى المؤمنين ولا أخالك إلا قائلا : اللهم إن هذا كذب بحت عليك وعلى رسولك وعلى المؤمنين إن هذه الدعوى أخى المسلم لم يدعها نبى ولا رسول فكيف يدعيها أحمد التجانى وتقبل منه يالالعجب ؟

13 - أخبرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأنى أنا القطب المكتوم منه إلي مشافهة يقظة لا مناما وقد سئل عن معنى المكتوم فقال : هو الذى كتمه الله تعالى عن جميع خلقه حتى الملائكة والنبيين إلا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فإنه أعلم به وبحاله وهو الذي حاز كل ما عند الأولياء من الكمالات الإلهية واحتوى على جميعها فانظر كيف ادعى التجانى أن النبى صلى الله عليه وسلم قد أخبره يقظة لا مناما ومشافهة لا واسطة بأنه القطب المكتوم .

اللهم هذا كذب على رسول الله وعلى عبادك فالعن اللهم من كذب عليك وعلى رسولك وعلى عبادك المؤمنين .

14 - إن الفيوض التى تفيض من ذات سيد الوجود تتلقاها ذوات الأنبياء وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتى ومنى يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النفخ فى الصور وخصصت بعلوم بينى وبينه مشافهة لا يعلمها إلا الله عز وجل بلا واسطة .

وقوله لا رضى الله عنه - وهو يشير بأصبعيه السبابه والوسطى روحى وروحه صلى الله عليه وسلم هكذا تمد الرسل والأنبياء وروحى تمد الأقطاب والأولياء من

---

(1) الكمالات الإلهية - الشيخ عبد الكريم الجيلى .

الأزل إلى الأبد .

التجانى

أنظر أخي المسلم كيف عد التجانى نفسه ربا أزليا روحه تمد الأقطاب والأولياء من الأزل إلى الأبد .

عودة إلى كتاب جواهر المعانى

أولا : نختصر القول بذكر عبارة جامعة مانعة للشيخ التجانى رضي الله عنه لا يكاد يخلو منها مصدر من المصادر التى تحدثت ونقلت عنه وهى : ولنا قاعدة واحدة عليها تبنى جميع الأصول : أنه لا حكم إلا لله ورسوله ولا عبرة فى الحكم إلا بقول الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم وكل قول لعالم ولا مستند له من القرآن ولا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو باطل ، وكل قولة لعالم جاءت مخالفة لصريح القرآن المحكم ولصريح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فحرام الفتوى بها .

ثانيا : نبسط القول أكثر فنقول ما لم نك نود الخوض فيه لأسباب لا نحسبها تخفى على ذوى البصائر وهو : إن هناك خصومات وأحقاد ومنازعات قديمة بين عائلة الشيخ أحمد التجانى وعائلة من الجنكيين فى المغرب وكلا كتب الكثير من الشعر والنثر فى الآخر ، وكانت الخصومة أحيانا شريفة وأحيانا تنزل إلى مستويات أخرى بين كلا الطرفين وكان من المنطقى أن يتناول هؤلاء الشيخ التجانى وطريقته بمؤلفاتهم وألسنتهم بل بلغ من كيدهم له أن وضعوا كتاب أسموه (يعسوب السر الربانى فى كرامات الشيخ التجانى) يوهم عنوانه وبعض فصوله بموالاة الشيخ ونثروا خلاله الكثير من الأباطيل والترهات والأكاذيب فـفطن له أبناء الشيخ وأحرقوا نسخه وأعلنوا براءتهم منه (1) .

وكتاب جواهر المعانى الذى ينقل عنه المصنف هو كتاب لأحد اتباع الطريقة التيجانيه واسمه على حرازم وبه كثير من الدس والاضطراب والتناقض ومشائخ الطريقة

---

1) أنظر هذا فى كتاب طرق المنفعة ، وكتاب جناية المنتسب العانى فيما نسب بالكذب للشيخ التجانى للقاضى أحمد أحمد العياشى .

التيجانية يعلمون هذا وينبهون عليه في كل محفل وانفراد .

يقول فضيلة الشيخ إبراهيم صالح بن يونس وقوله العمدة : قد كان لطبع كتب السادة الصوفية من قبل بعض دور النشر بدون عرض لما فيها على علماء تلك الطرق لمراجعتها وتصحيح نسخها الخطية دخل كبير في إشاعة ما لا صحة له من الآراء التي لا يقول بها أئمة تلك الطرق ، وكما أصاب هذا البلاء بعض كتب التصوف فقد منيت به بعض كتب الحديث أيضا ، وكان حظ كتب الطريقة التيجانية وبالأخص جواهر المعاني من هذا البلاء أكثر وأكبر الأمر الذي دفع بكثير من المنتقدين على شن هجوم مرير على السادة التيجانية بعضهم بحسن نيه والبعض الآخر بقصد التشويه والاتجار باسم الدين لتحقيق أغراض كانت في نفوسهم (1)

فترى أن فضيلته بين المرض وحدده وهو النشر بدون عرض لهذه الكتب على أهل الشأن والاختصاص ووضح أيضا سبيل العلاج وهو عدم طبع هذه الكتب إلا بعد مراجعتهم ليتحملوا مسئولية ما بها .

والخلاصة : أن الجراءة والافتراء بلغ ببني الإنسان تحريف الكتب السماوية وكتابتها بأيديهم فما بالك بما سواها ، وأن الأغراض الدنيوية الحقيرة تدفع بالذين في قلوبهم مرض إلى كل مسلك ، وقد كانت هناك الكثير من الدسائس والمؤمرات ضد الشيخ التجاني قادها أعداؤه الحاقدون مثل (ابن مايابا الهنكى) و (اديبج) و (البكائى الكنتى) وأمثالهم . ولكم نتمنى أن لا يقرأ أحد كتاب جواهر المعانى أو كتاب الرماح أوغيرها مما ألف عن الطريقة التيجانية حتى يرجع إلى المصادر التى تتحدث عن تلك الحقبة ، كالجواب المسكت للكنسوسي ومؤلفات أبي اسحاق الرياحي التونسي وأخيرا مؤلفات العالم المعاصر فضيلة الشيخ محمد المصيلحي حسين أحد علماء الأزهر الشريف أو يرجع إلى المصادر التى تتحدث بوضوح ونقاء عن الطريقة التيجانية كمؤلفات فضيلة الشيخ العدل الثقة إبراهيم بن صالح .

ولا زلنا نذكر بأن التقاط الأقوال من الجهات غير المسئولة عمل مشبوه في حد ذاته .

---

1) كتاب التكفير أخطر بدعة تواجه الإسلام – للشيخ إبراهيم بن صالح – ص 87 .

15 – لا يبلغ الرجل منازل الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة وأولادة كأنهم أيتام ويأوى إلى منازل الكلاب

الشعرانى

والسؤال هل فعل هذا أبو بكر الصديق حتى أصبح صديقا ؟ هل فعل هذا عمر ابن الخطاب ؟ هل فعل ذلك مالك بن أنس ؟ اللهم لا لا كيف إذا يدعى الشعرانى هذه الحقيقة ؟ أعلم أخى أن عامة أئمة التصوف فى ضلال وسعر ، إنه لا يستغرب من الشعرانى هذا الادعاء الباطل والضلال وهو صاحب طبقات الأولياء .

قدح فى أحد كبار التابعين

لولا أننا نعد كلامنا من عملنا لقلنا إن الذى فى الضلال والسعر والباطل والضلال المحموم هو الذى يسوق الكلام جزافا بدون أقل درجات الأمانة العلمية والتثبت فينسب كلام عمرو لزيد وفعل عطاء لعبيد ولكن مذهبنا ألا نزيد على الدعاء بالهداية والمغفرة .

فهذه العبارة – أيها المصنف هداك الله – ليس للشعرانى فيها إلا النقل الصرف وقد ذكرها فى الطبقات جزء 1 ص 40 . وذكر أن قائلها هو رياح بن عمرو القيسى من تابع التابعين ومن أئمة المسلمين من القرن الثانى الهجرى أى بينه وبين الشعرانى رحمه الله ما يقرب من ثمانمائة عام وإن كان كتاب الطبقات بين يديك فراجعه وإن كنت تسوق القول جزافا حسب العادة فقد بينا سخافة هذا المسلك فيما سبق .

وقد رواه رياح بن عمرو عن مالك بن دينار (1) وهو من سادة التابعين روى عن الصحابى أنس بن مالك وعن كبار التابعين كالحسن وابن سيرين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله . وله أحاديث مخرجة فى كتب الأحاديث والسنن فى مقدمتها الجامع الصحيح للبخارى ، وهو من أهل القرون التى شهد لها الصادق المصدق صلى الله عليه وسلم بقوله : « **خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم** » (2) . فخير المؤمنين بعد الصحابة من شافه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظ عنهم

---

1) انظر هذا فى حلية الأولياء للاصبهانى ج 6 ص 196 ترجمه رقم 361 ونفس المصدر ج 2 ص 359 .

2) متفق عليه .

الدين والسنن وهو أدرى منك – أيها المصنف – ومن غيرك بما يقال وما لايقال فما عرفنا القرآن والسنن إلا بمالك بن دينار وأمثاله ، واعتراضك غير ضائرنا ولا نهتم به قدر خردله بعد أن بشر القرآن الكريم مالكا وأمثاله برضوان الله تعالى (**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم**) (1) .

وللعلم فإن مالك بن دينار لم تكن له زوجة حتي يتركها كأنها أرملة ولم يولد له غير ابنة من سرية ماتت صغيرة وعبارته المذكوره يدق فهمها ويجل إلا على الأبرار الذين يسجنون اللسان ويكثرون الاستغفار ومن أراد فهمها فليكن كمالك بن دينار الذى شبهه الصحابي أنس بن مالك بأصحاب محمد صلي الله عليه وسلم وكان يحبه أكثر من عدة أولادة ويدعوا له في الأسحار .

(حدث سيار قال حدثنا جعفر قال حدثنا مالك قال : أتينا أنس بن مالك – صفو كل قبيلة – أنا وثابت البناني ويزيد الرقاشي وزياد النميرى وأشباهنا فنظر إلينا فقال : ما أشبهكم بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال : رؤوسكم ولحاكم ثم قال : والله لأنتم أحب إلى من عدة ولدى إلا أن يكونوا فى الفضل مثلكم ، وإنى لأدعو لكم بالأسحار) (2) .

والذى كان يعده أهل العلم فى الحديث وغيره بأنه فى الطبقة الأولى من الرواه ضبطا وعدالة ، ويعده أهل الصلاح والتقوى من أئمتهم ، هذا بالطبع إن لم يصور الغرور للمرء أنه خير إيمانا وعلما وأعلى درجة من مالك بن دينار .

وإليك طائفة من أولياء الشعرانى فى طبقات أوليائه :

أ – محمد الحضرى الذى صعد المنبر يوم الجمعة فخطب فقال : أشهد أن لا إله لكم إلا ابليس عليه الصلاة والسلام ثم نزل فسل السيف فهرب جميع المسلمين

---

1) التوبة – 100 .

2) حلية الأولياء – ج 2 ص 381 – ترجمة 200 .

من المسجد وزعم الشعرانى أن هذا الولى قد خطب خطبة الجمعة يومئذ فى ثلاثين مسجدا من مساجد القطر المصرى .

2 – الرجل الذى يسكن فى ماخور المومسات (بيت الدعارة) يشفع لكل من يأتيهن – عند الله – ويمسكه إلى أن يكاشف بقبول شفاعته فيه ومغفرة الله له .

3 – أبوخوزة – كان رضى الله عنه كما يقول الشعرانى إذا رأى امرأة أو شابا أمرد راوده عن نفسه وحسس على مقعدته وسواء كان أميرا أو وزيرا ولو كان بحضرة والده .

4 – علي وحيش كان كما يقول الشعرانى إذا رأى شيخ بلد أوغيره ينزله من على الحمارة ويقول له أمسك رأسها حتى أفعل فيها فإن أبى شيخ البلد تسمر فى الأرض لا يستطيع أن يمشى خطوة .

أخى المسلم وقانى الله وإياك شر هذه الفتن أرأيت كيف يفقد الهوى أصحاب العقول عقولهم ويذهب بأبصارهم وبصائرهم ؟ وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ روى عنه « حبك للشئ يعمى ويصم » فانظر كيف تجرد هؤلاء بأهدافهم من عقولهم وغضوا عن رؤية الحق أبصارهم فعميت بصائرهم وأصبحوا يرون أفسق الخلق وأكفرهم وشرهم وأفسدهم أولياء الله تعالى إذا ذكروهم ترضوا عنهم وترحموا عليهم كأنهم أصحاب الرسول أو تابعوهم .

الطبقات الكبرى للإمام الشعرانى

تحدثنا فى بحثنا عن الدس على الكتب الإسلامية وحظ كتب التصوف منه عما قاساه الإمام عبد الوهاب الشعرانى رضي الله عنه حتى حال حياته من الدس والتزوير .

ونحن نعرف معرفة قطعية مبنية على البحث والتدقيق أن كتاب الطبقات الكبرى المذكورة به هذه العبارة التى لم ينقلها المصنف عن مصدرها مباشرة بل حرفيا عن أحد كتب التفاسير المعروفة – تعرض للدس خصوصا فى الجزء الثانى منه .

ونحن لا نلوم المصنف على عدم معرفته للغث من السمين والصحيح من السقيم فمثل هذه الأمور لا يلام عليها إلا المحققون الذين يشبعون المادة بحثا وتمحيصا قبل النطق

بحرف واحد عنها ذما أو قدحا ، وإن كنا لا نزال نلومه على التحدث فيما لا يعلم ، ولكننا نجد أنفسنا مضطرين لإظهار بعض المدسوسات في كتاب الطبقات حتى لا يتسرع القارئ غير المختص بتصديق كل ما به خصوصا في الجزء الثاني منه .

فنقول - على سبيل المثال - إن الإمام الشعراني رضي الله عنه فرغ من كتاب الطبقات حسب ما ذكر بخط يده في آخر الكتاب في 15 رجب 952 هـ بينما تجد أنه في صفحة 167 من الجزء الثاني ذكرت ترجمة احمد الكعكي وذكر في نفس الترجمه أنه توفي في 15 رجب 952 هـ فلزم ان يكون قد كتبت ترجمته في يوم الانتهاء من كتابة الطبقات ، وإذا علمت أنه ذكرت بعده احدى عشرة ترجمة لاحد عشرة مترجم له كلهم بدون استثناء ماتوا قبله حسب ما هو مذكور في تراجمهم تيقنت ان هذه الترجمة قد دست بين التراجم كذبا وتلفيقا . وفي صفحة 153 من الجزء الثاني جاءت ترجمة علي البحيري الذي ذكر في ترجمته أنه توفي في شوال 953 هـ أي بعد الانتهاء من الكتاب بسنة وثلاثة اشهر .

أما في صفحة 163 من الجزء الثاني فانك ستجد ترجمة علي الكازروني الذي ذكر في ترجمته أنه توفي في 960 هـ اي بعد الانتهاء من الكتاب وانتشاره بين الناس وتداولهم له بالنسخ والنشر بثماني سنين .

ويلاحظ ان مسئولية الدس لا تقع على هؤلاء المذكورين بل على من حشر أسمائهم وأسماء غيرهم بين السطور وعلى كل حال فإن هذه المدسوسات لا تخفى على أهل الشأن إذ لديهم ميزان دقيق يزن الشعرة وأقل وهو الاستقامة على الكتاب والسنة وما خالفهما لا يصح نسبة شئ منه للسادة الصوفية وما ذكره المصنف عن كتاب الطبقات من مدسوسات ومحاولة الغمز واللمز والتقاط الترهات التي لا يجهل وضعها والتشهير بها لا تؤدي إلا إلى صدور أحكام من قبل المنصف قد تكون غير سارة ولا مرضية له .

إلى هنا يقف بنا المضمار وبهذه السطور نلقي عصا التسيار إذ لم يذكر المصنف – تجاوز الله عن سيئاته – بعد هذا سوى بضعة أسطر عن الشيخ أحمد التجاني نقلها عن كتاب جواهر المعاني ثم ألحقها بفصل بعنوان « **الإسلام نعم البديل** » ذكر فيه العديد من المأثورات والأذكار الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم فشكر الله له صنيعه ونرجوا أن يوفق الله تعالى من عنده نسخة من كتاب المصنف إلى العمل بها والمواظبة عليها ، وإلا فباستطاعته معرفتها من كتب المأثورات والسنن .

وياحبذا المسلم المواظب علي ما أمره الله ورسوله ، ويافوز من جاء يوم الحساب وفي صحيفته ذكر الله تعالى والصلاة على نبيه صلي الله عليه وسلم .

فالهج أخي المسلم بذكر ربك لا تغفل عنه ساعة من ليل أو نهار فذكرك لسيدك مدعاة لذكره لك في ملأ نوراني كريم ناصحا لك – فالدين النصيحة – بالابتعاد عن التشنج والسوداوية ومعاداة أبناء دينك ولعنهم وكراهيتهم والدعاء عليهم والكيد لهم لاختلافهم معك في الفكر ، والاجتهاد فما أدراك ربما كانوا على صواب وأنت على خطأ إلا إذا أوحى إليك أنك على الصراط المستقيم وحدك وهو ما انقطع بموت المعصوم صلى الله عليه وسلم .

واعمل جاهدا أن تكون محبا ومحبوبا لبني دينك فحبك لهم حب لله تعالى وحبهم لك حب من الله فلا يشكر الله من لا يشكر الناس . وستجد أنك وإخوانك المسلمين جميعا في عرصات الجنة إن شاء الله تعالى بعد أن ينزع الله ما في صدرك من غل في الدنيا أو في الآخرة إخوانا على سرر متقابلين في سدر مخضود وطلح منضود وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة وأبكارا عربا أترابا ، يذهبون لزيارة بارئهم فيتحفهم برؤية وجهه الكريم السني والشيعي و الإمامي والمعتزلي و الزيدي والمالكي و الحنفي والحنبلي و الشافعي والاباضي وكل الأمة المحمدية بدون فرق وموحدي الشرائع الغابرة والأمم المندثرة وفضل الله لا حد له .

وأعلم – أنار الله قلبك – أن رجلا دخل الجنة في كلب أرواه من عطش – أرأيت من جاءه موحدا مصليا صائما مزكيا حاجا كرم الكريم يضيق عليه .

فأبشر ثم أبشر فما اختارك الله تعالى لتكون من هذه الأمة المرحومة عظيمة القدر إلا

لعناية سبقت منه إليك فكن فى المستوى ولا تكن كالذى أعطى دينارا فانهال عليه مقبلا وأعرض عن معطيه واستعد للقدوم على رب كريم رحيم ونعيم مقيم وتجهز لملاقاته واجتهد ألا يجدك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك فتسقط من عينه . وأنظر إلى نفسك وقد التحقت بأسلافك الطيبين الطاهرين المتحلين بعز الطاعة فكن على حذر ألا يكون معك شئ من ذل المعصية فيحال بينك وبينهم .

فمن مثلك وأنت ترفل فى نعيم مقيم فى قصور الجنة متوسدا أرائكها وزرابيها المبثوثة شاربا من خمر لذة للشاربين عندك ما يلذ الأعين وتحب القلوب من جنات وحور وولدان ، وما أرخص الثمن المبذول تعب يسير لو تأملته وجدته راحة ونصب قليل لو تذوقته وجدته لذة منك ، وما من الله تعالى دعه له يتفضل به عليك كما وكيفا من حكم كونه الله فكل جائزة على قدر معطيها .

وعزمت عليك بالله العظيم ألا تحرمنى بركة دعائك بالمغفرة والعفو والتجاوز عن السيئات فإن ذنوبى كبيرة والله أكبر وتقصيرى عظيم والله أعظم وأطمع فى الرؤوف الرحيم أن لا يخيبنى يوم القدوم عليه ولا أظنك مخيبا حسن ظنى فيك فإنى أكتب لك هذه السطور وأنا مسرف على نفسى لا أستطيع حملها على المكروه فى طاعته سبحانه ، إن أردت ركوبها ركبتنى أو تأديبها غلبتنى وقد بلوت هذه الأمارة بالسوء فلم أجد لها فى الرخاء شكرا ولا فى البلاء صبرا ولا موافقة على طاعة ولا هى زاهدة ولا خاشعة ولا مطواعة فإنى وهى فى أمر عظيم وخطب جسيم إلا أن يقدرنى القادر عليها .

واتبعه مشكورا مأجورا إن شاء الله بالدعاء لكافة المسلمين أحياء وأمواتا وما أخالك مقصرا ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

أحمد سالم كريم القطعانى
درنة - الجماهيرية العربية الليبية

الفهرس

الفصل الأول

الفصل الثانى

الفصل الثالث

رقـم الايداع بـدار الكـتب : 91 / 779

: I. S. B. N

977 - 00- 2160 - 1